



مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

†0048† | %0XJ% 8Σ +C000αΙΣΙ +ΣΙΗΧαΙΣΙ 8 +Π00αΙΣΙ

Revue de Recherche en Sciences Humaines et Cognitives

مجلة علمية دولية محكمة تصدر بشكل شهري



العدد 7 - المجلد 2 - السنة 2 - يوليو 2025
جميع حقوق النشر محفوظة للناشر والمجلة

البريد الإلكتروني

contact@crshc.com

رقم الصحافة

07/2024

الترقيم الدولي
(ورقي)

3009-5581

الترقيم الدولي
(رقمي)

3085-4857

الإيداع القانوني

2024PE0032

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

الإيداع القانوني: 2024PE0032

ردم (الرقمي): 3085-4857

ردم (الورقي): 3009-5581

رقم الصحافة: 07/2024

رقم الواتساب: +212 6 14 02 45 44

البريد الإلكتروني: centre.rshc@gmail.com

العنوان الإلكتروني: www.crs hc.com

جميع حقوق النشر محفوظة للناسر وللمجلة
المغرب © 2024

مواقع التواصل الاجتماعي للمجلة



Tiktok



Youtube



Facebook

مسجلة ومفهرسة في قواعد بيانات عالمية



المدير المسؤول:

محمد بوغوتة

رئيس التحرير:

جمال الدين السراج

مدير التحرير:

سعيد الاشعري

أعضاء هيئة التحرير:

فريد أمعششو

محمد البوزيكي

عبد الله بوغوتة

وسام شهير

هشام كزوط

سعيد أريديف

د. جمال الدين السراج

رئيس التحرير

أستاذ التواصل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة - المملكة المغربية



”مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية هي منبر أكاديمي يهتم بنشر الأبحاث والدراسات في مجالات العلوم الإنسانية والعلوم المعرفية. تهدف هذه المجلة إلى تعزيز فهمنا للعقل البشري، والثقافات المختلفة، وتأثير العوامل الاجتماعية والنفسية على سلوك الإنسان وتفكيره. تتضمن مجالات الدراسة في المجلة مجموعة واسعة من التخصصات مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم اللغة، والفلسفة، والأدب، وعلوم الإعلام والتواصل، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية، والتاريخ، وغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية والمعرفية. تعتبر هذه المجلة مصدراً هاماً للباحثين والأكاديميين لنشر أبحاثهم ومشاركة أفكارهم مع المجتمع الأكاديمي العالمي“

ضوابط النشر في المجلة

- يشترط في البحث ألا يكون منشورا من قبل، وأن يتسم بالراهنية والعمق، وأن تتميز مراجعته الأساسية بالجدة والتنوع؛
- تُقبل البحوث باللغات الآتية: اللغة العربية - الأمازيغية - الفرنسية - الإنجليزية- الإسبانية؛
- يُشترط أن يكون عدد كلمات المقالة بين 4000 و6000 كلمة. يرجى إرفاق ملخص للمقالة (250 كلمة كحد أقصى) بنفس لغة المقالة، مع ذكر نبذة عن السيرة العلمية للباحث؛
- ترسل البحوث باللغة العربية ببرنامج (Word)، خط (Sakkal Majalla)، حجم 16 في المتن و12 في الهامش و1.5 في interligne؛ وباللغة الفرنسية أو الإنجليزية بخط (Calibri Light)، حجم 12 في المتن و10 في الهامش؛
- يلزم احترام الضوابط العلمية والأخلاقيّة في كل ما يتعلق بالتوثيق والتهميش، وإثبات الحالات متسلسلة أسفل كل صفحة دون استرسال؛
- تخضع البحوث والدراسات على محكّمين من ذوي الخبرة وحسب تخصص المقال؛
- تقبل البحوث الفردية وكذا الجماعية في حدود شخصين؛
- تتولى اللجنة العلمية إبلاغ الكاتب بتسلم مادته حال ورودها، ثم إبلاغه لاحقا بقرار الهيئة العلمية حول مدى صلاحية مادته للنشر، سواء كانت مقبولة للنشر كما هو، أو تحتاج إلى تعديلات أو تحسينات قبل النشر، أو رفضها في حال كانت غير مناسبة لمعايير المجلة.

لا تعبر الآراء الواردة في المجلة إلا عن آراء أصحابها،

وبالتالي تبقى مسؤولية الكاتب قائمة متى خالفت القوانين الجاري به العمل.

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر والمجلة

العنوان : مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

موقع المجلة : www.crshc.com

عنوان المراسلة : contact@crshc.com

الهاتف/الواتساب : +212 614-024544

الإخراج الفني : محمد بوغوتة

الإيداع القانوني : 2024PE0032

ردمد (الرقمي) : 3085-4857

ردمد (الورقي) : 3009-5581

رقم الصحافة : 07/2024

المطبعة : مكتبة قرطبة، وجدة، المغرب

حقوق الطبع : محفوظة للناشر والمجلة © 2025

الهيئة الاستشارية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

د. عبد الله بوغوتة
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب

د. فريد أمعشوشو
مركز تكوين مفتشي التعليم
المغرب

د. سعيد أريديف
المدرسة العليا للتربية والتكوين
جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب

د. سميرة حيدا
المدرسة العليا للتربية والتكوين
جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب

الهيئة العلمية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

د. محمد دلال
جامعة محمد الأول، المغرب
د. حسن احساين
جامعة محمد الأول، المغرب
د. فؤاد أزروال
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب

د. فريد لمريني
جامعة محمد الأول، المغرب
د. يحيى عمارة
جامعة محمد الأول، المغرب
د. وسام شهير
جامعة محمد الأول، المغرب

د. أسماء هلال
جامعة محمد الأول، المغرب
د. خليل عبد الجليل
جامعة محمد الأول، المغرب
د. عبد الإله مطيع
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الرباط سلا القنيطرة، المغرب

د. هشام كزوط
جامعة محمد الأول، المغرب
د. عائشة عبد الواحد
جامعة محمد الأول، المغرب
د. سميرة حيدا
المدرسة العليا للتربية والتكوين
جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب

د. رشيد طلال
جامعة المولى سليمان - بني ملال

د. يوسف ماحي
جامعة محمد الأول، المغرب

الهيئة الاستشارية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

د. حسبية الطايقي البرنوصي

كلية علوم التربية - الرباط
المغرب

د. بولحوش فاطمة

الكلية المتعددة التخصصات بالناظور
جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب

د. بلال داوود

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة طنجة تطوان الحسيمة، المغرب

د. محمد علي الدراوي

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب

د. حنان حمداوي

كلية العلوم القانونية والاقتصادية
والاجتماعية أكادال، المغرب

د. جميلة رحمانى

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب

د. أيوب الشاوش

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب

د. محمد دخيسي

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
بجهة الشرق، المغرب

د. عبد العزيز الصادقي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. غزلان اليوسفي

جامعة محمد الأول
المغرب

د. طارق زروقي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة فاس-مكناس، المغرب

د. ابتسام الزاهر

جامعة محمد الأول
المغرب

د. محمد أمحدوك

جامعة محمد الأول، المغرب

د. محمد اليوسفي

جامعة محمد الأول، المغرب

د. عبد الله الحمداوي

جامعة محمد الأول بوجدة، المغرب

د. سمية بالرجب

معهد الصحافة وعلوم الإخبار، تونس

الهيئة الاستشارية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

الدكتور مهند طالب الحمدي

جامعة ولاية كنساس
الولايات المتحدة الأمريكية

د. سماح محمد محمد حيدة

جامعة واشنطن الأمريكية
مصر

أ.د. صباح علي السليمان

جامعة تكريت، العراق

د. هناء فاضل سلمان

الجامعة المستنصرية، العراق

د. مروان السكران

أكاديمية بيت اللسانيات الدولية، تركيا

د. عزيز صالح علي الدعيس

جامعة صنعاء، اليمن

د. محمود قدوم

جامعة بارتين، تركيا

د. الصادق علي وداعة عثمان

جامعة سنار، السودان

د. محمد بودشيش

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. عبد المجيد بوفرعة

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. نجيب علالي

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. ريم محمد طيب حامد الحفوزي

جامعة الموصل
العراق

د. منير كلخة

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. عبد الصمد مجوقي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة
طنجة تطوان الحسيمة، المغرب

د. إبراهيم عمري

جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
المغرب

عبد العظيم طلحاوي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

الهيئة الاستشارية لمجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

د. محمد ملحاوي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. محمد حمداوي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. صارة اضمالي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. رشيد الاركو

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. نورة سهال

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة مراكش آسفي، المغرب

د. العساوي نادية

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

د. هدى حدادي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة الشرق، المغرب

محتويات العدد

9	 محتويات العدد
11	 افتتاحية العدد
12	دراسات في الرحلة الحجية المغربية (11): المرأة من خلال الرحلات الحجية المغربية د. عبد الله بوغوتة
18	الهجرة وإعادة تشكيل المجال الريفي في الأوساط الجبلية حالة عالية حوض مداز في الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي حنان إعيش - د. محمد أدرغال
38	أثر الإفتاء المؤسسي في الحد من فوضى الإفتاء: مجمع الفقه الإسلامي الدولي نموذجاً إدريس أبيديمي تيجاني أحمد
56	بنية النص المترابط وآليات التلقي من خلال القصص المترابطة "محطات" لمحمد شويكة أسماء عينوش
69	مفهوم الجين ما بعد الجينومي: من أزمة الجين إلى الجينوم التفاعلي د. كوكب الغراسي
81	القصيدة المجسمة عند محمد بنيس: نحو بلاغة شعرية مغايرة د. عبد الرحمان إكيدر
100	آليات ومناهج تطوير الفعل الديداكتيكي في التعليم الديني: التعليم عن بعد نموذجاً عز الدين الراجعي
113	توزيع الأفراد داخل المجال الحضري في المغرب: قراءة في نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى 2024 - على ضوء باراديغمات رواد مدرسة شيكاغو - فاطمة الزهراء بكوش - د. محمد السلمي

- التدريب الميدانية ودورها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأستاذ(ة) المتدرب(ة):
حالة طلبة مسلك التاريخ والجغرافيا
- 132 محمد عابي - مولاي المصطفى البرجاوي
- التغيرات المناخية وأثرها على المنظومة الواحية: بين ندرة الموارد المائية وتزايد
التحديات البيئية وأحاطة درعة الوسطى نموذجاً
- 154 يوسف بغدادى - د. أبوبكر صابري
- التعبيرات الفنية داخل الوسط السجني بين المباح والمحظور-الراب السجني وبناء
التمثيلات الاجتماعية عند الشباب نموذجاً-
- 168 رعمون نجات
- Entre empowerment et gestion entrepreneuriale : la tension
silencieuse au cœur de la performance sociale**
- 201 Mohammed OUDRHIRI SAFIANI - Youssef AZIZI
- Leveraging social media for Inclusive Education: Theoretical Insights
on Supporting ADHD Learners in English Language Learning**
- 225 Oualae Hamzaoui - Dr. Isam Mrah
- España y Marruecos: Un Pilar Fundamental en la Lucha Contra el
Terrorismo Global**
- 250 Souhail ANKRI - Dr. Mourad ZARROUK
- المعتكف العلمي الأول في موضوع: "الجماعة العلمية وتكامل المعارف"
- 277 متابعة: هاجر بوحشيشة وكوثر الرحمانى

افتتاحية مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية العدد السابع - المجلد الثاني - السنة الثانية 2025

يسر هيئة تحرير مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية أن تقدم لقراءها الكرام هذا الإصدار السابع (يوليو 2025)، ضمن المجلد الثاني من مسيرة المجلة العلمية، التي حرصت منذ انطلاقتها على أن تكون منبرا للبحث الرصين والحوار المعرفي الخلاق في ميادين مختلفة.

ويأتي هذا العدد الجديد ليؤكد مرة أخرى افتتاح المجلة على مختلف المؤسسات الأكاديمية والبحثية، من خلال استقطاب مشاركات علمية متميزة لباحثين ينتمون إلى جامعات مغربية وعربية ودولية، مما يعكس الأفق الواسع الذي تنشده المجلة في خدمة البحث العلمي متعدد التخصصات، القائم على التجديد، والتكامل، والمساءلة المعرفية الجادة.

لقد تنوعت محاور هذا العدد، فشملت دراسات نقدية، ومقاربات تحليلية، وأبحاثا ميدانية تتقاطع جميعها عند غاية واحدة: تعميق الفهم الإنساني للظواهر الاجتماعية والثقافية والتاريخية، وإثراء النقاش الأكاديمي حول إشكالات العصر وأسئلته المعقدة.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نجدد الشكر والتقدير لكل الباحثين الذين أسهموا في هذا العدد بأبحاثهم وجهودهم، ولأعضاء الهيئة العلمية والتحكيمية الذين وأكبوا هذا العمل العلمي برؤية دقيقة وتقييم موضوعي. كما نتطلع إلى أن يظل هذا المنبر العلمي فضاءً مفتوحاً لتبادل الرؤى، وتحفيز الاجتهاد، وتعزيز الحوار بين الثقافات والجامعات. والله من وراء القصد.

حرر بوجدة، في: 31 يوليو 2025

رئيس التحرير:
الدكتور جمال الدين السراج

دراسات في الرحلة الحجّية المغربية (11)

المرأة من خلال الرحلات الحجّية المغربية

د. عبد الله بوغوتة

أستاذ باحث في التاريخ والتربية والتكوين،

أستاذ مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

لجهة الشرق

بعدما تحدثنا في الحلقات السابقة عن الحياة الاجتماعية لبلاد الحرمين الشريفين، وكذا مجتمعات طريق الحج من خلال الرحلات الحجّية المغربية. سنخصص هذه الحلقة لإلقاء الضوء على موضوع ذي أهمية، هو: المرأة من خلال النصوص الرحلية الحجّية المغربية، ونقصد المرأة في الرحلات بصفتها أميرة لركب الحج، أو مشاركة فيه، ومن ناحية أخرى بصفتها مكونا من مكونات مجتمع طريق الحج، والحرمين الشريفين، والأماكن المقدسة.

تعد الرحلات الحجّية المغربية مصدرا مهما من مصادر تاريخ المرأة المغربية، وكذا فإنها تزودنا بصور مختلفة عن المرأة في المجتمعات التي لها علاقة بالرحلة الحجّية المغربية منطلقا وطريقا وموتلا، باعتبار هذه الرحلات فرصة للتعارف والتقارب بين مختلف المجتمعات ومكوناتها وخصائصها، باعتبارها تجربة استكشافية وثقافية إضافة إلى مقاصدها الدينية.

تُظهر الرحلات الحجّية مشاركة المرأة المغربية في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية؛ حيث كانت تشارك في رحلات الحج وتزور الأماكن المقدسة، رغم أن هذه الرحلات هي ذكورية بامتياز، سواء تعلق الأمر بالرحلة أنفسهم أو مكونات الطبقات السياسية والدينية والاجتماعية بشكل عام.

أولا: مشاركة المرأة في ركب الحاج

لم يرضن الحكام على نسائهم بالمال والمتاع؛ بحيث كان إذا خرجت زوجة الحاكم أو أمه أو إحدى محارمه للحج أو العمرة، فإنه يجهزها تجهيزا عظيما؛ فتخرج في برج كبير، وعلى محفها العصائب السلطانية، والكوسات تدق معها، ويتبعها قافلة من الجمال المحملة بكل أصناف الكماليات، يأمر الحاكم عددا كبيرا من الأمراء والقواد بمصاحبتها في الطريق، فضلا عن الخدم والجواري الذين يقومون بخدمتها طوال مدة سفرها.

ولعل من أهم الأمثلة في هذا الباب، ما حدث أيام المرينيين، وخاصة لما بسط أبو الحسن المريني نفوذه على المغربين الأقصى والأوسط، عقد مصاهرة مع الحفصيين في إفريقية، مما أدى إلى إزالة العوائق، أمام وفود الحجاج المغاربة المتوجهين لقضاء فريضة الحج¹.

ففي سنة 738هـ/1337م، هجر أبو الحسن الركب الذي رافق الأميرة مريم، وأوكل لهذا الركب عدة محام تدخل في إطار تعزيز مكانته الدينية في المغرب والمشرق الإسلاميين، وهذه المهام هي:

- السهر على مصالح المغاربة حتى يؤدوا مناسكهم في أحسن الظروف.

- تزويد الوفد المغربي بالأموال اللازمة كل حسب مرتبته.

- حمل المصحف الشريف الذي خطه أبو الحسن بقلمه، وكذا إيصال الأموال المحبسة على القراء في المصحف السلطاني، وعلى علماء المذهب المالكي.

والوفد بهذه المهام يقتضي حماية طول الطريق، وتأمين كل المراحل. وفي إطار العلاقات الطيبة بين المغرب والمشرق الإسلاميين، وفي إطار التنسيق أخذت السلطات المملوكية على نفسها تأمين طريق الحج للركب المغربي بين مصر والحجاز، كما تكفلت بالسهر على مصالحه حتى يؤدي فريضة الحج في أحسن الظروف.

وكان الركب المغربي يلاقي في بعض حجاته احتفالات فخمة خلدت صداه في كثير من الجهات. ومن أمثلة هذا أن الركب الذي حجت فيه الأميرة مريم المرينية كان يوم وفادته على مصر مشهودا تحدث الناس به دهرا وخرج للقاءهم والسلام عليهم شخصية كبيرة من رجال سلطان مصر وما والاها، الناصر ابن قلاوون وقد بالغ هذا الأخير في الاحتفال بالركب المغربي والاهتمام به من يوم دخل مصر إلى أن قضى مناسكه².

وبعد هذا الركب أول ركب للحجيج في عهد أي الحسن المريني، وكان الهدف من مرافقته هذا الركب تهيئة الظروف المناسبة في مصر والحجاز؛ استعدادا لقدم والده السلطان المذكور قصد أداء فريضة الحج³. وبما أن والده أي الحسن توفيت قبل سفرها بقليل، قرر السلطان أن يبعث عوضا عنها «من يقوم مقامها»، ويتعلق الأمر «بأم أخته وحظية والده» الأميرة مريم⁴.

¹ - المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص 241-242.

² - الاستقصا، 63-62/2، النفخ، 549-548.

³ - المسند الصحيح الحسن، ابن مرزوق، ص 240-241.

⁴ - المصدر نفسه، ص 240-242.

ثانيا: صورة المرأة في الرحلات الحجية المغربية

أورد ابن جبير في رحلته بعض المشاهد والسلوكات التي لم يألفها في بلاد المغرب، لا سيما حين يتعلق الأمر بالنساء في دمشق عند قدوم الحاج الدمشقي مع أصحابه الحاج؛ حيث عبر عن هذا التصرف الغريب بقوله: "خرج الناس الجم الغفير نساء ورجالا يصافحونهم ويتمسحون بهم، وأخرجوا الدراهم لفقرائهم يتلقونهم بها، فأخبرني من أبصر كثيرا من النساء يتلقين الحاج وبناولنهم الخبز، فإذا عض الحاج منه اختطفنه من أيديهم وتبادرن لأكله، تبركا بأكل الحاج له، ودفعن له عوضا عنه دراهم، وغير ذلك من الأمور العجيبة ضد ما اعتدنا في المغرب من ذلك"¹

ومن هنا نجد ابن جبير، كغيره من الرحالة المغاربة، كانوا يصفون المجتمعات الأخرى، بناء على المعايير الاجتماعية المحلية؛ بحيث يقيم صورة المرأة بناء على المعايير والمواصفات الخاصة بالمرأة المغربية.

ومن باب الموضوعية، فإن ابن جبير كما انتقد وضعية المرأة في عيذاب ودمشق، فإنه لم يغفل عن ذكر بعض ملامح المرأة الصالحة العفيفة المتدينة في مختلف البلدان التي نزل بها؛ حيث تنوعت ملامح هذه الصورة من مكان لآخر حسب طبيعة المجتمع، وتكوينه الثقافي ومذهبه العقدي أو الفقهي، ومن الصور المشرقة التي نالت إعجابه، ما أورده عن حال النساء في يومهن المخصص للطواف في البيت الحرام؛ حيث يصف المشهد بقوله "... أفرد البيت للنساء خاصة، فاجتمعن من كل صوب، ولم تبق امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم، ولم يبق حول البيت المبارك أحد من الرجال، وتسلسل النساء بعضهن ببعض، وتشابكن حتى تواقعن، فمن صالحة ومكبرة ومعولة ومهملّة، وانفسحن في الطواف والحجر، وكان ذلك اليوم عندهن الأكبر، ويومهن الأزهر الأشهر، فنعهن الله به وجعله خالصا لوجه"².

يصور ابن جبير في هذا القول الحرص الشديد للنساء في مكة المكرمة، واجتهادهن لنيل الأجر والمغفرة من خلال أداء مناسك العمرة في شهر رجب، ويظهر ذلك جليا في اليوم المخصص لطواف النساء، وفي هذا المشهد التعبدي تبرز العاطفة الدينية لابن جبير؛ حيث نجد يتعاطف مع النساء اللواتي يؤدين مناسك العمرة في هذا اليوم الذي وصفه باليوم الأزهر لكثرة الطاعة فيه، ويختم قوله بدعاء الله عز وجل أن ينفعهن بأعمالهن ويتقبلها خالصة لوجهه الكريم.

¹ - ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 49.

² - ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 115-117.

أما ابن بطوطة فقد وصف نساء إحدى مناطق ليبيا قائلاً بأن: "نساءهم أتم النساء جمالا وأبدعهن صورا، مع البياض الناصع واليتمن، ولم أر في البلاد ما يبلغ مبلغهن من السمن، وطعائهن حليب البقر، وجريش الذرة، يشربنه مخلوطا غير مطبوخ عند المساء والصباح¹،

وقد تردد ذكر الخواتين كثيرا في رحلة ابن بطوطة؛ لأن هذا الرحالة كما نعرف كان، خلال رحلته الطويلة، على اتصال وثيق بالسلطين والأمرء والوزراء، على أن الناحية التي أثارت دهشته هي جلالة هذه الخواتين وعظمتهم. فخواتين السلطان أبي سعيد، ملك العراق، كن يرافقت السلطان في انتقالاته، وإذا نزل موكب الحاشد في موضع ما ينزل السلطان وماليكه في محلة على حدة، «وينزل كل خاتون من خواتينه في محلة على حدة. ولكل واحدة منهن الإمام والمؤذنون والقراء والسواق»²، ويجمع السلطان بخواتينه بعد العصر، وتأتي الحاشية للخدمة، ويكون انصرافهن بعد العشاء. «فإذا كان الرحيل ضرب الطبل الكبير، ثم ضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي الملكة، ثم أطبال سائر الخواتين»³.

على أن أخبار ابن بطوطة تظهر ناحية اجتماعية طالت الواقع السياسي آنذاك. فولاء المغول هو للمرأة الأصلية فقط؛ تلك التي تنحدر من سلالة الأمرء والملوك، أما المرأة العادية التي تنحدر من الشعب فلا تحظى بنفس المرتبة ولا تلقى نفس الاحترام⁴. ويبدو أن الأتراك كانوا يهجون النهج نفسه. والذي استرعى نظر ابن بطوطة وسحره، كما يقول، هو الاحترام والعناية الخاصة التي كان يوليها الحاكم أمام الملأ لنسائه، خلال مراسيم الاحتفالات. وهذا ما دفعه إلى القول بأنه لم ير أمورا كهذه في طنجة. فقد سنحت له فرصة مواتية أن يراها أثناء الرحلة، التي اصطحبه فيها أبو سعيد بهادور خان؛ مستضيفه المغولي. وقد استنتج من خلالها أن النساء لا يأتين في المؤخرة خلال الاحتفالات والمواكب، بل يتقدمن الركب. وقد أشار ابن بطوطة إلى أوجه الرفاهية التي كانت تنعم بها زوجة السلطان، فيقول: "إن كل خاتون لها سكنها المنفرد، كما أن لها إمامها مؤذنها وقارئها، إلى جانب سوق خاصة لتموين الحي بأكمله. وكلمتها مسموعة حتى بين الفرق الموسيقية التي كانت ترافق الجيوش، ورأيها يعمل به".

¹ - ابن بطوطة، تحفة النظار، تقديم ودراسة طلال حرب، بيروت، الطبعة الأولى، 1987، ص: 704.

² - المصدر نفسه، ص 75.

³ - المصدر نفسه، ص 75.

⁴ - صورة المرأة في رحلة ابن بطوطة، اسمهان بدير، ص 82.

والواقع أننا نجد في رحلته أكثر من وجه للمرأة في ذلك العصر. فهو يذكر صورة المرأة الورعة المتبصرة التي لا تبهرها أمور الدنيا؛ فتعمل لصلاح نفسها. وقد عظمت أهمية بعضهن؛ لأنهن كن من أهل الثراء والجاه، مثل الخاتون التي بدلت ثياب الملك بأسال، واستبدلت تاجها بمقنعة تجعلها لا تميز من الفقراء بشيء¹.

ومن الصالحات المتعبدات اللواتي سلكن في ذلك العصر طريق التصوف والتفرد والزهد، حتى اشتهرن عند العامة والخاصة بصلاحهن؛ فأضفوا عليهن الألقاب، وذلك من باب الشناء والتركية، يذكر ابن بطوطة أنه تعرف إلى امرأة صالحة عابدة تسمى بـ (الست زاهدة) في الركب المتوجه من الموصل إلى بغداد، وبين أنها من ذرية الخلفاء العباسيين، ومن صفاتها أنها تحج كل عام، وهي ملازمة الصوم، وقد وجد جملة من الفقراء يقومون على خدمتها².

ويذكر ابن بطوطة في هذا الصدد الست حق، المرأة الصالحة مربية الملك الناصر³.

وينقل ابن بطوطة صورة نساء مكة وما يمتنع به من الصلاح والعفة والتطيب على الملابس وقت الطواف. يقول: «ونساء مكة فائقات الحسن، بارعات الجمال، ذوات صلاح وعفاف. وهن يكثرن التطيب، حتى إن إحداهن لتبيت طاوية وتشترى بقوتها طيبا، وهن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة؛ فيأتين في أحسن زي، وتغلب على الحرم رائحة طيبهن، وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقا⁴. كما أن القناع صفة المرأة الصالحة. ويذكر ابن بطوطة في هذا السبيل نساء اليمن اللواتي «لهن الجمال الفائق والأخلاق الحسنة والمكارم، وللغريب عندهن مزية، ولا يمتنعن عن تزوجه. فإذا أراد السفر خرجت المرأة معه، وودعته إن كان بينهما ولد تكفله، وتقوم بما يجب له إلى أن يرجع أبوه، ولا تطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها. وإذا كان مقيما فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة»⁵. ولعل أرفع درجات الصلاح والسمو عند المرأة، هو الإسهام في بناء مجتمعتها عند الصالحة بيبي مريم التي بنت مرسى مدينة قلها، للدفاع عن قومها واقتدائهم، وكنكلك الأميرة التي بنت مسجد بلخ، وهذه الأميرة هي زوجة داود بن علي؛ أحد أمراء بني العباس على بلخ. ويذكر أن الخليفة «غضب مرة على أهل بلخ. لحادث أحدثوه، فبعث إليهم من يغرمهم مغرما فادحا. فلما بلغ إلى بلخ، أتى نساؤها وصبيانها إلى تلك الأميرة، وشكوا حالهم وما لحقهم من هذه المغرمة، فبعثت إلى الأمير الذي

¹ - الرحلة، ابن بطوطة، ص 262.

² - المصدر نفسه، ص 248 - 249.

³ - المصدر نفسه، ص 572 - 575.

⁴ - الرحلة، ابن بطوطة، ص 162.

⁵ - نفسه، ص 248.

قام برسم تغريمهم ثوبا مرصعا بالجواهر قيمته أكثر مما أمر بتغريمه. فقالت له: «أذهب بهذا الثوب إلى الخليفة، فقد أعطيته صدقة عن أهل بلخ لضعف مالهم»¹.

ومما هو جدير بالذكر أنه لم توجد إشارة واضحة تتحدث عن نشاط النساء في شوارع المدن وأسواقها، لاسيما إشارة ابن سعيد إلى نساء القاهرة. فهو يذكر تمتع نساءها بقسط كبير من الحرية، الأمر الذي أدى إلى اختلاطهن بالرجال مع تبرجهن السافر بإبداء الزينة في الطرقات والأسواق والمتنزهات².

وعليه، فإن الرحالة المغاربة اعتنوا بموضوع المرأة، وبدراسة تحركاتها وعاداتها عن كثب ووصف كل ما يتعلق بها بدقة وعناية بالتفاصيل. فالرحالة لم يتركوا بابا يفضي إليها إلا ولجوه، ولم يسمع خبرا عنها إلا نقلوه، والباحث يستطيع أن يكون من خلالها صورة واقعية عن وضع المرأة آنذاك.

وإذا كان الرحالة في مدوناتهم، وخلف سطور حكاياتهم، قد أعطوا للمرأة وجوها متعددة تختلف باختلاف المجتمعات والبيئات والشعوب التي عايشوها، إلا أنهم ضبطوا صورة المرأة هذه ضمن إطار المشاركة الفعالة في كل مجال من مجالات الحياة..

¹ - المصدر نفسه، ص 271.

² - النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، ص 31.

الهجرة وإعادة تشكيل المجال الريفي في الأوساط الجبلية حالة عالية حوض مراز في الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي

ذ. محمد أدرغال

مختبر الهندسة السياحية
التراث والتنمية الترابية المستدامة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس - المغرب

حنان إعيش

مختبر الهندسة السياحية
التراث والتنمية الترابية المستدامة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس - المغرب

الملخص

شكلت الهجرة على مر التاريخ إحدى الخصائص البنوية للمجتمع المغربي، حيث ارتبطت بسعي الأفراد والجماعات للبحث عن سبل عيش أفضل في مجالات أخرى. غالباً ما تمت دراسة الظاهرة من خلال التدفقات السكانية بين مجالات طاردة وأخرى مستقطبة، وما يترتب عن ذلك من نتائج ديمغرافية وسوسيواقتصادية في البلدان التي ينحدر منها المهاجرون. إلا أن تجليات وقع الهجرة على المستوى المحلي نالت اهتمام البارسين في المناطق المعروفة بأهمية الهجرة، مثل الريف الشرقي والأوسط أو أقاليم سوس والأطلس الصغير والوحدات. بينما لم تحظ مناطق جبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي بنفس الاهتمام، مع أنها عرفت هي كذلك ظاهرة الهجرة وإن لم تكن بنفس الحدة ولم تأخذ نفس الأبعاد. لكن لا يمكن أن نتطرق لدراسة التحولات التي تعرفها هذه المجالات دون إدراج الهجرة وخصوصياتها. وهذا ما سنحاول تقديمه في هذا المقال الذي يساهم في تشخيص ظاهرة الهجرة وأثرها على المجال الريفي بحوض مراز الأعلى وقد اعتمدنا في تحليلنا للموضوع على نتائج البحث الميداني الذي أنجزناه في إطار تحضير أطروحة الدكتوراه¹.

الكلمات المفتاحية:

السكن - الجبل - التحولات - حوض مراز الأعلى.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

إعيش، حنان. أدرغال، محمد. (2025، يوليو). الهجرة وإعادة تشكيل المجال الريفي في الأوساط الجبلية حالة عالية حوض مراز في الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 7، المجلد 2، السنة 2، ص 18-37.

¹ تحت إشراف أدرغال محمد أستاذ التعليم العالي ومدير مختبر الهندسة السياحية التراث والتنمية الترابية المستدامة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط

مقدمة

عرفت المجالات الريفية الجبلية بالمغرب خصوصا في مناطق الأطلس المتوسط الشرقي، تحولات جوهرية أدت إلى خلخلة التوازن في البنية الاقتصادية والاجتماعية ونمط العيش. إذ كان للهجرة بمختلف أشكالها دورا كبيرا في هذا التحول. سواء كانت داخلية ينتجها السكان نحو المدن أو خارجية نحو بلدان أخرى. ولا تقتصر على كونها عاملا ديمغرافيا يساهم في تزايد أو تناقص عدد الأفراد، وإنما تلعب دورا أساسيا في إعادة هيكلة المجال. حيث شهدت بعض الدواوير تراجعا ديمغرافيا ملحوظا، بينما عرفت أخرى توسعا نسبيا برجوع المهاجرين واستثماراتهم في مجالات فلاحية وتجارية جديدة. مما أدى إلى تغيير أنماط العيش وخلق تحولات عميقة.

بعد حوض مراز الأعلى الواقع ضمن عالية حوض سبو بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي، أكثر المناطق التي تشهد ظاهرة هجرية كبيرة لها أثر مزدوج؛ ففي مرحلة أولى، انعكست الهجرة القروية في اتجاه المدن سلبا على النشاط الفلاحي من خلال تراجع الأراضي المستغلة فلاحيا بسبب قلة اليد العاملة، واستقرار أساليب العمل التقليدية. وتلتها مرحلة ثانية، ساهمت الهجرة عبر تحويلات المهاجرين في دعم الأسر القروية وتحسين مستوى العيش، والرفع من المردودية الاقتصادية والأنشطة غير الفلاحية. إلا أننا نطرح تساؤلات حول استدامة هذه التحولات، وإلى أي حد ستتطور إلى تحول اجتماعي وخلق إطار جديد للعيش أكثر جاذبية؟

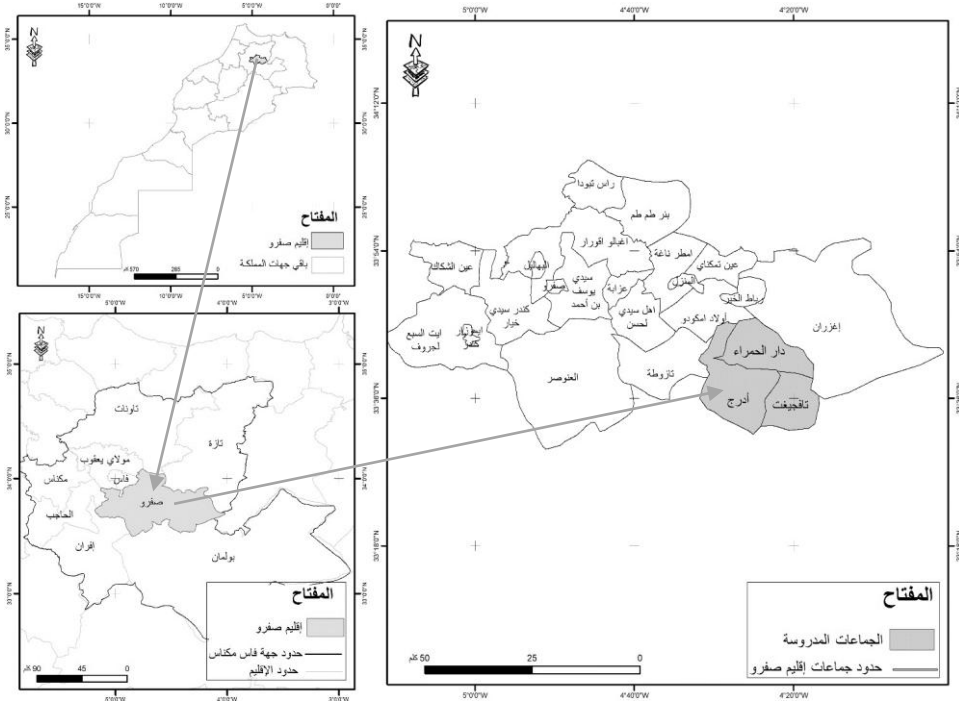
غالبا ما اعتبر السكن الريفي التغيرات التي طالته من بين مظاهر تأثير الهجرة. فبعدما كان السكن الريفي سابقا يؤدي وظائف متعددة تتجاوز الإيواء بتوفير فضاء للعمل والإنتاج الفلاحي، أصبح الآن يشبه السكن الحضري بنسيج مغلق؛ أغلبه يمثل في مساكن موسمية تستعمل في العطل كتعبير عن الانتماء الرمزي للمجال الأصلي. وهذا ما يعني أن تغير معالم السكن الريفية لها دلالة أعمق لأنها تعكس علاقة جديدة بين السكن، وعبره من يسكنه بصفة دائمة أو مؤقتة، والمجال الزراعي الذي يحتويه. سنتطرق في هذه المقالة إلى دراسة هذه العلاقة في حوض مراز الأعلى من خلال الاهتمام أولا بسيرورة الهجرة بين الأمس واليوم، ثم في نقطة ثانية دينامية العلاقة المجالية بين المهاجر ومجاله الأصلي وأخيرا بوقع الهجرة على المجال المحلي.

فحوض مراز الأعلى ينتمي لعالية حوض سبو ضمن وحدة الأطلس المتوسط الشرقي، وتكون هذه الجماعات في إطاره امتدادا مجاليا متكاملا بين قمة الجبل (تاجيغت) والوادي (أدرج)، مروراً بالدير (دار الحمراء)، في تدرج طبوغرافي يعكس تنوع البنية المجالية واختلاف الديناميات السوسيوإقليمية المرتبطة به.

1. الهجرة بين الأمس واليوم

تعتبر منطقة الأطلس المتوسط الشمالي الشرقي مجالا بحثيا غنيا لأنها "أكثر المناطق المتضررة من ظاهرة الهجرة". (بجروف السعيد، 2007، ص: 210) إذ ينفرد تاريخ الهجرة فيها بمسار وسياقات مختلفة عن تاريخ الهجرة في

المغرب ككل. ففي الوقت الذي شهدت فيه المناطق الأخرى (سوس، الريف) موجات هجرة كثيفة، ظلت عالية حوض مراز تعرف نوعا من الاستقرار في كثافتها السكانية بعيدا عن التحولات المجالية. بفضل اعتمادها على محيطها الطبيعي ومواردها المحلية التي وفرت لها قدرا من الاكتفاء الذاتي.



خريطة رقم (1): الوحدات المجالية المكونة لحوض مراز

المصدر: التقسيم الجهوي للمغرب لسنة 2015 + إنجاز: إعيش ح، 2024

ويمكن تتبع بعض من الازهاصات الأولى للهجرة خلال منتصف القرن العشرين بعد سنة 1950 من خلال التحركات الأولى حين بدأ بعض السكان خاصة الشباب منهم في التنقل الموسمي نحو المدن القريبة مثل: صفرو وفاس ومكناس وذلك من أجل العمل في الحرف أو البناء... مستغلين علاقات القرابة والانتماء القبلي في غالب الأحيان.

جدول رقم (1): نسبة المهاجرين وتاريخ انطلاق الهجرة حسب الفترات الزمنية (%)

فترة الهجرة	أدرج	دار الحمراء	تأقيغت
قبل 1970	9.2	8.7	4.2
ما بين 1970 و 1995	27.4	25.5	16.8
ما بين 1995 و 2020	38.4	37.8	42.6
بعد 2020	25	28	30

(العدد: 502 رب أسرة)

المصدر: العمل الميداني، 2024

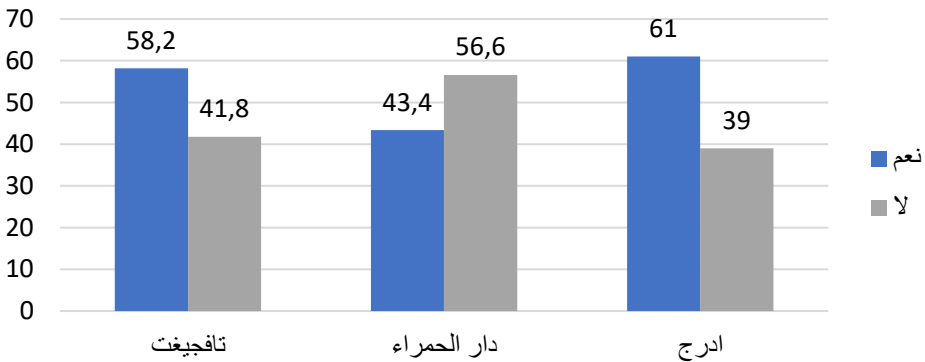
انطلاقاً من الجدول التالي يتبين أن دينامية الهجرة بعالية حوض مدارز تميزت بتفاوتات واضحة عبر فترات تاريخية. عكست التحول البيوي والاقتصادي والاجتماعي للمجال. ففي المرحلة الأولى ما قبل 1970 سجلت هجرة طفيفة في نطاق محدود. اقتصر على حالات فردية مرتبطة أساساً بالبحث عن فرص موسمية للعمل أو الالتحاق بأقارب في مناطق أخرى. وهو ما يفسر بارتباط المجتمع المحلي التقليدي بالاستقرار في مكانه الأصلي معتمداً على الأنشطة الفلاحية المعاشية. غير أن الوضع بدأ يتغير تدريجياً خلال الفترة الممتدة ما بين 1970 و 1995، حيث بدأت تشهد ارتفاعاً طفيفاً في هجرة بعض السكان نحو المدن أو في اتجاه الخارج. وذلك ناتج عن تزايد الضغط الديمغرافي وضعف مردودية النشاط الزراعي والرعوي. إضافة إلى جاذبية المدن المتجلية في تطور الخدمات الاجتماعية والاقتصادية والصحية، وظهور بوادر التحول نحو اقتصاد نقدي. ويمكن اعتبار هذه المرحلة بمثابة فترة انتقالية نحو ترسيخ الهجرة كخيار استراتيجي للأسر بالمجالات الريفية الجبلية

أما المرحلة ما بين 1995 و 2020، فقد عرفت نوعاً من التحول وارتفاع في وثيرة الهجرة بشكل كبير بفعل عدة عوامل من بينها؛ تفاقم التهميش المحلي، وتراجع الخدمات الاجتماعية، وانخفاض معدل الخصوبة الطبيعية، وانقسام الجماعة الأم (أدرج) بموجب التقسيم الجهوي لسنة 1992. الشيء الذي دفع العديد من الأسر خاصة الشباب للخروج بحثاً عن بدائل اقتصادية واجتماعية والتي تمثلت بالأساس في التعليم. أما في الفترة الراهنة ما بعد 2020 ومع تراجع الموارد الطبيعية والتغيرات المناخية وغياب فرص التشغيل داخل المنطقة، فضلاً عن الأثر المتراكم للأزمات الاجتماعية والاقتصادية المتداخلة، أصبحت الهجرة أحد المسارات الرئيسية لإعالة الأسر وضمان مستقبل آمن. وبالتالي يتضح من هنا أن الهجرة بعالية حوض مدارز مرت من مراحل متعاقبة في التطور؛ من الهامشية إلى خيار استراتيجي للعيش. الشيء الذي أدى إلى إعادة تشكيل المجال وتغيير معالمه الجغرافية والاجتماعية وفق نمط يربط بين التقليد والعصرية. وأصبحت الهجرة تشكل وسيلة ناجعة لضمان الاستمرار والاستفادة من الفرص التي تساهم في تحسين الحياة.

2. دينامية العلاقة المجالية بين المهاجر ومجاله الأصلي

2.1 مدى حضور المهاجرين بالأسر

يشكل حضور الأفراد المهاجرون داخل الأسرة بعالية حوض مداز عنصرا حيويا في التحول المجالي بعالية حوض مداز باعتباره يحمل تجارب فردية وجماعية لا تقتصر آثارها على البعد الاقتصادي فحسب، بل تمتد لتطال البنية الأسرية. ويختلف تأثير حضور المهاجر بحسب صلة القرابة ومدة الهجرة وعدد المهاجرين بالأسرة مما يخلق دينامية تفاعلية باستمرار. لكن يبقى غياب فرص العمل قوة طاردة تدفع الأفراد إلى البحث عن آفاق جيدة بمناطق أخرى أكثر استقبالا واستقطابا، بل تكون أحيانا خيارا واعيا لتحقيق الرقي الاجتماعي. يشير المبيان إلى تفاوت في نسب حضور المهاجرين داخل الأسر المدروسة في الجماعات الثلاث (أدرج، تافجيغت، دار الحمراء). حيث سجلت أعلى نسبة بجماعة أدرج 61% من الأسر التي يتواجد بها مهاجرون. تلتها تافجيغت بنسبة 58.2% ثم دار الحمراء بنسبة 43.4% من مجموع عدد الأسر التي شملها البحث



(العدد: 320 رب أسرة)

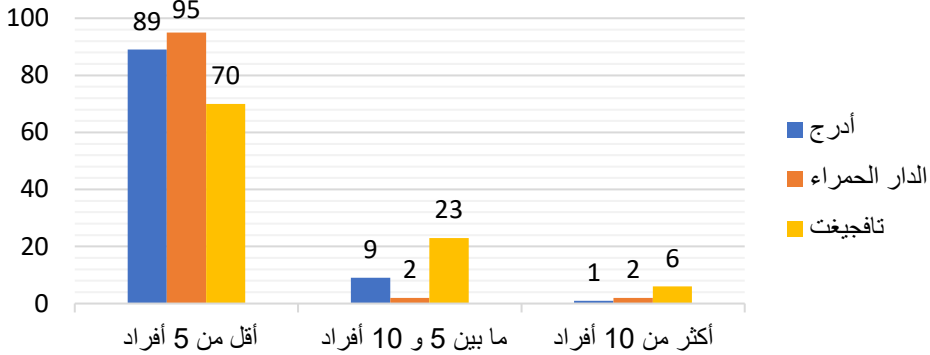
مبيان رقم (1): مدى حضور الأفراد المهاجرين بعالية حوض مداز (%)

المصدر: العمل الميداني، 2024

2.2 عدد المهاجرين داخل الأسرة الواحدة

نلاحظ أن معظم الأسر بالجماعات الثلاثية لديهم أفراد مهاجرون، سواء هجرة داخلية أو خارجية أو هما معا. ومن خلال المبيان التالي نجد أن الأسر بعالية حوض مداز لهم أفراد مهاجرون خارج موطنهم الأصلي. فالأسر التي تتوفر على أقل عدد من الأفراد المهاجرين الذين لا يتجاوز خمسة أفراد سجلت فيها أدرج 89% والدار الحمراء 95% وتافجيغت 70%، في حين الأسر التي لها ما بين 5 مهاجرين و10 فتمثل بأدرج 9%

وبالدار الحمراء 2% وبتأخيغت 23%، أما الأسر الممتدة التي تتوفر على عدد كبير من المهاجرين يتجاوز 10 أفراد فهي مرتفعة بتأخيغت حيث تمثل 6% من الأفراد، في حين لم تتجاوز 2% بأدرج والدار الحمراء.



(العدد: 502 رب أسرة)

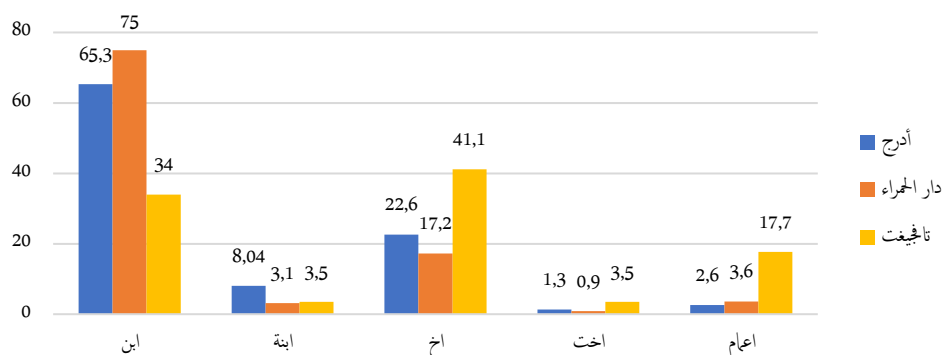
مبيان رقم (2): عدد أفراد الأسرة المهاجرون بالجماعات الترابية المدروسة (%)

المصدر: العمل الميداني، 2023

يمكن تفسير هذه النسب بأن تأخيغت تعرف هجرة كبيرة يفوق عدد أفرادها في الأسرة الممتدة الواحدة 10 أفراد. وهذا إن دل على شيء فهو يدل على المستوى المعيشي المتأزم في ظل غياب أنشطة مدرة للدخل تساهم في تثبيت السكان، وتحثها على تنوع أنشطتها السبئية. وبشكل عام فالهجرة أصبحت تحدث اختلالات مجالية كبيرة، من بينها الفراغ الديمغرافي خصوصا في فئة الشباب القادرين على العمل. فاستنزاف الطاقات البشرية من مجالاتها الأصلية يضعف النسيج الاجتماعي التقليدي المحلي، ويؤدي إلى تفاقم مشاكل التنمية وتعميق الفوارق المجالية. إضافة إلى أن صلة القرابة كلما كانت قوية إلا وأسهمت في التشجيع على الهجرة داخل الأسرة.

2.3 صلة القرابة مع المهاجر

تعتبر صلة القرابة مع المهاجر في عالية حوض مدارز البنية الأساس في بناء شبكات هجرة فعالة تضمن استمرارية تدفق الأفراد نحو مناطق الاستقبال. كما تلعب دورا محوريا في المساعدات العينية والتحويلات المادية نحو مجالهم الأصلي، مما يترتب عنه دينامية مجالية واضحة تنعكس على إعادة تشكيل المشهد الريفي. ويميل حجم التحويلات إلى الارتفاع عندما تكون العلاقة بين المهاجر والمرسل إليهم وثيقة (كالوالدين أو الإخوة).



(العدد: 390 رب أسرة)

مبيان رقم (3): صلة القرابة مع المهاجر بعالية حوض مدار (%)

المصدر: العمل الميداني، 2024

يظهر من الجدول أن نسبة الأبناء الذكور المهاجرين سجلت أكبر عدد بدار الحمراء 75% وأدرج 56.3% وبتاخيغت 34%. تلتها صلة القرابة المتمثلة في الإخوة الذكور بنسبة 41.1% كأعلى معدل بتاخيغت بعدها أدرج 22.6% ثم دار الحمراء 17.2%. فيما بلغت نسبة الأعمام المهاجرين بتاخيغت 17.7% كأعلى معدل مقارنة بأدرج ودار الحمراء التي لم تتعدى 3.6%، في حين بقيت نسبة الإناث (ابنة وأخت) الأقل نسبة في عدد الأسر التي تربطهم هذه الصلة بالمهاجرين.

وانطلاقاً من هذه النتائج، تبين أن فعلاً المجال الجبلي بعالية حوض مدار يعرف هجرة كبيرة في صفوف الأبناء والإخوة الذكور كنسب متقدمة على الفئات الأخرى. مما يعكس أدوارهم التقليدية كمصدر رئيسي للدخل، والدعم العائلي في المجالات الريفية الجبلية. حيث ينظر للذكور خاصة الأبناء المعيل الأساسي لتحسين الوضع الاقتصادي للأسر. وهذه السمة لها انعكاسات على مستوى المجال حيث كما سبق القول فكلما كانت صلة القرابة وطيدة بين المهاجر والمرسل إليه كلما اُثرت بشكل مباشر على المستوى المعيشي للأسر. كما أن الطابع الذكوري المهيمن على بنية الهجرة يؤكد على أن الذكور لا يزالون يلعبون دور المعيل بالنسبة للأسر، وهذا ما يعني ثبات وعدم تغير الأدوار بين الذكور والإناث واستمرار تراتبيتها داخل المجتمع الريفي الجبلي.

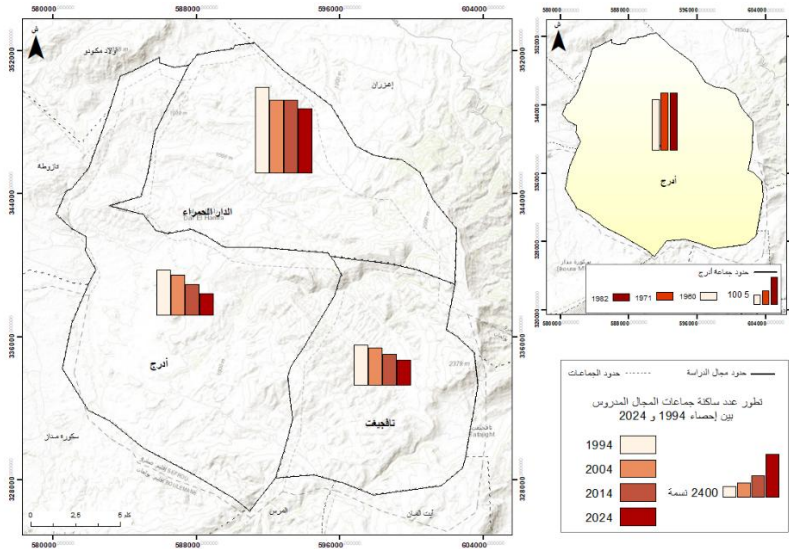
3. وقع الهجرة على المجال المحلي

3.1 نمو ديمغرافي متذبذب

يعد النمو الديمغرافي أحد المؤشرات الأساسية لفهم التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي يعرفها حوض مدار الأعلى باعتباره وسط ريفي جبلي يتأثر بشكل مباشر بتقلبات الهجرة ومعدلات الخصوبة والوفيات. حيث

نلاحظ من خلال الخريطة أسفله، أن جماعة أدرج تعتبر الجماعة الأم لقبيلة بني علاهم. وقد كانت تضم في حدودها الترابية جماعتي (دار الحمراء وتالجيفت) اللتان تفرعتا عنها بموجب التقسيم الجماعي لسنة 1992. وقبل هذه الفترة؛ كانت المنطقة عبارة عن دواوير متفرقة، تزايد عدد السكان بنسبة 8.4% حيث انتقل العدد من 8959 نسمة سنة 1962، إلى 10125 نسمة.

خريطة رقم (2): تطور عدد سكان عالية حوض مدار بين الفترة الممتدة من 1962 إلى 2024

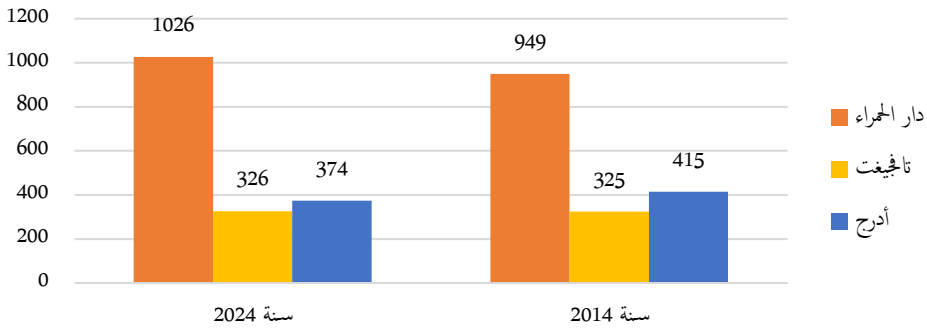


إنجاز، إعيش.ح، 2025

حجم الأسرة في تراجع مستمر

شهد حجم الأسر تراجعاً مهماً في الفترة الممتدة ما بين 2014 و 2024 بالجماعات الثلاث، وهذه المفارقة تبين تداخل عدة عوامل اجتماعية واقتصادية في تدني عدد الأسر؛ تتجلى في العزوف عن الزواج بسبب قلة فرص العمل، انخفاض معدل الخصوبة، الهجرة إلى المراكز الحضرية والمدن القريبة، صعوبات بناء بيت الزوجية....

ومن خلال المبيان التالي رقم (4) نلاحظ أن عالية حوض مدار عرفت تطوراً ملحوظاً خلال عقد من الزمن؛ حيث لوحظ ارتفاع طفيف لمعدل الأسر بدار الحمراء انتقلت من 949 أسرة سنة 2014 إلى 1026 أسرة سنة 2024. في حين تالجيفت حافظت على نفس العدد. أما أدرج فقد سجلت سنة 2014 ارتفاعاً تمثل في 415 أسرة وفي سنة 2024 سجلت 374 أسرة. ويعزى هذا التراجع بأدرج إلى الارتفاع المتزايد للأفراد المهاجرين.



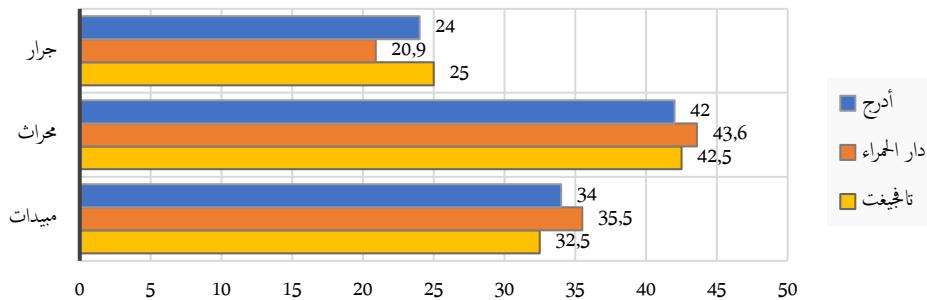
مبيان رقم (4): مقارنة عدد الأسر في الفترة الممتدة بين 2014 و 2024.

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط. الإحصاء العام للسكان والسكنى، 2024 و 2014.

3.2. بنيت زراعية ثابتة وأنظمة فلاحية متشبثة بالأساليب التقليدية

• فلاحة تقليدية بأدوات بسيطة

يشكل النشاط الفلاحي موردا مهماً بعلية حوض مدام ويعتمد على الفلاحة المعاشية. مما يستدعي تطوير وسائل وطرق الاستغلال وإدخال تقنيات زراعية حديثة، للرفع من مردودية الأراضي والرفع من الإنتاج. إلا أنه بعد الملاحظة والعمل الميداني تبين أن المنطقة لازالت تعتمد على تقنيات وأدوات بسيطة وتقليدية في الإنتاج الزراعي معظمها متوارثة عن الأجيال السابقة.



(العدد: 502 رب أسرة)

مبيان رقم (5): توزيع التقنيات المستعملة في الإنتاج الزراعي بعلية حوض مدام (%)

المصدر: البحث الميداني، 2024.

يتضح من خلال المبيان، أن نسبة استعمال المحراث في الإنتاج الزراعي تتعدى 40% بين الفلاحين، مما يدل على سيادة الفلاحة المعاشية البسيطة، تليها نسبة 35% من الفلاحين الذين يستعملون المبيدات.

إلا أن استعمال هذه التقنيات يبقى فقط وسيلة تكميلية رغم انتشارها الواسع بين الفلاحين. وتبقى نسبة استعمال "الجرار" ضئيلة باعتبار أن جل الأراضي المستغلة صغيرة، ويستعمل في بعض الحالات عن طريق الكراء لتسريع عملية الإنتاج. ونلاحظ أن جل المجالات الجبلية تنسم بنفس الطابع في استغلالها التقليدي للأرض.

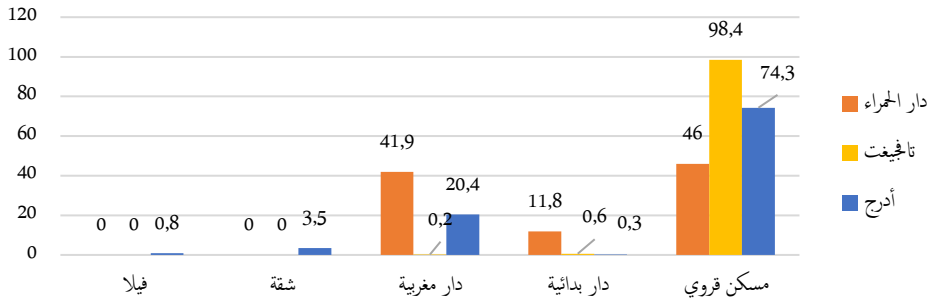
3.3 تحول السكن الريفي الجبلي بين التقليد والحداثة

3.3.1 تباین أنماط السكن بين الوحدات الجغرافية : الجبل، الدير، الوادي

إلى حدود الثمانينيات كان السكن بعالية حوض مدام تقليدي وبسيط جدا، يعتمد على المواد المحلية كالطين والخشب والتبن. كما كان أيضا "يأخذ أشكالا هندسية مربعة يتوسطه فناء يخصص لتربية الماشية وبعض الدواجن.

يتسم السكن الريفي الجبلي بحوض مدام الأعلى بخصائص معمارية تفرضها طبيعة التضاريس والمناخ، وغالبا ما يتخذ طابعا متفرقا وغير منتظم في كل الدواوير. حيث بنيت المنازل على السفوح وتراعي في تشييدها الانحدارات لتفادي المخاطر المرتبطة بالانزلاقات والانسيارات وذلك بوضع أشكال تعكس أنماط عيش تقليدية، مرتبطة بالأنشطة الفلاحية والرعية والحياة الاجتماعية للقبيلة. إذ تتخذ طابعا بسيطا يعتمد على مواد محلية كالطين والحجر والخشب. أما في تاجيفت يدمج نوع من الزنك والخشب على شكل لوحات لتغليف المنازل خشية من تساقط الثلوج والبرد ومن أجل الحفاظ على التدفئة في فصل الشتاء. هذه التقنيات تعكس الوعي الإيكولوجي التقليدي الذي يطبع هوية سكان عالية حوض مدام. لكن التحولات التي عرفها المجال بفعل موجات الهجرة، أثرت على هذا النموذج الذي أصبح متجاوزا عند بعض الأسر التي اتجهت نحو تقليد السكن الحضري في البناء. مما أدى إلى بروز أشكال سكنية هجينة تفتقر في الغالب إلى الانسجام مع خصوصيات المجال القروي.

بينما في الوقت الراهن ومنذ أواسط التسعينيات، شهد السكن تطورا وتحولا كبيرا سواء من حيث مواد البناء أو من حيث طريقة البناء وأشكاله الهندسية وعدد طوابقه، يضاهي منازل المدن الكبرى من حيث الشكل والتجهيزات والمرافق التي يتوفر عليها. (جدي حفيظ، 2014، ص: 43)



مبيان رقم (6): توزيع نوع السكن بعلية حوض مراز حسب إحصاء 2024

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى 2024

يتبين من خلال المبيان أعلاه أن الجماعات الثلاث تعرف نوعاً من الاختلاف فيما يخص شكل السكن. حيث مثل المسكن القروي بتأجيجت أعلى معدل بنسبة 98.4 في المئة وأدرج 74.3 في المئة ثم دار الحمراء 46 في المئة. ويعد النوع المتمثل في دار مغربية حسب التصنيف الرسمي للمندوبية السامية للتخطيط تعبير عن نمط اجتماعي تقليدي يدل عن الثقافة المغربية حيث يتواجد بدار الحمراء بشكل كبير وتمثلت نسبته 41.9 في المئة وأدرج 20.4 في المئة وشبه منعدمة بتأجيجت.

وعلى المستوى الوظيفي للسكن الريفي بعلية حوض مراز، نجد أن هذا الأخير تعرض لعدة تحولات بنيوية واجتماعية تمثلت في الانتقال من الوظيفة التقليدية التي كانت تجمع بين الإيواء وتلبية الحاجيات الأساسية للأسر الريفية ضمن نمط عيش يعتمد على النشاط الفلاحي والاقتصاد المعاشي. ومن ثم "فإن المسكن الريفي يكتسي دلالة رمزية بالنسبة للأسر على اعتبار أنه يعبر عن مكانتها ضمن التراتبية الاجتماعية داخل الدوار (عبد الرحيم عني، 2018)، لكن هذه التحولات أفرزت إعادة تشكيل وظيفة السكن وجعلته عنصراً فاعلاً يعكس مسارات الترقية الاجتماعية ويحس أثر التحويلات المالية للأفراد المهاجرين بعلية حوض مراز.

جدول رقم (2): توزيع صرف تحويلات المهاجرين بعلية حوض مراز (%)

أدرج	دار الحمراء	تأجيجت	صرف تحويلات المهاجرين
24	27,3	25	الاستهلاك الأساسي
18	20	15	التطبيب
6	5,5	5	تأثيث المنزل
46	41,8	47,5	الاستمرار في الاستغالية
6	5,5	7,5	استثمار في السكن

(العدد: 320 رب أسرة)

المصدر: العمل الميداني، 2024

من خلال هذا الجدول يتبين حجم مصاريف الأسر في السكن وتجهيزاته بعالية حوض مدار، من خلال استثمار عائدات الهجرة التي ظلت ضعيفة.

• بالنسبة لتأقيف:

كما توضف الصور التالية، السكن المنتشر بالمال هو سكن تقليدي بسيط بمواد محلية (طين، تراب، الحجارة، التبن، خشب) يغلف بمواد أولية (الزك، الصفيح، الخشب) تستجيب نسبيا لخصوصيات الترابية من حيث المناخ والانحدار الطوبوغرافي، لكنها تفتقر إلى شروط العيش الكريم، سواء من حيث العزل الحراري أو مقاومة الرطوبة أو الاستجابة لمعايير السلامة. إذ يرتبط هذا النوع من السكن بضعف الدخل وغياب التأطير الهندسي والتخطيط الترابي، ما جعل منه مجالا يعرف التهميش البنيوي الذي يحتزل البعد الرمزي والهوياتي للسكان:

صورة رقم (2): سكن ريفي مغلف بالخشب



صورة رقم (1): سكن ريفي مغلف بالصفيح



صورة رقم (4): سكن ريفي حجري



صورة رقم (3): سكن ريفي طبقي



المصدر، تصوير شخصي، 2024

من خلال الصور يتبين أن السكن السائد بتأخيفت ليس مجرد بناء عادي، بل يحمل في طياته العديد من الدلالات الرمزية والمادية. ويمثل أسلوب الحياة وعلاقة الانسان بأرضه ومجتمعه. بالإضافة إلى أنه يعكس التوازن الوظيفي بجماليته وبساطته. ويتصف بهوية تميزه عن أدرج ودار الحمراء. إذ يعكس معطيات المحيط الطبيعي الذي يتواجد به سواء على مستوى "مواد البناء المستعملة والهندسة المعمارية التي تتكيف مع الظروف المناخية، والموضع الذي يتحكم في اختياره كاعتبارات المتعلقة بالأمن (المواقع المحصنة)، وبطرق تنظيم واستغلال الانسان القروي لمجاله (استقرار السكن في الأماكن غير الصالحة للزراعة). (فخال نجلأء، 2006، ص:4)

• بالنسبة لأدرج:

عرف نمط السكن تغير جذري بالجماعة، تمثل في الانتقال التدريجي من الشكل التقليدي للبناء المعتمد على الطين والحجر والخشب، إلى أنماط حديثة تعتمد على الإسمنت والحرسنة في محاكاة للنموذج الحضري. وفي تشويه لجمالية المشهد المعماري الريفي. الذي فرض أنماطا غير منسجمة مع طبيعة المناخ والتضاريس الوعرة. حيث ينظر للبناء الإسمنتي بأدرج كرمز للتقدم الاجتماعي. ويعكس تأثير الهجرة القروية والتحويلات المالية للمهاجرين التي توظف في بناء السكن وترميمه ولو بشكل ضعيف كما تبين الصور التالية:

صورة رقم (6): سكن ريفي إسمنتي



صورة رقم (5): سكن ريفي مختلط



صورة رقم (8): سكن ريفي إسمنتي



صورة رقم (7): سكن ريفي عصري



المصدر، تصوير شخصي، 2024

يفتقر السكن "المختلط" (المزج بين خصائص حضرية وريفية) بالعالم القروي للعزل الحراري المناسب فيجعل ظروف العيش أقل راحة مقارنة بالسكن الطيني. إضافة إلى أنه يعاني من ضعف الانسجام مع البيئة المحلية، مما يؤدي إلى فقدان الطابع التقليدي ويساهم في تسريع وثيرة التمدن العشوائي. وبالتالي يسفر عن طمس الهوية القروية الأصلية للسكان. أما السكن العصري كما مبين في الصور تعود ملكيته لأفراد مهاجرين غالبية يكون فارغا ويستعمل في العطل عند عودتهم. لأن "الحصول على السكن بالنسبة للمهاجرين الدوليين النازحين من الأرياف يعتبر أهم محطة في سياق اندماجهم بالوسط الحضري الجديد، أما بالنسبة للمهاجرين الحضريين فإن تملك السكن يجسد الاستقلالية عن الأسرة الأبوية. (ثابت يحيى، 1998، ص: 265) فالأفراد المهاجرين يحرصون على بناء المسكن في مكانهم الأصلي رغم استقرارهم في المدن أو خارج البلد تعبيرا عن ارتباطهم العميق بالجنود، ورغبة في الحفاظ على استمرار الرابطة بين أبنائهم وأجدادهم، لأن السكن كما تمت الإشارة هو جزء من الهوية والانتماء، وملاذا للعودة في أوقات الراحة والفراغ والمناسبات. مما يرسخ حضورهم الرمزي والمادي داخل جماعة أدرج.

• أما بخصوص النار الحمراء:

فينطبق عليها ما لوحظ بأدرج، حيث أصبح "الإسمنت المادة الأساسية في البناء لدى السكان باعتباره رمزا للبرقي والتطور من خلال عائدات الهجرة لأنهم يتوفرون على الإمكانيات المادية التي تضمن لهم تملك السكن/المجال كأحد أهم عناصر الترقية الاجتماعية. (Naciri, (M), 1996, pp :185-205). فمن جهة هذا التطلع يترجم برغبة الأسر في تحسين أوضاعها المعيشية، ومن جهة أخرى فشكله الحديث (المتطور) يحدث مفارقة صارخة بين الشكل العصري وطبيعة المجال التقليدية. ما يجعله عبئا بدل أن يكون جزء منه. هذا الوضع المعقد بين الأصالة والتحديث وبين الحاجة للتغيير والحفاظ على الهوية المحلية يمثل جزءا من التحول الحاصل على مستوى السكن. الذي يعتبر في الأصل "وحدة مجالية ووظيفية توفر في الوقت ذاته، المسكن للأسرة القروية، ومرافق متعددة خاصة بالنشاط الفلاحي، وأسلوب العيش القروي مخزن للمحاصيل الزراعية، حظيرة لإيواء الماشية، حريسة لدواب الجر، خم للدواجن، مرآب للأدوات الفلاحية...). (جنان لحسن، 2021، ص: 75). كما تبين الصور:

صورة رقم (9): سكن ريفي بالحجر



صورة رقم (10): سكن ريفي بالإسمنت



صورة رقم (11): سكن ريفي مختلط



صورة رقم (12): مرفق السكن الريفي



المصدر: تصوير شخصي، 2024

رغم ما يقدمه السكن الإسمنتي من مظاهر الحداثة في المجال الريفي كما تبين الصور، إلا أنه يعكس التحولات التي عرفها السكان على مستوى الذهنيات وأنماط العيش والرغبة في الرقي الاجتماعي والانفصال عن الحياة التقليدية. غير أن "هذا التحول تشوبه عشوائية في التخطيط مما يقضي إلى تغيير في المشهد الريفي بشكل سلبي لا يحافظ على الأصالة ولا يضيء العصرية والتقدم. حيث أضحت جل التجمعات السكانية تميل في مظهرها الخارجي اتجاه مزيد من التحضر. (Kerzazi, M, 2010, p : 9)

3.3.2 صفة حيافة السكن

تعتبر صفة الحيافة من بين المؤشرات الدالة على العلاقة الترابلية ونظ الاستقرار الذي يجمع الأسر بمناطقهم الأصلية. ففي ظل غياب توثيق عقاري شامل، تسود بعالية حوض مدار أنماط متنوعة من الحيافة. تتباين بين حيافة قانونية مملوكة بوثائق رسمية، وأخرى عرفية مستمدة من الأعراف أو متوارثة بين الأجيال.

وحسب الإحصائيات الرسمية تبين أن 42.9 في المئة ملاك لمساكنهم بأدرج و4.3 يعتمدون على الكراء والنسب المتبقية تبقى حيازة عفية. وبتأجيغت نلحظ غياب صفة المكثري على اعتبار أن هذا المجال الجبلي الموجود بالقمة لا يقطنه الغرباء وأغلب سكانه أصليين حيث تمثل فيه نسبة الملاكين لمنازلهم 85.6 في المئة. أما دار الحمراء تعرف نسبة ضئيلة من السكن المكثري بمعدل 1.2 والملاكين تتعدى نسبته 81 في المئة كما هو مثل في الجدول أدناه:

جدول رقم (3): توزيع صفة حيازة السكن بعالية حوض مدار

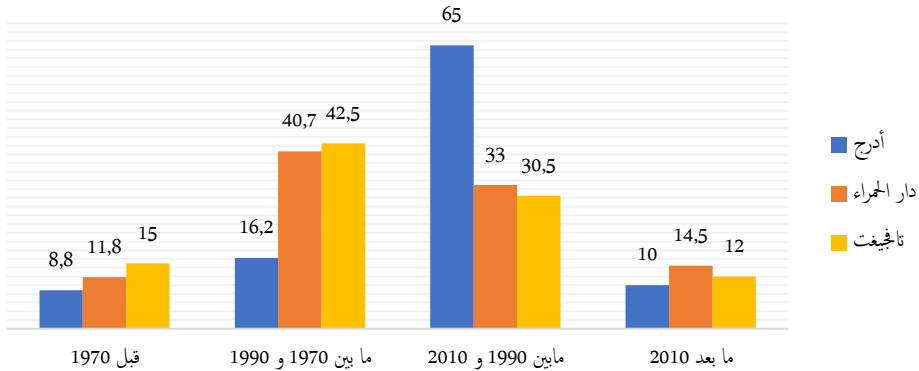
صفة الحيازة	أدرج	تأجيغت	دار الحمراء
مالك	42,9	85,6	81,9
مكثري	4,3	0	1,2

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط والإحصاء العام للسكان والسكنى 2024

يعزى هذا الاختلاف في صفة حيازة السكن الريفي الجبلي عن نمط العلاقة التي تربط عالية حوض مدار بأفراده، حيث يعكس درجة الهشاشة المحلية والاجتماعية التي يصعب في غالب الأحيان ربطها بالولوجيات الأساسية كالماء والكهرباء. إضافة على ذلك أنها لا تتوفر على ضمانات قانونية للاستفادة من برامج الدولة الخاصة بالدعم والقرض الخاص بالسكن. وبالتالي، نسجل من خلال الجدول أعلاه أن السكن التابع لصفة الحيازة (مالك) أضفى "طابع الاستقرار التام في ميدان السكن حيث يبقى هو السمة الأساسية التي تعكسها مختلف الأوساط المحلية. (نياري الحسين، 2000، ص: 171) ذلك أن نسبة المالكين تفوق 80 في المئة بتأجيغت ودار الحمراء و42 في المئة بأدرج مقابل الفئة المكثرية. حيث تعكس هذه النسب المهمة الأزمة السكنية التي تتخبط فيها الأسر الريفية خاصة المهاجرة منها والتي لم تجد بعد الطريق لتملك مسكنها.

3.3.3 تاريخ تشييد السكن والفاعل في تشييده

عرفت عالية حوض مدار تطورات تدريجية في أنماط السكن، باعتباره المرأة التي تعكس طبيعة المجتمع المحلي وتفاعله مع محيطه الطبيعي عبر الزمن. حيث تميز في فترات تاريخية بعيدة بأسلوب وطريقة تشييد بسيطة يساهم فيها جميع أفراد العائلة في تجسيد لروح الاكتفاء الذاتي والمعرفة التقليدية. ومع تعاقب التحولات التي عرفها المجال تغيرت الطريقة والمواد المستعملة في تشييده. ولم يعد السكن القديم حاضرا بقوة لأن أغلب الأسر تقوم بتحديثه وفق ما يتطلبه هذا العصر.

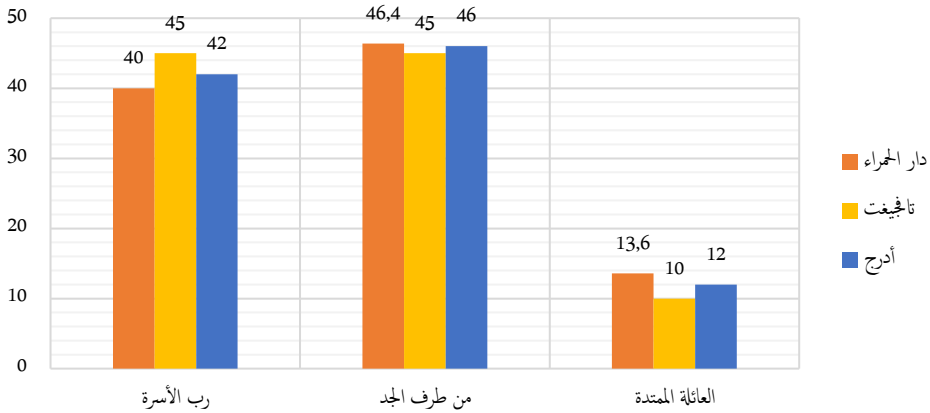


(العدد: 502 رب أسرة)

مبيان رقم (7): تاريخ بناء السكن بعالية حوض مدار

المصدر: العمل الميداني، 2024

أظهرت نتائج البحث الميداني عن تطور البنية السكنية والتغيرات التي طرأت عليها عبر فترات زمنية. حيث عرفت الفترة ما قبل 1970 سيادة البناء التقليدي المشيد بمواد أولية في تجمعات متفرقة ذات طابع قروي محض يعكس نمط الأنشطة الزراعية والرعوية. إذ مثلت تأجيجت نسبة ضعيفة لم تتجاوز 15% وأدريج 8.8% ودار الحمراء 11.8%. أما الفترة الممتدة بين 1970 و 1990 فقد شهدت تحول طفيف على النمط التقليدي للسكن بالاعتماد على بعض المواد الحديثة في البناء، ويشكل حضورا كبيرا بالجماعات الثلاث، حيث سجلت فيه تأجيجت ودار الحمراء أكبر النسب على التوالي 40.7% و 42.5% أما أدريج مثلت نسبة ضعيفة بمعدل 16.2%. وفي الفترة ما بين 1990 و 2010 عرفت المنطقة تعزيز التجهيزات الأساسية (الماء والكهرباء) مما أدى إلى ارتفاع وثيرة السكن خاصة وأن نمط السكن الفردي المستقل بدأ يفرض نفسه بشكل تدريجي متجاوزا نموذج الأسرة الممتدة، نتيجة عائدات الهجرة التي تشجع ولو بقسط بسيط الأفراد المهاجرين لامتلاك سكن يحتضنهم عند العودة. وغالبا يتضمن وظيفة السكن والأنشطة الفلاحية (التخزين، تربية الماشية). وقد سجل هذا النوع من السكن بأدريج نسبة كبيرة بمعدل 65% ودار الحمراء 33% وتأجيجت 30.5%. أما الفترة ما بعد سنة 2010 فقد توسعت الأنسجة السكنية على حساب الأراضي الفلاحية وازداد الطلب على السكن المريح والمجهز، كما برز دور مؤسسات الدولة والجماعات المحلية في ضبط التوسع العمراني ولو بشكل محدود حيث سجل هذا النوع 14.5% بدار الحمراء و 12% بتأجيجت و 10% بأدريج.



(العدد: 502 رب أسرة)

مبيان رقم (8): توزيع الفاعل في إنتاج السكن بعالية حوض مدار

المصدر: العمل الميداني، 2024

تعتبر الأسرة بعالية حوض مدار مكون أساسي خصوصا في عملية السكن. إذ كانت العائلة الممتدة المكونة من الجد والجدة والأعمام كنواة رئيسية، تتخللها أنواع التعاون والتضامن بين أفرادها. ولعبت دورا محوريا من خلال توفير اليد العاملة والمواد المحلية والدعم الاجتماعي. حيث يتم تشييد المباني على أراضي مشتركة، مما يخلق تجمعات سكنية متماسكة تحترم التسلسل الهرمي للعائلة. وهذا النوع من السكن الأصيل لم يتبقى منه في عالية حوض مدار الأعلى إلا نسبة ضئيلة لم تتجاوز 13 في المئة بدار الحمراء وأدرج 12 في المئة وتافجيجت 10 بالمئة. لكن المرجعية العائلية لا تزال حاضرة بقوة. ثم البناء المشيد من طرف الجد يسجل بأدرج ودار الحمراء معدل 46 في المئة لكليهما، وتافجيجت 45 في المئة. أما السكن المبني من طرف رب الأسر فيمثل نسبة كبيرة متقاربة بين الجماعات الثلاث كما يوضح المبيان إذ لم تتجاوز 45 في المئة بتافجيجت وأدرج 42 في المئة ودار الحمراء 40 في المئة. يعزى هذا المؤشر على المكانة الاعتبارية للأسرة داخل النمط العائلي الذي يجسد منطق المجال الوراثي، حيث تنتقل المباني السكنية عبر الأجيال السابقة ليتم تدبيرها في إطار عائلي ممتد، لكن بعد رياح التغير والتقدم العمراني الذي جاءت به الهجرة والاحتكاك بالمجالات الحضرية أصبح هذا النمط يتراجع بظهور أشكال جديدة وظهور رب الأسرة والأبناء المهاجرين كداعم جديد للبناء.

خاتمة

يمكن اعتبار المجال الجبلي بعالية حوض مدار من المناطق التي راكمت مختلف التحولات المرتبطة بالنمو الديمغرافي والهجرة والعوامل الأخرى المتمثلة في التغيرات المناخية التي لا تقل أهمية عنها. وخلافا لما تؤكدته الدراسات حول تأثير الهجرة سواء داخلية أو خارجية على إعادة تشكيل أنماط الاستقرار والسكن في المناطق الأصلية. أثبتت النتائج التي توصلنا إليها أن الهجرة بعالية حوض مدار لا تساهم في إعادة انتاج السكن بشكل كبير، وإذا ساهمت تكون بقسط بسيط لا يتجاوز نسبة استثمار عائدات الهجرة فيه عن نسبة 5.5 في المئة بدار الحمراء و7.5 في المئة بتافيجت و6 في المئة بأدرج. وبالتالي فهذه المساهمة رغم قلتها تبقى حاضرة في المشهد المجالي بحوض مدار الأعلى؛ وتفضي إلى مفارقة بين عمران سريع ومتطور وبين بنايات تحتية متعثرة تسير بإيقاع بطيء لا يواكب حجم التغيرات. الشيء الذي أدى إلى خلق مجال هجين نسبيا؛ لا هو ريفي محض ولا حضري متكامل.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- بوجروف السعيد، 2007، الجبال المغربية أي تهينة؟"، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، تخصص جغرافيا التهينة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش.
- ثابت يحيى، 1998، حزام التعبير الناقى الجديد في مدينة وجدة، الآليات وأشكال التطور، دبلوم الدراسات العليا في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة.
- جدي حفيظ، 2014، انعكاسات الهجرة الدولية على التنمية المحلية: حالة محاجري دائرة تاونات بمنطقة أفيون، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس.
- جريدة الاتحاد الاشتراكي الورقية، يوم الأربعاء 12 فبراير 2025 الموافق 13 شعبان 1446، العدد 13.963.
- فحال نجلاء، 2006، السكن القروي بجماعة الور تزاغ إقليم تاونات، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة.
- نياري الحسين، 2000، مركز المنزل التمدن وممارسة المجال الحضري، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز، فاس.
- عني عبد الرحيم، 2018، الأسرة القروية بالمغرب: من الوحدة الإنتاجية إلى الاستهلاك، أكادير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، أكادير.

المراجع باللغة الأجنبية:

- erzazi. M, 2010 : L'urbanisation des campagnes au Maroc, in L'urbanisation des campagnes au Maroc, Publication du FLSH Rabat, séré : collègues et séminaires N 162.
- Naciri (M), 1996, Développement et maitrise de l'espace, in : Sedjari (A) (sous-direction), Etat -nation et prospective des territoires, édition L'hrmattan.

أثر الإفتاء المؤسسي في الحد من فوضى الإفتاء مجمع الفقه الإسلامي الدولي نموذجا

إدريس أبيديمي تيجاني أحمد

طالب باحث في سلك الدكتوراه

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - وجدة

جامعة محمد الأول - وجدة

المغرب

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهمية تنظيم الفتوى في العالم الإسلامي والارتقاء بمستواها وبمستوى وسائل الاجتهاد فيها، والدعوة إلى ضرورة علاج فوضى الإفتاء في إطار عمل مؤسسي منشود، حيث عرف بخطورة فوضى الفتوى وأسبابها ومظاهرها، ووصف علاجها من خلال مؤسسة الفتوى والانتقال منها من العمل الفردي أو الجماعي غير منظم إلى إطار مؤسسي شامل يستفيد من جهود العلماء والخبراء والمتخصصين، وبخاصة في قضايا الأمة الكبرى أو قضايا ذات طبيعة تخصصية، وقد حاول البحث الإجابة على عدد من التساؤلات المرتبطة بهذه الجزئيات وهي: ما حقيقة فوضى الإفتاء ومظاهرها؟ ما هي مسوغات الإفتاء المؤسسي في صناعة الفتوى؟ ما هي ثمرات الإفتاء المؤسسي وأثره في علاج فوضى الإفتاء؟، واستخدم الباحث نموذج مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي مثالا على العمل المؤسسي البناء وتتبع بعض خطواته للحد من فوضى الإفتاء وعلاج مظاهرها، وتوصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن إشكالية فوضى الإفتاء صاحبت حركة الفتوى من القرون الأولى، وازداد خطرها في العصر الحديث بسبب ثورة التقنية والفضاء المفتوح، واكتشف الباحث أن الإفتاء المؤسسي أحد الطرق المناسبة لعلاج فوضى الإفتاء في هذا العصر، وأشاد بجهود مجمع الفقه الإسلامي الدولي كنموذج مؤسسي معاصر في ضبط صناعة الإفتاء الصحيح ومعالجة فوضى الإفتاء.

الكلمات المفتاحية:

الإفتاء المؤسسي - فوضى الإفتاء - مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

تيجاني أحمد، إدريس أبيديمي. (2025، يوليو). أثر الإفتاء المؤسسي في الحد من فوضى الإفتاء: مجمع الفقه الإسلامي الدولي نموذجا. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 7، المجلد 2، السنة 2، ص 38-55.

مقدمة

فوضى الإفتاء في الدين ظاهرة قديمة حذر عنها العلماء الراسخون وسعوا في تخفيف بناييعها وأسبابها، واشتد النكير على أدعياء الفتوى وهم أساس الفوضى بموجب النصوص الشرعية الصريحة التي حرمت القول على الله بغير علم، وأوعدت بالعذاب الشديد للمستتر الذي يقتحم هذا المجال¹، ويكفي في هذا التحريم أن الله سبحانه عدّ الفاعل من أتباع الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 169]، واعتبر صنيعه من أعظم المحرمات فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (33) [الأعراف: 33] فقد جعل القول عليه بلا علم أعظم المحرمات الأربع التي لا تباح بحال².

ومن أجل ذلك أوجب الله تعالى على الأمة رحمة بهم الترفع عن ادعاء العلم، فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: 116]. وألزم المولى سبحانه أهل العلم إبلاغ الناس أحكام الدين، وإبصارهم بما أحب الله وشرع، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187]، فكان أداء العلم وإبلاغه لمن لا يعلم أمانة على عنق العالم المؤهل.

وظل الإفتاء في الدين حلقة الوصل بين أحكام الشريعة والمكلفين، والمفتي "مناطق الأحكام، وملاذ الخلائق في تفاصيل الحلال والحرام"³، وكان شأن الإفتاء في الإسلام عظيماً، واقتحامه دون معرفة مرتع وخيم؛ وكان العلماء يتسببون لأن الخطأ في الفتوى بدون أهلية ولا اجتهد تقول على الله بغير علم يستوجب صاحبه الوزر والضمان⁴. جاء عن الإمام مالك أنه كان إذا سئل عن مسألة كأنه واقف بين الجنة والنار، وعلق عليه الخطيب قائلاً: "يحق للمفتي أن يكون كذلك، وقد جعله السائل الحجة له عند الله، وقلده فيما قال"⁵.

وقد شهدت صناعة الفتوى عبر العصور المتعاقبة أساليب متنوعة في ضبط المفتين وتنظيم أدوارهم، والحد من فوضى الإفتاء، فكان من مهام أمير المؤمنين أن يتولى اختيار المفتين كأبي منصب رسمي في الدولة، ويقوم بتصفح أحوالهم، وإذا رأى من يصلح للفتوى أقره عليها، ومن لم يكن كذلك منعه وأوعده بالعقوبة إن لم يتوقف.

¹ أعلام الموقعين عن رب العالمين (132/4).

² المصدر السابق.

³ البرهان في أصول الفقه للجويني (1330/2).

⁴ جاء في حاشية الدسوقي (444/3) قوله: "لا شيء على مجتهد أتلف شيئاً بفتواه وضمن غير المجتهد إن نصبه السلطان، أو نائبه للفتوى؛ لأنها كوظيفة عمل قصر فيها".

⁵ أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (354/2). وعنه ابن الجوزي في تعظيم الفتيا (78).

وكان بنو أمية يعينون قوما في مواسم الحج لا يستفتى أحد سواهم¹. وهذا لا شك نوع من آليات تنظيم عملية الإفتاء في التاريخ الإسلامي².

ثم اشتهر في زمن الصحابة رضوان الله عليهم الإفتاء المبني على الشورى بين كبارهم من أهل الحل والعقد، يمكن أن يستلهم منه مبادئ الإفتاء الجماعي المؤسسي المعاصر، وقد تحدث عنه الإمام البخاري في صحيحه، فقال: "كانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم، في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها"³. واتضح هذا الأمر أكثر في سياسة الخليفة الثاني عمر الفاروق رضي الله عنه، فإنه كان لا يقطع في نازلة حتى يستفتي كبار الصحابة من أهل العلم⁴.

وهذا الإفتاء الجماعي اعتبر بعد ذلك أصح الإجماعات⁵، ثم تعذر ذلك بسبب توسع رقعة المسلمين، فاختلف هذا النوع من الإفتاء وآثر الناس الاجتهاد الفردي، ثم ظهرت مع مطلع القرن الماضي الدعوة إلى إحيائه، وهي التي أنتجت ما يمكن أن نطلق عليه اليوم بالإفتاء الرسمي المتمثل في دور الإفتاء ولجانه، ومجامع الفقه الإسلامي الإقليمية والدولية.

وقد اخترت هذا الموضوع ليكون محل البحث تنويعاً بأهمية تنظيم الفتوى والارتقاء بمستواها وبمستوى وسائل الاجتهاد فيها، والدعوة إلى ضرورة علاج فوضى الإفتاء في إطار عمل مؤسسي منشود. وهذا الهدف يتواءم مع قرار رقم 153 (17/2) لمجمع الفقه الإسلامي الدولي ما نصه: بما أنّ كثيراً من القضايا المعاصرة هي معقدة ومركبة فإن الوصول إلى معرفتها وإدراك حكمها يقتضي أن تكون الفتوى جماعية، ولا يتحقق ذلك إلا بالرجوع إلى هيئات الفتوى ومجالسها والمجامع الفقهية.

وقد التزمت بمنهج الوصفي التحليلي في جمع مادة هذه الدراسة وعرضها ورصد أبعاد جزئياتها، محاولاً الإجابة على هذه الأسئلة التالية:

1. ما حقيقة فوضى الإفتاء ومظاهرها في المجتمع المعاصر؟
2. ما هي مسوغات الإفتاء المؤسسي في صناعة الفتوى؟
3. ما هي ثمرات الإفتاء المؤسسي وأثره في علاج فوضى الإفتاء؟

¹ الفقيه والمتفقه (334/2)؛ البحر الرائق شرح كثر الدقائق (291/6)؛ صفة الفتوى والمتفتي والمستفتي (24).

² فقد كان أمراء بني أمية يمنعون أن يفتي أحد في موسم الحج إلا عطاء ومجاهد. انظر: شذرات الذهب (70/2).

³ ذكره البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى "وأمرهم شورى بينهم".

⁴ أخرج ابن بطة في إبطال الحيل، عن ابن حصين، أنه قال: "إن أئمتهم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر". انظر: كتاب إبطال الحيل (62).

⁵ إرشاد الفحول (196/1).

1. مفهوم الفتوى

2. فوضى الإفتاء

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهلهم سـادوا

والمقصود بفوضى الإفتاء اختلاط وتضارب في الفتاوى بسبب صدورها من جهات متعددة - رسمية وغير رسمية - مما أفرز كثيرا من الفتاوى الشاذة الخارج عن السياق، المخالفة لمناهج الإفتاء الصحيح¹.

3. مفهوم مؤسسة الفتوى والإفتاء المؤسسي

المؤسسة من أصل أسس، والمؤسسة صيغة المؤنث لاسم مفعول "أسس"، وتعني المنشأة التي وضعت لغرض معين، أو لمنفعة عامة ولديها من الموارد ما تمارس فيه هذه المنفعة².

أما كلمة المؤسسة فهي مولدة، أتت على غير قياس، وتعني في هذه الدراسة: تسيير خطوات الإفتاء على أساس التعاون المنظم والمستمر، يحكمها لأتحة العمل والهدف الذي يرجى تحقيقه. ومن هنا يختلف العمل المؤسسي عن مجرد العمل الجماعي الذي يقوم به مجموعة من الناس في وحدات، ويكون القرار النهائي يرجع إلى شخص واحد منهم³.

المبحث الأول: فوضى الإفتاء ومظاهرها

إن أسباب فوضى الإفتاء في هذا العصر كثيرة يصعب حصرها، فمنها ما يخص المفتي وأهليته، ومنها ما يتعلق بالمستفتي، ومنها ما يعود إلى طبيعة الوسيلة الإعلامية المعتمد في نقل الفتوى وإبلاغها. وقد ركز اهتمام كتب التراث على النوع الأول بإسهاب، وربما نال الجانب الخاص بالمستفتي بعض الشرح، أما النوع الثالث فالحديث عنه قليل، وإنما استشرى أمره أكثر في هذا العصر بسبب الانفتاح الواسع للتقنية ووسائل التواصل والإعلام المتنوعة.

المطلب الأول - أسباب خاصة بالمفتي

اتفقت كلمة العلماء في شروط المفتي على أن يكون مؤهلا تأهيلا كاملا ليكون موقعا عن الله تعالى بتمام العلم والمعرفة، وأن يستعين لهذا المنصب بالعلوم الشرعية وبغيرها، وإذا خالف هذا الأمر فإنه ينتج عنه وجود فوضى في الإفتاء ومن مظاهرها:

1. ظهور الفتاوى المعارضة أو المناقضة للمبادئ الشرعية العامة، فإن المفتي غير المؤهل قد يجيب السائل مخافة أن يوسم بعدم الكفاءة أو ضعف التحصيل فيرتجل الحكم حين السؤال مباشرة ليخرج من إحراج الموقف، فيكون سبب ذلك مخالفا للرأي الصحيح⁴.

¹ عطية، سمحاء عبد المنعم. (2021). فوضى الفتاوى الإلكترونية أسبابها نتائجها سبل القضاء عليها، مجلة قطاع الشريعة والقانون، العدد 12، ص (407-484).

² معجم اللغة العربية المعاصرة (93/1).

³ المؤسسة بين التنظير والممارسة، مجلة البيان، العدد (296)، ربيع الثاني 1433هـ.

⁴ فوضى الفتاوى الإلكترونية أسبابها، نتائجها، سبل القضاء عليها (454).

2. الجمود على ظواهر النصوص دون الالتفات إلى متغيرات الواقع والأعراف والعوائد والمصالح. مثاله: الفتوى بعدم وجوب توثيق عقد الزواج، اعتماداً على ما هو مسطور في التراث الفقهي، دون مراعاة مصلحة صيانة حقوق المرأة والأولاد في زمن ضاعت الذمم وقل فيه الوازع الديني¹، وفتوى عدم جريان الربا في العملات الورقية²، والصواب أن النقود الورقية؛ لها حكم الذهب والفضة في جريان الربا بنوعيه فيها، وعليه صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة، رقم 21 (9/3).

3. القراءة المختزلة للمسألة قبل الإفتاء، ويعرف هذا من خلال الأدلة التي يعتمد عليها المفتي ناقلاً كان أم لا، حيث يعمل بعض النصوص ويهمل الأخرى، ويعطل بعض قواعد الفقه العامة ومبادئ الشريعة الكلية، فيبني الحكم بنظره القاصر على نصوص جزئية، مثال ذلك فتوى تحريم أداء زكاة الفطر بالقيمة ووقفاً على العلة الظاهرة من الحديث³، ولم يلتفت إلى المقصد الشرعي من الحديث من تحقيق مصلحة إغناء الفقير عن السؤال يوم العيد⁴.

4. التعصب والتقليد الأعمى للفتوى المنشورة إذا نسبت إلى عالم مشهور، فيعتقد صحة مذهبه واختياراته دائماً، ويعرض عن البحث والتتبع، ويتعامل مع كلامه كأنه وحي منزل، وإذا وجد رأياً يعارض ما ذهب إليه شيخه رمى صاحبه بالجهل والضلالة أو البدعة.

المطلب الثاني - أسباب خاصة بالمستفتي:

إن السبب الرئيسي لفوضى الإفتاء من قبل المستفتي مخالفته لآداب الاستفتاء، فقد خصص الفقهاء مجموعة من الآداب الشرعية للمستفتي الذي يطلب حكم الدين فيما يحمله، وأوجبوا عليه أن يتحرى لسؤاله العالم المتمكن في مجاله، وأنه لا يقدم على أمر دون معرفة حكم الله تعالى فيه⁵، ولكن للأسف تظهر من قبل المستفتين كذلك بعض التجاوزات ينتج عنها فوضى الإفتاء، ومن مظاهرها:

¹ البشير، عصام، مزالق الفتوى في عالمنا المعاصر، الريسوني، قطب، صناعة الفتوى في القضايا المعاصرة (318).

² صناعة الفتوى في القضايا المعاصرة (318).

³ حديث أبي سعيد الخدري (كما تخرج زكاة الفطر، صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب)، أخرجه البخاري في أبواب صدقة الفطر (1435)، ومسلم في الزكاة (985).

⁴ وأداء زكاة الفطر بالقيمة هو اختيار مذهب الحنفية وخالفوا جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة الذين اعتبروا إخراج زكاة الفطر طعاماً يوافق ما جاء به النص وهو عمل تعبدى.. ينظر: حاشية ابن عابدين (79/2)، حاشية الدسوقي (508/1)، مغني المحتاج (116/3)، الفروع (540/2).

⁵ آداب الفتوى والمفتي والمستفتي (71)

1. توجيه السؤال إلى غير فقيه بمجرد انتسابه إلى العلم، دون أكثر من مجالات التخصص والأهلية والأفضلية، وترك المستفتي البحث والتحري نوع من التجاوزات التي تخلق فوضى الإفتاء، والمستفتي المتجاوز ينال نصيباً من عقوبة القول على الله بغير علم¹.

2. طلب المستفتي الجواب الموافق لهواه المحقق لغايته، حيث يتحرى لسؤاله المفتي الذي يحقق مقصوده ويبلغه مراده، فيتحايل بسؤله أو يتبع رخص العلماء، بل قد يلق في المسألة الواحدة أحياناً، فيكون سبباً في إبطال حق ثابت، وإثبات باطل، لذلك كان على المفتي أن يتبصر لمكر الناس، ويكون حذراً فطناً فقيهاً بأحوال الناس حتى لا ينزلق معه في قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: 50]².

3. العمل بالفتوى دون طلب الوقوف على المفتي: صورته أن يقوم المستفتي بالعمل بناء على فتوى عالم دون الرجوع إليه، ويجوز هذا التصرف بشرط التأكد من نسبة القول إلى العالم المذكور صحيحة³. أما أن يأخذ بأي قول دون البحث عن قائله وصحة نسبته إليه فإنه مما يشهر القول الشاذ.

المطلب الثالث - أسباب خاصة بوسائل الاتصال والإعلام

لا شك أن وسائل الإفتاء والتعليم يلعب دوراً محورياً في نشر العلوم وتوصيل الفقه إلى المتلقين، لذلك أعطيت جانباً من الاهتمام، فقد ذكر النووي طريقة ضبط الخط عند المراسلة للفتوى⁴. لكن مع التقدم الملحوظ في هذا العصر أصبحت أدوات التواصل والاتصال متطورة، مثل القنوات الفضائية والإذاعية، ووسائل الاتصال المباشرة مثل الهواتف الذكية، ومواقع التواصل الاجتماعي، وتفاقم الموضوع حتى استحال ضبط الفتوى عبر هذه الوسائل، وزادت فوضى الإفتاء حتى خرجت عن السيطرة.

ويشهد لهذا تقرير المؤشر العالمي للفتوى التابع لدار الإفتاء المصرية والأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم (GFI)، حيث نص أن أبرز أسباب فوضى الفتاوى الخاصة بالمفتي هي: التطور التكنولوجي واتساع الفضاء الرقمي، وتصدر غير المؤهلين للفتوى، والتشويش على المؤسسة الدينية الرسمية المسؤولة عن الإفتاء، والتسرع في إصدار الفتوى، وطلب الشهرة والترند...⁵.

¹ المصدر السابق.

² أعلام الموقعين (199/4).

³ أعلام الموقعين (204/4)، أدب المفتي والمستفتي (168).

⁴ آداب الفتوى والمفتي والمستفتي (84-85).

⁵ "المؤشر العالمي للفتوى" يعرض أحدث دراساته حول إشكالية "الفتاوى العشوائية" في الندوة الدولية "الفتوى والأمن الفكري"، موقع دار الإفتاء المصرية:

<https://www.dar-alifta.org/ar/articles/details/9813/>

ومن مظاهر فوضى الإفتاء على وسائل الإعلام الحديث ومواقع التواصل الاجتماعي:

1. صعوبة تثبيت المفتي من حال السائل: فإن المفتي في وسائل الإعلام المعاصرة يغلب على إجابته التسرع وعدم التثبت من السؤال أو التفرس من السائل، وإنما يكتفي بما ظهر له من السؤال. ولا شك أن التثبت من حال المستفتي لإصابة الفتوى ضروري، فالإجابات قد تختلف باختلاف أحوال المستفتين، فلا يجوز تعميم الفتوى بحالة واحدة منها على الكل، وإن فعل فإنه يفضي إلى إفتاء الناس من غير تثبت، وهذا نوع من فوضى الفتوى. والأغرب من ذلك أن المستفتي أحياناً يطالع على المنشور في إحدى الوسائل الإلكترونية فيتلقفه ويعمل به بمجرد أن الحالة المذكورة شبيهة بحالته، ولقلة علمه الشرعي يزعم أنها مثل حالته فيبني العمل على حكم خاطئ ويكون قد أساء¹.

2. غياب المصادقية عن بعض المواقع الإلكترونية التي تنقل الفتاوى الدينية: فقد شاهدنا نسبة عالية من المواقع الإلكترونية التي تنشر الفتاوى الخاصة بأمور الدين، تستغلها لأغراض تجارية فلا تراعي جانب المصادقية والأمانة العلمية والدينية، فينشر أصحابها الغرائب التي تشد اهتمام العامة، وغرضهم الأول كسب التصفح والمقروئية والمتابعة، والمكافآت المادية التي تمنح لهم².

3. الاضطراب والتناقض الشديد في فتاوى الإنترنت وذلك لكثرة الفتاوى المتشابهة، أو كثرة الأسئلة المتقاربة، ووجود الإحالات أو الروابط التي تذكر مع الفتوى الواحدة مما يجعل المتلقي في حيرة من أمره، ويضطر إلى القراءة والبحث المطول في ثنايا الروابط، وفي النهاية يضيع الوقت ولا يستفيد من المحاولات إلا زيادة الشك³.

المبحث الثاني: مأسسة الفتوى والفتوى الجماعية

إن تأهيل المفتين عبر المؤسسات ودور الإفتاء الإسلامي وتطبيق آليات المؤسسة على صناعة الإفتاء مما يحد من الفوضى المذكورة ويعالج مشكلة انتشار الفتاوى الشاذة وتداولها على أوسع نطاق.

¹ النجران، سليمان. (2021). التثبيت في الفتوى في وسائل الإعلام المعاصرة مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، مج 54، ع 197، ص 673-728.

² أحمد، إدريس أبيدي، آداب التعامل مع فتاوى الإنترنت (36)، جمعية البلاغ الثقافية، إسلام أون لاين- دار روزا، قطر، الطبعة الأولى، 1446هـ - 2024م.

³ المرجع السابق (44).

المطلب الأول: أهم مسوغات الإفتاء المؤسسي¹:

1. الأثر الإيجابي لعملية المؤسسة: فقد صارت المؤسسة رمز التقدم والاستقلالية والفاعلية في أنظمة دول العالم، لما لها من تأثير مباشر على حياة الناس، ودولة المؤسسات اليوم تعتمد في إصدار القرارات وتفعيلها ضمن أنظمة مؤسساتها، والتي هي في الغالب هيئة مستقلة عن سلطة الدولة، وذلك لضمان سلامة القرارات، وفعاليتها ومناسبتها لواقع الناس². ودوائر الإفتاء تحتاج إلى المؤسسة من جهتين:

أ. سلامة منهج الإفتاء، فإن أغلب المسائل المعروضة تعكس حاجات العصر، لذلك كانت تأتي معقدة ومركبة ومتشابكة، وإن صهام انضباط الفتوى وسلامتها تتحقق فقط عندما تبرز فيها جودة الصنعة الفقهية، ويستدعي خضوع الجواب لآلية المؤسسة³.

ب. حرية المفتين والتخلص من التسييس، ولا يتأتى ذلك لدوائر الإفتاء أن يتحرر في اجتهادها إلا إذا تبنت منظومة مؤسسية، تحظى بالاستقلالية⁴. وهذا لا يعارض دور الإشراف الحكومي على الإفتاء الذي يشمل الرقابة والتفقد، وضمان حرية الممارسة، ودرء أسباب الفوضى والاختلال⁵.

2. سعة وسائل المعلومات والبيانات المعاصرة: فإن تقدم الثورة التكنولوجية المعاصرة، وتنوع وسائل التعليم والتواصل يوجب على دوائر الإفتاء أن توظف هذه المعطيات العصرية في توسيع بيانات الفتوى من خلال تشكيل جهاز معلوماتي بحثي مرن يوفر لمكتب الإفتاء قاعدة بيانات بحثية معلوماتية حيال قضايا الأمة، والنوازل المستجدة، وإنشاء مكتب مشورة، يقوم على توفير منسقين مهمتهم التواصل مع أهل الاختصاص لتقييم المعلومات المتخصصة⁶.

3. الحفاظ على البعد المرجعي لدوائر الإفتاء في قضايا الأمة: فإن البت في قضايا الأمة بشكل انفرادي قد يحدث بلابل وفوضى عارمة، ومن ثم يؤثر سلباً على حصانة دوائر الإفتاء ومكاتها مرجعية دينية، وقد

¹ أهمية الإفتاء المؤسسي، تركي عيسى المطيري، من منشورات موقع إدارة الإفتاء الإلكتروني في الكويت:

<http://site.islam.gov.kw/eftaa/MainSection/Pages/MainSection04.aspx>

عولة الفتوى مالها وما عليها (86).

² العمروسي، غادة، (2012). موقف الفقه الإسلامي من عمل المرأة بالقضاء في ظل دولة المؤسسات، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية

³ نحو تداول الفتوى المؤسسية عبر مواقع إلكترونية لضبط المنهجية الإفتائية، مجلة دار الإفتاء المصرية، العدد 46، (12-65).

⁴ المؤسسات الدينية الرسمية والفتوى، وسام فؤاد، بحث منشور ضمن كتاب "حراسة الإيمان، المؤسسات الدينية"، (233-236).

⁵ صناعة الفتوى في القضايا المعاصرة معالم وضوابط وتصحيحات (359).

⁶ مقالة بعنوان: "فتوى الغاز وتجديد البنية المؤسسية الفقهية"، وسام فؤاد، شبكة أون إسلام. نت، صفحة فقه وتركبة، 3-8-2008م. رابط:

<http://www.onislam.net/arabic/fiqh-a-tazkia/fiqh-papers/8084/108195-2008-08-03%2015-32-24.html>

صدق من اعتبر الفتوى الفردية في زمن أسلافنا ضرورة زمنية، وأن الاستقرار عليها يسبب ضرراً على الأمة، والضرر يزال كما ثبت في القاعدة¹.

كما أن مؤسسة المرجعية تضمن لدور الإفتاء في العالم الإسلامي العمل وفق رؤية شاملة بمنهجية مدروسة تحقق استقراراً للمجتمعات تشريعياً ودينياً واجتماعياً، وتسعى في توحيد الرؤى الشرعية المختلفة في المسائل العامة والخاصة، وهي بهذه الصفة تلعب دوراً مسانداً للدولة باعتبارها قلباً مهماً لإدارة الحياة بشكل عام².

ثم إن الحفاظ على مرجعية الإفتاء عن طريق المؤسسة يعين على صيانة هوية الأمة في قضاياها الكبرى، ويخرجها من الفوضى واضطراب المواقف، وقد علمنا أن قضايا الأمة مما يشغل الرأي العام، وهي أحد أسباب ظهور آراء ومقالات ومواقف يغلب عليها الفردية، والعامة سوف يفرعون فيها إلى العلماء لطلب الجواب الكافي، وهذا يوجب أن تنال المرجعية الدينية في الإفتاء أعلى الرعاية³.

4. الأخذ بمبدأ الشورى في أمور الإفتاء: إن مؤسسة الإفتاء تتطلب أن يتم الإفتاء بمجهود متكافئة من لجنة الإفتاء على أساس شوري، لأن القرار الفردي في ظل المؤسسة يخرم في فاعليتها، كما أنه يعرضها إلى مخاطر، كإضعاف مصداقية اللجنة، أو تضارب الفتوى، أو تسييسها، أو إحداث حالة التفتت (حروب الفتوى)، ولاجتناب هذه الآفات، يلزم اعتبار العمل على أساس شوري وخصوصاً في قضايا الأمة الكبرى، والتي تمس كيان الأمة وهويتها ومصيرها، فإن الإفتاء برأي مرتجل يفضي إلى الفتن.

يقول القرضاوي: "ينبغي في القضايا الجديدة أن تنتقل من الاجتهاد الفردي إلى الاجتهاد الجماعي، الذي يتشاور فيه أهل العلم في القضايا المطروحة، وخصوصاً فيما يكون له طابع العموم وبهم جمهور الناس. فرأي الجماعة أقرب إلى الصواب من رأي الفرد، مهما علا كعبه في العلم، فقد يلمح شخص جانباً في الموضوع لا ينتبه له آخر، وقد يحفظ شخص ما يغيب عن غيره، وقد تبرز المناقشة نقاطاً كانت خفية، أو تجلي أموراً كانت غامضة، أو تذكر بأشياء كانت منسية، وهذه من بركات الشورى، ومن ثمار العمل الجماعي دائماً، عمل الفريق، أو عمل المؤسسة، بدل عمل الأفراد"⁴.

¹ رحاني، إبراهيم، ونور الدين، حادي. (2015). الفتاوى المعاصرة بين ضوابط الشريعة ومتطلبات الواقع. مجلة البحوث والدراسات، العدد (19)، السنة

12، ص 61-100.

² المرجعية ومؤسسات الفتوى، مجلد (2)، صفحة (95).

³ فتاوى الأمة وأصول الفقه الحضاري، سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، مجلة الإحياء، المملكة المغربية، (1430هـ - 2009م)، عدد (30)، (31)، صفحة (108 - 126).

⁴ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر (182).

المطلب الثاني: أثر المؤسسة في صناعة الفتوى والقضاء على الفوضى

للإفتاء المؤسسي - إلى جانب ما ذكر من مسوغات - أثر كبير على نتائج الفتوى، سواء من جانب المفتي أو المستفتي الفرد والمجتمع، فإنه يثري جانب الإدراك المعرفي والإحاطة بالمسألة المعروضة، خصوصاً في القضايا العلمية التخصصية، وذلك لأن الإجراءات التي يقوم عليها الإفتاء المؤسسي تشمل الفقهاء والباحثين والخبراء على حد سواء، في أجواء يسودها التعاون والتكامل وتوزيع المهام، وهذا بلا شك يرفع مستوى المنتج العلمي، بسبب صحة التصور واتساقه مع الواقع. أما الإجابة عن قضايا ذات طبيعة علمية وأبعاد تخصصية دون الرجوع إلى علماء التخصص، فإنه يربك الإجراءات المطلوبة للإفتاء، ويحد من سلامة التصور، وبالتالي يؤثر سلباً على الفتوى¹.

ثم إن مؤسسة دور الإفتاء تحد من التلاعب والتحايل بالفتوى، وهو أحد ملامح الفوضى، وذلك حين يستبد بإصدار الحكم فرد واحد في أوساط لفيف من العلماء، وهذا يعارض وظيفة الفتوى في بناء مشروع نهضوي للثقافة الإسلامية. وقد علمنا أن الفتوى الفردية في قضايا الأمة تفقد الصورة الذهنية التي عبر عنها العلماء في كونها إخباراً عن الله تعالى، وتفقد كذلك القيمة العلمية، فالمفتي حين يتصدر في موضوعات ليست له فيها دراية كافية، فإنه سيكون سبباً في التضييع والتزييف والتحريف².

وتفقد الفتوى الفردية كذلك القيمة العملية، إذ الغرض من إصدار الفتوى بناء العمل عليها، فإذا صدرت لصالح إدارة الصراعات السياسية مثلاً، فإن هذا نوع من التلاعب ويجرد الحكم من قيمته العملية لدى جمهور الأمة، فتكون عبارة عن حالة إعلامية محضة³.

أما أثر الإفتاء المؤسسي على جمهور الأمة، وعلى المستفتين على وجه الخصوص، فهو أمر واضح ملحوظ في المجتمع الحديث، فإن الفتاوى التي تخرج في صورة قرارات جاعية، من الجامعات الفقهية ولجان الإفتاء وغيرها، تبعث في الناس الثقة البالغة، والقناعة الصادقة، وتكسب العمل المؤسسي زيادة احترام العامة للرأي الشرعي، وتقدير المفتين، وتحمي من الشكوك والارتياب لدى المستفتي، كما أنها تساعد على فتح قناة حوار بين المفتين والمجتمع يتمتع فيه كلا الطرفين بالحرية⁴.

أما أعضاء هذه الجماع وهيئات الإفتاء فإنهم بحكم الانتساب يحظون بثقة كبيرة من عامة الناس، وهم حين يبدون آراءهم في أوساط العلم يتصرفون بكل حرية واستقلالية بعيداً عن الهلع والشخصانية والمحسوبية. يضاف

¹ المؤسسات الدينية الرسمية والفتوى (251).

² المؤسسات الدينية الرسمية والفتوى (251).

³ المرجع السابق.

⁴ المرجعية ومؤسسات الفتوى (106 - 109).

إلى ذلك ما يحظون به من الخبرة العلمية والدربة، والتعليم، وشحن الأذهان، وإعمال العقول، الذي يولده العلم الموفق بالممارسة.

يصدق على ذلك ما قاله أبو صالح أيوب بن سليمان¹: "الفتيا درية، وحضور الشورى في مجلس الحكم منفعه وتجربة"². وقال الماوردي حين حدد مواضع يلزم القاضي فيها مشاورة المفتين فقال: "نوازل حادثة لم يتقدم فيها قول لمتبوع أو ما اختلف فيه العلماء من مسائل الاجتهاد، فهو الذي يؤمر بالمشاورة فيها، ليتنبه بمذاكرتهم ومناظرتهم على ما يجوز أن يخفى عليه، حتى يستوضح بهم طريق الاجتهاد"³.

المبحث الثالث: جهود مجمع الفقه الدولي في علاج ظاهرة فوضى الإفتاء

يمثل مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق من منظمة التعاون الإسلامي أبرز نموذج عصري للإفتاء المؤسسي، حيث يتوفر في آليات صناعة قرارات مجلس المجمع مقومات المؤسسية، بداية من اعتماده على مبدأ التعاون والجماعية نظرياً وعملياً، والتكامل في العمل من خلال توظيف واستيعاب الجهود والمواهب والخبرات والتجارب والعلوم، ثم وضوح الأسس والمبادئ في إطار تنظيمي محدد، وتوزيع الأعمال والأدوار بين فرق العمل مراعيًا التخصص وعدم الجسار عليه، ثم انتهاء باعتماد المجمع على الغالبية في مرجعية القرارات.

يبلغ عدد قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي التي صدرت منذ نشأته بتاريخ (1401هـ - 1981م) مائتين ونيفاً بين قرارات وتوصيات في شتى مجالات الفقه الإسلامي، يغلب عليها روح الاجتهاد الجماعي ومبادئ الإفتاء المؤسسي، ووضوح القوانين والأهداف، والواقعية في طرح المسائل المستجدة، ثم الالتزام بالتروي والحياذية في إصدار القرارات، وقد وجدنا هذا المجلس في بعض المسائل يختار تأجيل البت فيها إلى مزيد من البحث والدراسة، وهذا الأمر يشير إلى جدية الطرح والموضوعية.

وقد رسم المجمع بفضل قراراته الفقهية المتنوعة إطاراً عاماً للأحكام الشرعية التي تنظم ممارسات المؤسسات الدينية والمالية والثروة الحيوانية وغيرها، وهو بذلك يلخص جهود علمية كبيرة التي شهدتها القرن الماضي، ويولي صيحات كبار فقهاء هذا العصر، أمثال محمد بن الحسن الحجوي الفاسي (1376هـ)⁴، ومصطفى الزرقا⁵ وابن عاشور (1393هـ)⁶ وغيرهم.

¹ أثوب بن شلجان بن هاشم أبو صالح المعافري، قرطبي وأصله من جيان. روى عن العتي، وأبي زيد، وعبد الله بن خالد وغيرهم. وكان إماماً في رأي مالك وأصحابه، مقدماً في الشورى، دارت عليه الفتيا في وقته، وكان بصيراً بالمناظرة في الفقه، كثير التصرف في آفانين العلم. ترتيب المدارك (150/5).

² المعيار العرب (79/10).

³ الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي (49/16).

⁴ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (2/ 499).

⁵ دور الفقه والاجتهاد في حل المشكلات (208): تاريخ التشريع الإسلامي (405).

⁶ مقاصد الشريعة الإسلامية (3/ 395).

وهذا الإفتاء الجمعي - خصوصا إذا تعرى من إنكار - يمكن مقارنته بالإجماع السكوتي¹، فحيث كان يتعذر تحقق الإجماع الصريح على مدار القرون، لصعوبة اتفاق الفقهاء جميعا على حكم واحد في النازلة الفقهية، وفق القواعد الأصولية المقررة، وبلغ غاية في الاستحالة بعد تفرق الدول الإسلامية، واحتفاظ كل دولة منها بأقاليم مستقلة والحكم الذاتي، لكن الاجتهاد الجماعي بصورته المصغرة قد أصبح أمرا واقعا بوجود المجمع الفقهي².

ولا ننسى أن الاجتماع بين العلماء بسبب الثورة العلمية والصناعية في هذا العصر قرب المسافات البعيدة، ورفع الحواجز المانعة، وأصبح الاجتهاد بين العلماء ومناقشة المسائل النازلة، وأخذ القرارات الدقيقة في المؤتمرات ميسورا لسهولة الاتصالات والمواصلات؛ لذلك كان من أولى مبادرات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته الأولى (1405هـ - 1984م)، بمكة المكرمة، قراره احتواء الشخصيات العلمية والفقهاء والباحثين ومجامع فقهية أخرى، من الأقاليم والبلدان الإسلامية المختلفة، وفوض هذه المهمة إلى الأمين العام، وذلك من خلال الاستعانة بقوائم الشخصيات العلمية التي تم عرضها وتوزيعها على الأعضاء في المجلس³.

ويبقى هذا العمل المؤسسي إنجازا نوعيا يسجل لعلماء القرن الرابع عشر الهجري، بما يتسم به من صفة الجماعية والمؤسسية، وقد أحدث ثورة فقهية هائلة بين المجمع الفقهي والبحثية المختلفة، وهياً سبيل التعلم والتفقه على المسائل المعاصرة من خلال القرارات والتوصيات العامة في شتى مجالات الحياة، منها الطب والصيرفة والأسرة وصناعة الحلال والمذاهب والفرق وغيرها.

ولا شك أن الاجتهاد الفقهي المؤسسي يجد من فوضى الإفتاء كما قال الزرقا، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي، من أربعة عقود مضت، أحرز تقدما ملحوظا في هذا، واستطاع أن يقلل من فوضى الإفتاء، وساهم في مجال تنظيم الإفتاء، ومن ملامح ذلك ما يلي:

1- المرجعية الفقهية المهمة في إصدار الأحكام الشرعية في هذا العصر: فقد جاء في النظام الأساسي للمجمع: اعتبار المجمع مرجعية إسلامية فقهية عامة من خلال الاستجابة المباشرة لدواعي إبداء الرأي الفقهي في مستجدات الحياة، وفي التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية⁴. وقد حاز نجاحا في هذه الرؤية فأصبحت

¹ يرى الباحث أن قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي ينطبق عليه الإجماع السكوتي معتمدا على التعريف الأصولي لذلك، قال في الإرشاد: هو أن يقول بعض أهل الاجتهاد بقول، وينتشر في المجتهدين من أهل ذلك العصر فيسكتون، ولا يظهر منهم اعتراف، ولا إنكار. انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (1/ 223).

² عيد، عادل عبد الفضيل، وسعد، طلبة إبراهيم، قرارات المجمع الفقهي في القضايا الأسرية.. دراسة مقارنة: مجلة مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي، مجلد (20)، العدد 60، ديسمبر (2016)، صفحات: 15 - 287.

³ إشارة إلى قرار رقم (4)، مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، الدورة الأولى، 1984م.

⁴ النظام الأساسي لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، المادة (3، 4)، منشور على موقع المجمع الرسمي: <https://iifa-aifi.org/ar>

قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي مرجعا للباحثين والشركات وصناع القرار، وهذا بلا شك ساهم في سد ثغرة غياب المرجعية الفقهية أو اضطرابها في بعض الدول التي عانت تصاعد وتيرة فوضى الفتوى وانعدام الثقة بالمفتين.

2- النشر الواسع لقرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي: وقد طبعت قرارات المجمع الأولى في مجلة علمية خاصة تضم جميع جلساته العلمية من الدورة الأولى حتى الدورة العشرين، إلى جانب ذلك أصدر كتابا خاصا في حدود خمسمائة صفحة يحتوي على تجريد القرارات الرسمية، وهذا لتوعية المهتمين بها وتسهيل وصولها بين يدي أوساط العلم وصناع القرار¹.

3- مواجعة الفتاوى الشاذة والمنحرفة: خصص مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي بعض دوراته العلمية لعلاج ما طرأ في عالم الإفتاء، وعقد في هذا الخصوص دورتين متباعدتين بينهما ثماني سنوات:

أ. في الدورة الحادية عشرة (1419هـ - 1998م)، نص قرار رقم 104 (11/7) بشأن سبل الاستفادة من النوازل (الفتاوى)² على التوصية بوجوب الحذر من الفتاوى التي لا تستند إلى أصل شرعي ولا تعتمد على أدلة معتبرة شرعاً، وإنما تستند على مصلحة موهومة ملغاة شرعاً. كما أوصى بدعوة القائمين بالإفتاء من علماء وهيئات ولجان إلى أخذ قرارات وتوصيات المجمع الفقهية بعين الاعتبار، سعياً إلى ضبط الفتاوى وتنسيقها وتوحيدها في العالم الإسلامي.

ب. في الدورة السابعة عشرة (1427هـ - 2006م)، نص قرار رقم 153 (17/2) بشأن الإفتاء وشروطه وآدابه³، على أهمية الفتوى الجماعية في القضايا المعاصرة، فقال: بما أن كثيراً من القضايا المعاصرة هي معقدة ومركبة فإن الوصول إلى معرفتها وإدراك حكمها يقتضي أن تكون الفتوى جماعية، ولا يتحقق ذلك إلا بالرجوع إلى هيئات الفتوى ومجالسها والمجمع الفقهية.

ت. قرر على أن الفتوى ملزمة ديانة على المسلم فلا يسع المسلم مخالفتها، ويجب على المؤسسات المالية التقيد بفتاوى هيئاتها الشرعية في إطار قرارات المجمع الفقهية. كذلك حدد جهات لا تؤخذ عنها الفتوى منها: الفتوى التي تنشر في وسائل الإعلام المختلفة لأن الكثير منها لا تصلح لغير السائل.

ث. قام بتحديد الضوابط الخاصة بالإفتاء، وذلك لضمان أن تكون الفتوى مبنية على أسس شرعية صحيحة تراعي مقاصد الشريعة الإسلامية، وتوافق الواقع المعاش. وذكر مجموعة شروط لتعيين المفتي، منها

¹ صناعة الفتوى.. (366).

² قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الإصدار الرابع، (330).

³ المرجع السابق (513).

المعرفة بأحوال الناس وأعرافهم ومستجداتها، ومراعاة تغيرها فيما بني على العرف المعترف. ومنها كذلك الرجوع إلى أهل الخبرة في التخصصات المختلفة لتصور المسألة المسؤول عنها، كالمسائل الطبية والاقتصادية ونحوها.¹ ولا شك أن هذه الآليات وضعت لضبط الفتوى ومنع الفوضى.

خاتمة

إن دور المفتي ودوائر الإفتاء في العالم الإسلامي على وجه الخصوص في تيسير وصول الحكم الشرعي إلى عامة المسلمين ورفع درجة التوعية الدينية، والحد من فوضى الإفتاء واضطرابه لا سيما في عصر العولمة والتقنية المفتوحة، أمرٌ في غاية الأهمية، ولا يمكن أن يكلل بالنجاح إلا بجهود متكافئة من جميع الجهات المسؤولة المعنية بالإفتاء، وتحسين مسارات صناعة الفتوى، بداية من المفتي نفسه وصولاً إلى جهة الرقابة، وهذا من تجليات الإفتاء المؤسسي.

وقد توصل الباحث خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

1. أن فوضى الإفتاء إشكالية كبيرة صاحبت الفتوى من القرون الأولى، وازداد خطرها وتفاقم في العصر الحديث بسبب ثورة التقنية والقضاء المفتوح، لذلك اشتد إنكار العلماء والحذر منها لما يترتب عليها من العقوبة والوعيد الشديد.
2. أن مظاهر فوضى الإفتاء في هذا العصر ترجع إلى أسباب متعددة منها ما هو خاص بالمفتي، وبعضها يرجع إلى المستفتي، والآخر يعود إلى وسيلة الإفتاء، وهذه المظاهر عالجها الفقهاء قديماً ولا يزال علماء العصر تتكافأ جهودهم في التحذير منها.
3. أن الإفتاء المؤسسي أحد الطرق المناسبة لعلاج فوضى الإفتاء في هذا العصر، لما يضمن من سلامة منهج الإفتاء، وتكاتف جهود العلماء والخبراء في صناعة الفتوى، وتعزيز المرجعية الفقهية والمصادقية خصوصاً في قضايا الأمة الكبرى.
4. أن مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق من منظمة التعاون الإسلامي نموذج حيوي فعال يمثل الإفتاء المؤسسي، وقد حقق نتائج باهرة في الارتقاء بالفتوى من الفردية إلى المؤسسية، ووضع آليات الإفتاء الصحيح ومعالجة فوضى الإفتاء عبر توحيد قراراته الفقهية في قضايا الأمة المختلفة ونشرها عبر المواقع العلمية والبحثية والإصدارات المطبوعة.

¹ الدورة السابعة عشرة بعان (المملكة الأردنية الهاشمية) 1427هـ - 2006م.

لائحة المصادر والمراجع

- ابن بطة، عبيد الله العكبري، إبطال الحيل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن، تعظيم الفتياء، الدار الأثرية، عمان - الأردن، تحقيق مشهور بن حسن، الطبعة الثانية، 1427 هـ - 2006 م.
- ابن حمدان، أحمد، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، 1397هـ.
- ابن سيده، علي، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق عبد الحميد هندواي، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، 1425 هـ - 2004 م.
- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، تحقيق عبد السلام هارون، 1399هـ - 1979م.
- ابن القيم، محمد، أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.
- ابن منظور، محمد الإفريقي، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ.
- ابن نجيم، زين الدين المصري، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبع وتاريخ.
- أحمد، إدريس أبيدي، آداب التعامل مع فتاوى الإنترنت، جمعية البلاغ الثقافية، إسلام أون لاين- دار روزا، قطر، الطبعة الأولى، 1446هـ - 2024م.
- أحمد، عبد الحي، شذرات الذهب شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، تحقيق محمود وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
- أحمد مختار وفريقه، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008.
- إسماعيل، سيف الدين عبد الفتاح. (2009م)، فتاوى الأمة وأصول الفقه الحضاري، مجلة الإحياء، المملكة المغربية، عدد 30، 31، (108 - 126).
- الأشقر، عمر سليمان، الفتيا ومناهج الإفتاء، بحث أصولي، الكويت - مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الأولى، 1396هـ - 1976م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- البشير، عصام، مزالق الفتوى في عالمنا المعاصر، بحث منشور لمؤتمر عالمي حول الاففتاء في ظل عالم مفتوح، دولة الكويت، 1428هـ - 2007م.
- البهوتي، منصور، شرح منتهى الإرادات، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993 م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى، 1399 هـ.
- الحجاج، مسلم القشيري، صحيح مسلم، دار الطباعة العامة - تركيا، تحقيق أحمد بن رفعت وآخرون، ١٣٣٤ هـ.
- الخطيب، أحمد، الفقيه والمتفقه، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الثانية، 1421 هـ.
- الدسوقي، محمد بن أحمد، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- الريسوني، قطب. صناعة الفتوى في القضايا المعاصرة معالم وضوابط وتصحيحات، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2014 م.
- الزرقا، مصطفى أحمد، دور الفقه والاجتهاد في حل المشكلات (208)، عدد خاص، رسالة المعلم، ص (197-210)، وزارة التربية والتعليم - إدارة التخطيط والبحث التربوي، 1982 م.
- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الكتاب العربي، تحقيق الشيخ أحمد عزو، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1999 م.
- العمروسي، غادة، (2012). موقف الفقه الإسلامي من عمل المرأة بالقضاء في ظل دولة المؤسسات، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية.
- القاضي، عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983 م.
- القرافي، أحمد بن إدريس، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994 م.
- القرضاوي، يوسف، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
- القطان، مناع بن خليل، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة 1422 هـ - 2001 م.
- الماوردي، علي بن محمد، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1419 هـ - 1999 م.
- المطيري، تركي عيسى. أهمية الإفتاء المؤسسي، من منشورات موقع إدارة الإفتاء الإلكتروني في الكويت.
- "المؤشر العالمي للفتوى "حول إشكالية" الفتاوى العشوائية"، الندوة الدولية "الفتوى والأمن الفكري، موقع دار الإفتاء المصرية.
- "النظام الأساسي لمجمع الفقه الإسلامي الدولي"، المادة (3، 4)، منشور على موقع المجمع الرسمي.
- النووي، يحيى بن شرف، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، دار الفكر - دمشق، تحقيق: بسام الجابي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- النجران، سليمان. (2021). التثبيت في الفتوى في وسائل الإعلام المعاصرة مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم

- الشرعية، مج 54، ع 197، ص 673-728.
- الونشريسي، أبو العباس أحمد، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401هـ - 1981م.
 - باوا، معروف آدم؛ الزنكي، صالح قادر؛ ميلادي، نورالدين، صناعة الفتوى بين الماضي والحاضر (دراسة تحليلية لضوابط الفتوى)، بحث منشور. (EKEV AKADEMİ DERGİSİ Yıl: 22 Sayı: 73 (Kış 2018)
 - حاجي، محمد، عولمة الفتوى ومالها وما عليها، دار المكنبي، سوريا، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.
 - حسين، أحمد، المرجعية ومؤسسات الفتوى، ورقة عمل لمؤتمر عالمي بالكويت بعنوان الإفتاء في عالم مفتوح، الواقع المائل والأمل المرتجى، 1428هـ - 2007م.
 - ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه أبو سعيد الحسن السكري، دار ومكتبة الهلال - بيروت، لبنان، تحقيق محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، 1418هـ - 1998م.
 - رحمان، إبراهيم، ونور الدين، حمادي. (2015). الفتاوى المعاصرة بين ضوابط الشريعة ومقتضيات الواقع. مجلة اليحوث والدراسات، العدد (19)، السنة 12.
 - عطية، سمحاء عبد المنعم. (2021). فوضى الفتاوى الإلكترونية أسبابها نتائجها سبل القضاء عليها، مجلة قطاع الشريعة والقانون، العدد 12، ص 407-484.
 - عطية. محمد ناجي. (2012). المؤسسة بين التنظير والممارسة، مجلة البيان، العدد (296)
 - عيد، عادل عبد الفضيل؛ سعد، طلبة إبراهيم. (2016). قرارات المجامع الفقهية في القضايا الأسرية .. دراسة مقارنة، مجلة مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي، مجلد (20)، العدد 60، صفحات: 15 - 287.
 - فؤاد وسام. (2008). "فتوى الغاز وتجديد البنية المؤسسية الفقهية"، شبكة أون إسلام. نت، صفحة فقه وتركية.
 - فؤاد وسام. (2011). المؤسسات الدينية الرسمية والفتوى، ضمن كتاب "حراسة الإيمان، المؤسسات الدينية"، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثالثة، 2011م.
 - محمد، أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، بدون طبع وتاريخ.
 - مشعل، محمود إسماعيل (2021). نحو تداول الفتوى المؤسسية عبر مواقع إلكترونية لضبط المنهجية الإفتائية، مجلة دار الإفتاء المصرية، العدد 46، صفحة (65-12)
 - منظمة التعاون الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي. (2019). قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الإصدار الرابع.

بنية النص المترابط وآليات التقليد من خلال القصص المترابطة "محطات" لمحمد شويكت

أسماء عينوش

طالبة باحثة في سلك الدكتوراه

كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

المغرب

تغيير عميق عرفه العالم في العقود الأخيرة، وذلك بفعل الثورة الرقمية التي مست مختلف مناحي الحياة. بدءاً بأدوات ووسائل التواصل وصولاً إلى المعرفة والبنية الثقافية ككل. وفي هذا السياق كان من الطبيعي تأثر النص بهذا التحول. حيث أصبحت الكتابة في العصر الحالي تجربة جديدة تتجاوز كونها مجرد امتداد للورق عبر شاشة الحاسوب، لتعيد تشكيل ملامح العلاقة القائمة بين النص والقارئ والكتاب. حيث تراجعت سلطة المؤلف لصالح قارئ فاعل يعيد بناء المعنى، بعدما كان مجرد مستهلك سلبي يكتفي بالتصفيق أو إبداء الإعجاب والدهشة فقط. "وتحققت بذلك نبوءة "بول ريكور Paul Ricœur" حيث نبهنا إلى ضرورة أن نثق في انتظارات القراء، وأن نتيقن أن العديد من الصيغ السردية التي لا نعلمها لحد الآن، هي في طور الولادة والنشأة. وهي أمور تدل على أن الوظيفة السردية يمكن أن تأخذ أشكالاً متنوعة، لكنها لن تفتى أبداً"¹. إن هذا القول يعكس تعقيد الواقع وتحولاته من خلال قدرة الخيال الإنساني على توليد صيغ جديدة تجعلنا أمام حقيقة أن ما نعيشه اليوم من تطور في الأشكال السردية (مثل الرواية التفاعلية، السرد الرقمي، النصوص المتشعبة...) ليس انقطاعاً عن الماضي، بل هو امتداد حيّ لجوهر السرد، يعكس تصوّراً ديناميكياً تفاعلياً، حيث لا يُنظر إليه كمجموعة مغلقة من الأشكال، بل كفضاء مفتوح على إمكانيات لا متناهية من التفاعل والتأويل. وهنا يكمن التغيير وهو ما يؤكد بيير ليفي Pierre Lévy قائلاً: "فبدلاً من نص محدد، ثابت على ورق السيليلوز، وبدلاً من مساحة صغيرة ذات مؤلف مالك، لها بداية ونهاية وهوامش تشكل حدوداً، كنت أواجه وثيقة ديناميكية، مفتوحة، موجودة في كل مكان، تخيلني إلى مجموعة غير محدودة تقريباً من المصادر. فالنص نفسه تغير في طبيعته. نتحدث عن "صفحة" في الحالتين، لكن الصفحة الأولى هي "pagus"، أي حقل محدود، مملوك، مزروع بعلامات متجدّرة، أما الثانية فهي وحدة من تدفق، خاضعة لقيود سرعة الشبكة. حتى وإن

¹ - عثمانى الميلودي، المحكي الأدبي التفاعلي، فكر العربية، كلمات للنشر والطباعة والتوزيع، العدد الثالث، السنة الأولى، دجنبر 2016، ص: 15.

كانت تشير إلى مقالات أو كتب، تظل الصفحة الأولى مغلقة مادياً. أما الثانية، فتوصلنا تقنياً وفورياً إلى صفحات وثائق أخرى، منتشرة في جميع أنحاء الكوكب، تُحيل هي الأخرى إلى صفحات أخرى، إلى قطرات أخرى من نفس محيط العلامات المتغيرة"¹. هكذا يتضح أننا أصبحنا نتعامل مع وثيقة رقمية تتضمن روابط (Hyperlinks) تتميز بالدينامية، توجه القارئ ليسلك مسارات متشعبة حسب اختياره. تختلف عن نظيرتها الورقية، ذات بداية ونهاية واضحة، في مساحة زراعية ذات حدود واضحة، داخل فضاء ثابت مملوك ومغلق. هذا الانتقال من الورقي إلى الرقمي ليس انتقالاً تقنياً فقط بل هو تحول ثقافي غير ملامح العلاقة بين النص والقارئ والكتاب. حيث لم يعد هذا الأخير وحده صانع المعنى، بل أصبح القارئ متورطاً في هذه العملية عبر تفاعله مع الروابط وتحديد مسار القراءة.

1. النص بين الورقي والرقمي امتداد أم قطيعة.

شهد العالم تطوراً تكنولوجياً متسارعاً على عدة مجالات، كان الأدب في مقدمتها. حيث برز النص الرقمي كظاهرة ثقافية وأدبية جديدة، وكشكل جديد من أشكال التعبير المسيرة للعصر، وذلك "باعتدات تقنيات التكنولوجيا الحديثة والوسائط الإلكترونية. وإذا كانت كل حقبة تاريخية يعبر أفرادها عن علاقتهم بالعالم، وتصورهم للوجود من خلال عدد من الأشكال الرمزية التي تكون ذات علاقة باليات التفكير والمناهج والتواصل المتاحة، فإن الأدب الرقمي أو المترابط أو التفاعلي الذي يتم في علاقة وظيفية مع التكنولوجيا الحديثة، لا شك أنه يقترح رؤى جديدة في إدراك العالم، كما أنه يعبر عن حالة انتقالية لمعنى الوجود، ومنطق التفكير"². وهذا يجعلنا نطرح تساؤلات عميقة حول طبيعة هذا النص، علاقته بالنص التقليدي الورقي، هل هو استمرار وتطور طبيعي له في سياق التحولات المعاصرة، أم يشكل قطيعة جذرية مع النص الكلاسيكي التقليدي؟

في ذات السياق تتساءل زهور كرام عن إمكانية "تشكل مفهوم جديد للأدب ولمنتجه ومتلقيه؟ وهل يمكن القول بأننا على عتبة شكل تعبري تقني رقمي، سيقترح تجنيسه في إطار نظرية الأجناس الأدبية، باعتباره إمكانية جديدة في التعبير عن العلاقة بين الذات والعالم في ظل متغيرات شروط الحياة والتواصل التي يعرفها العالم خاصة مع بداية القرن الحادي والعشرين؟... إنها أسئلة سياقية يطرحها واقع الممارسة التكنولوجية في المشهد المعلوماتي والثقافي العربي. وهي أسئلة نسعى من خلالها إلى التفكير بصوت موضوعي في التحلي الرقمي للممارسة الأدبية العربية من خلال رؤية موضوعية تتوخى البناء المعرفي والفلسفي والأدبي"³. للإجابة على هذا

¹ Pierre Lévy ; Essai sur la cyberculture : L'univers sans totalité rapport au conseil de l'Europe, version provisoire, Hypermedia UniverParis8.fr. <http://hypermedia.univ-paris8.fr/pierre/cyberculture.html>

² - زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، منشورات دار الأمان، الطبعة الثانية، 2013، ص: 23.

³ - زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، المرجع السابق، ص: 23، 24.

التساؤلات، لا بد من الغوص في جوهر النصين، ومقارنة بنيتهما، ووظائفهما، وتأثيرهما على المتلقي، وهي مسألة حتمية فرضتها طبيعة العصر وما أفرزه من تطور تكنولوجي. "غنيما نسأل أي مهتم عن ماهية الأدب الرقمي، فإن أغلب أجوبته ستدور، لا محالة. حول علاقة هذا النص بالتكنولوجيا، وحول التزاوج أو التداخل الحاصل فيما بينه وبين التقنيات المعلوماتية، وهي تعاريف تدفع البعض إلى الاعتقاد بأنه مجرد طفرة لا جذور له في الثقافة العربية أو العالمية، وأنه قد يشكل مغالاته في استخدام التقنيات المعلوماتية تهديداً على الأدب. لكن إذا تأملنا طبيعة النصوص العربية القديمة والحديثة التي تنكب على بناء النصوص باتباع التشذير والربط، فإن ساعتها سنلاحظ أن التراث العربي كان يركز على الكتابة بالصور والأيقونات البصرية، كما كان يركز على الكتابة بالربط، وعلى الكتابة بالتوسيع أو التفرع من خلال تقنية الحواشي أو حواشي الحواشي، أو من خلال تقنية التضمين والتأطير والانشطار. كما نلاحظ أن بعض الكتابات الحديثة حاولت أن تُكتب اعتماداً على الروابط الداخلية بغية تحقيق الاتصال والانسجام والتساقط بين البنيات النصية المختلفة، وبغية تحقيق التعدد الذي يشكل بنية تلحم بالفصل والوصل، ومن ثمة يمكن القول بأن الكتابة الورقية قد اعتمدت إبان تشييد النصوص على روابط داخلية تربط بين الوحدات أو على روابط خارجية تصل بين النصوص في المتن ذاته أو بين المتن على اختلاف زمن كتابتها. وهي من هذه الزاوية تضارع آلية التوليد والبناء في النصوص الرقمية. مما ينفي عن الأخيرة الطفرية ويمنحها امتداداً في الثقافة العربية، لأنها تظل وفية في انكسابها لآليات الربط والإحالة والتفرع المفصلي"¹. هذا الربط بين التراث العربي وتقنيات النص الرقمية يعيد الاعتبار إلى الأدب الرقمي، ويجعله امتداداً طبيعياً لتقاليدنا القديمة وتراثنا في الكتابة والربط والتوسيع. ويمنحه بعداً إنسانياً وثقافياً يتجاوز النظرة السطحية التي تراه مجرد ظاهرة تقنية عابرة، مرتبطة بظهور التكنولوجيا واستخدامها، بل يبرز جذوره العميقة في الثقافة العربية. مما ينفي عنها صفة الطفرية، ويؤكد أن التكنولوجيا ليست تهديداً بل أداة جديدة تعزز من ثراء النصوص وتنوعها، وتجعل منه تطوراً منطقياً يعزز من تواصل النصوص وتفاعلها عبر الأجيال من خلال ما يتضمنه من روابط تشعبية. وفي ذات السياق يؤكد محمد مريني "أن بعض الباحثين مثل (لاندو) يرى أنه من الضروري في نظره أن تضاف للنص التشعبي، كما هو الشأن في المستند الورقي، إجراءات بلاغية ومؤشرات تقليدية مساعدة على التصفح.... وقد تساءل أحد الدارسين عن خاصية (اللاخطية) هل هي خاصة بالنص التشعبي، أم أن النص الورقي التقليدي قد يكون هو الآخر لا خطياً؟ للإجابة عن هذا السؤال أوضح الباحث أننا في النص الورقي قد نبدأ البحث بالقراءة في كتاب ما ونتركه لننتقل إلى الهوامش، وقد نضع الكتاب الأول، ونذهب للبحث عن المادة نفسها في الكتاب الثاني، وقد نعود بعد ذلك إلى الكتاب الأول. لذلك فإننا

¹ - ليلية خمار، الأدب الرقمي والورقي التكون والاختلاف، الأدب الرقمي ونظرية الأدب، منشورات روابط رقمية، تحت إشراف زهور كرام، منشورات دار الأمان، العدد الثالث، ص: 75، 76.

بهذا النوع من القراءة نحقق اللاخطية في النص الورقي أيضاً. كما تتحقق اللاخطية في النص الورقي في بعض الكتب التراثية العربية التي اعتمدت طريقة المتن والشرح والحواشي، وحاشية الحاشية، بحيث ينتقل القارئ بين أنواع عدة من النصوص المختلفة، مع وجود رابط يربط بينها¹. وهذا ما يؤكد أن هذه الخاصية ليست حكراً على النص الرقمي بل هي موجودة أيضاً في النصوص الورقية التقليدية. مما يعزز فكرة أن النص الرقمي لم يأت ليقتطع مع النص الورقي، بل ليطور ويعيد صياغة آليات الكتابة والتلقي، مستفيداً من إمكانيات التكنولوجيا لتوسيع التفاعل بين النص والقارئ.

وفي نفس السياق يستنتج سيرج بوشردو Serge Bouchardon أن "(لاندو) يفترض وجود روابط وثيقة بين مفهوم النص الرقمي ونظرية الأدب، بل إن هذا النص يبدو وكأنه يجسد ويحقق ما نظر له بعض البنيويين ثم ما بعد البنيويين"². فالنص الرقمي بشذراته المرتبطة بروابط متشعبة متعددة، تسمح للمتلقي بالتنقل بحرية ليشترك المبدع في تجربة الكتابة، ويساهم باستمرار في إعادة تشكيل المعنى.

في نفس السياق يضيف الدكتور إبراهيم عمري أن "أحد أفضال نظرية (لاندو) هو لفت انتباه الباحثين منذ وقت مبكر إلى خصائص النص الرقمي وقدرته على إعادة تشكيل النص. ولعل اعتباره هذا النص امتداداً للنظريات الموجودة وانخراطاً في حركة النقد الجديد، هو الذي ساهم في اعتقادنا، بشكل قوي في قبول هذا الأدب الجديد إلى حد كبير في الوسط الأمريكي في مرحلة أولى، وفي توطيد العلاقة بين الأدباء والمعلوماتيين بعد ذلك.... هو ما سيسمح باستئثار الأدباء والمبدعين للإمكانيات التي يزخر بها الجهاز الرقمي لصالحهم في ابتكار أشكال إبداعية جديدة"³. وتشير زهور كرام في ذات السياق إلى "أن وسائل التعبير ووسائطه ليست أدوات محايدة وبريئة بقدر ما هي انعكاس لنمط هذا التفكير وتعبير عنه. أو هي الرسالة ذاتها بتعبير مك لوهان... وكلما اختلفت هذه الوسائل وتعددت وتنوعت كلما وجد الإنسان أشكالاً كثيرة لتمييز حياته وتصويراته وإدراكاته"⁴. وتضيف الدكتورة قائلة: "إن تجربة الأجناس الأدبية لا تقول بموت جنس أدبي، أو بتلاشي شكل تعبيرى بشكل نهائي. وإنما تقول بمعنى التشرب في الجنس اللاحق. لأن الأدب هو حياة تنتعش من تاريخها.

¹ - محمد مريني، النص الرقمي وابدالات النقل المعرفي، كتاب الرافد، العدد 89، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2015، ص 56-57.

² - Serge Bouchardon, du récit hypertextuel au récit interactif, Bibliothèque nationale de France, Revue de la BNF, 2012 /3 n 42, p : 15.

³ - إبراهيم عمري، الأدب الرقمي ونظرية الأدب، من مد المسجور إلى سؤال الكينونة، التنظير الأدبي من الورقي إلى الرقمي مؤلف جاعي، تنسيق وتقديم د. محمد مساعدي، منشورات مختبر اللغة والأدب والتواصل، الطبعة الأولى، 2019، ص: 164.

⁴ - زهور كرام، الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، مرجع سابق، ص. 13.

لا يولد الشكل الأدبي من العدم، كما أنه لا يتلاشى، وإنما يستمر في أشكال تعبيرية سواء كخلفية نصية، أو يدخل في علاقة جديدة مع البناء الجديد، ليستمر وجوده باعتباره ذاكرة للكتابة والنص والتعبير¹.

في المقابل "ارتفعت بعض الأصوات عاليا تبشر بموت الكتاب الورقي وانقراضه، ودخله إلى المتحف خلال عقود قليلة، ورأى بعض النقاد أن انتهاء عصر الطباعة ومشروع جوتنبرغ سيفضي إلى انتهاء الأدب الورقي، لأن الوسيط الرقمي الذي أصبح طرفا أساسيا من أطراف العملية الإبداعية سيحل مكان الورق، ويعد محمد السناجلة الذي يذكره تاريخ الإبداع الرقمي العربي الحديث بأنه رائد الإبداع العربي الرقمي الأول، من أشد المتحمسين لهذا الطرح، وعلى نحو لا يخلو من بعض التشدد²". يقول محمد سناجلة في هذا الصدد: "هناك بعض من السلفيين يتمسحون في رفضهم للمستقبل برائحة الورق، ومتعة القراءة في الكتاب الورقي التي لن تضاهيها متعة حسب قولهم، ويذكرنا هذا بهجوم الوراقين بعد دخول المطبعة إلى العالم العربي في عهد نابليون..... ولنا أن نسأل: أين هم الوراقون الآن³؟ يتضح أن هذا الطرح ينحو نحو انقراض النص الورقي وتلاشي مستقبله في ظل التطور الرقمي السريع، مؤمنا بإمكانات الأدب الرقمي ومدركا دوره المتنامي في العملية الإبداعية، وهو ما يعكس وجهة نظر تكنولوجية حديثة ترى في الوسائط الرقمية مستقبل الأدب والثقافة، الأمر الذي يطرح جدلا واسعا حول التجربة القرائية التقليدية. فهل تلاشي الحامل الورقي يعني تلاشي وانقراض ما يحمله من مادة؟

ما يمكن قوله هو أن هذا التحول الرقمي يجب أن يُنظر إليه كفرصة لتطوير الأدب وتوسيع دائرة القراء، وليس كإقصاء للنص الورقي وتهيمشه. وتبقى العلاقة تكاملية بين النصين، حيث يشكل الأدب الرقمي امتداداً وتطوراً للأدب الورقي، وليس بديلاً مطلقاً أو قطعية معه. وأختم بما ذهبت إليه زهور كرام في هذا الباب، أن "الأدب حياة تنتعش من تاريخها والكتاب الورقي دعامة أساسية للتأسيس بالكتاب الورقي، سيظل الكتاب الورقي قائماً من أجل كتاب يؤمنون بالتعبير في المجال الورقي وإلا ما معنى حق الإنسان في التواصل مع أدواته"⁴.

2. النص الرقمي وإشكالية التلقي.

إن هجرة النص من حاملة الورقي الذي عمر فيه طويلاً، وارتقائه بين أحضان الحامل الرقمي، جعلنا نعيد النظر في كيفية تلقي هذا الجنس الجديد، الذي اعتبره الدكتور إبراهيم عمري "امتداداً طبيعياً لتحديات الإبداع

¹ - زهور كرام، الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، المرجع السابق، ص: 25.

² - أحمد زهير الرحالة، نظرية الأدب الرقمي، ملامح التأسيس وآفاق التجريب، دار فضاءات النشر والتوزيع المركز الرئيسي، عمان، الطبعة الأولى، 2018، ص: 29-30.

³ - محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص: 93.

⁴ - زهور كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، المرجع السابق، ص: 22.

السردى، وحلقة جديدة في عقد تحولاته الدائمة، وتأكيدا لتجده وحيويته المتواترين، غير أنه يبشر في الوقت نفسه بكتابة إبداعية آخذة في التخلق، وبالتالي فهي تقتضي موثيق قراءة خاصة بها"¹. فأصبح القارئ الرقمي يكتشف المحتوى بعمق أكبر، وهو ما يفتح آفاقاً جديدة في عملية القراءة والفهم. "فالنص التفاعلي يعد نصاً مفتوحاً بلا حدود، المؤلف يبدأ النص ومستخدمو الرقمنة لهم حرية إكمالهما كما يشاؤون، أي أن المتلقي يصبح مشاركاً في الملكية الفكرية للنص التفاعلي، بمعنى إلغاء فكرة المؤلف الوحيد، وإلغاء الحدود بين طرفي العملية الإبداعية (المبدع/المتلقي)، يلغي كذلك الحدود بين النص والأجناس والفنون وحتى العلوم، بحسب ثقافة ومعارف المتلقي الذي يمكنه أن يختار نقطة البداية لدخول النص، والاختلاف في اختيار البدايات يؤثر حتماً على سيرورة الأحداث وبالتالي على بناء النص، وحين تتعدد البدايات تتعدد النهايات وهو ما يُمكن قراء النص المترابط من أن يدخلوا في حوارية أثناء القراءة"². مما يسمح للقارئ الرقمي بالتفاعل الحر والمشاركة النشطة، والوصول إلى تأويلات موسعة ومعلومات إضافية. وهذا ما يضيف بُعداً جديداً إلى متعة القراءة، "حيث يعمل التشعب على تفعيل دور المتلقي أو القارئ الرقمي أكثر من ذي قبل، فهو غير قادر على التعامل مع النص بوصفه وحدة ثابتة، لأنه يراه وحدة متحركة ذات أطراف عدة يمكن أن يبدأ من أي منها دون أن تختل بنيته"³. كل هذا يدل على أن القارئ الرقمي يشارك بطريقة فعلية في تشكيل النص ومعانيه، ويضيف عمقاً وتنوعاً لتجربة القراءة، مما يزيد من متعة التلقي ويعزز تفاعله مع المحتوى. فالنص الأدبي التفاعلي يركب التحدي، يقدم بدائل أمام الأساليب الأدبية التقليدية وبعد بأشكال سردية حديثة. تفتح أمام القارئ الرقمي آفاقاً جديدة لاختيار مساره بحرية وفق إرادته الخاصة، داخل الشاشة الحاملة لهذا النوع الجديد من الأدب. حيث "تتحول الشاشة إلى مرآة بسطح أملس يمكن عبوره كما عبرت (أليس) من ثقب في الأرض لتنتقل إلى فضاء افتراضي وغير واقعي، كل قارئ أو مبحر يحاكي (أليس) كلما أبحر مرتقياً في الفضاء السيبرنطقي لاعباً، حيث يشكل لعبه طاقة حيوية تخصب مخيلته وتجدد لغته وتشركه في النص الرقمي المترابط والتفاعلي عبر التقنيات التي يعتمد عليها الكاتب في الحكى، جاعلاً بواسطتها القارئ الرقمي ينخرط في القصة مساهماً في بنائها ومشكلاً لعواملها لدرجة يشعر أن بمقدوره تلمس الكلمات والضغط عليها، والجري وراءها قبضاً على الحكاية المختبئة. يشعر أنه يلعب وأن القصة لعبته التي بإمكانه أن يشارك في كتابتها إلى جانب السارد والشخصيات"⁴.

¹ - إبراهيم عمري، الأدب الرقمي في المغرب بداية تسلل القارئ إلى كواليس الكتابة، الملتقى، المدير المسؤول: عبد الصمد بالكبير، العدد 29- شتاء 2013، ص: 107.

² - عمر عاشور، النص الأدبي بين الورقي والرقمي، أسئلة البنية والجمالية، المدونة، المجلد 8، العدد 2 جوان 2021، ص: 1557-1558.

³ - فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2008، ص: 112.

⁴ - ليلية خار، الأدب الرقمي والورقي التكون والاختلاف، الأدب الرقمي ونظرية الأدب، روابط رقمية، إشراف زهور كرام الأدب الرقمي ونظرية الأدب. منشورات دار الأمان، مطبعة الأمانة الرباط. العدد الثالث، ص: 77.

أهم نقطة تستدعي التحليل العميق في علاقة السرد التقليدي بالنص الأدبي التفاعلي هي مسألة الخطية، "فهذه الأخيرة تعتبر في السرد مركزية في تحليل العلاقات بين السرد والنص المترابط. بالطبع، يحتوي النص الفائق على وعد بأشكال سردية جديدة، ولكنه يعرض السرد أيضًا لمخاطر. لفهم هذا المأزق، يجب أن نتذكر أن السرد وفقًا للنموذج السردى التقليدي هو خطي بشكل جوهري. يشكل النص الفائق تحديًا للأشكال الأدبية القائمة على الخطية كبدأ تنظيم أساسي. يعيد النص المترابط النظر في المفهوم الأرسطي للسرد وكذلك مفاهيم الحكمة والقصة. يضع النص الفائق موضع الشك ثبات التتابع، وتنظيم السرد الذي يتكون من بداية ووسط ونهاية، ومفاهيم فتح وإغلاق السرد، والحجم المحدد للقصة، وكذلك الوحدة والكمال في النموذج الأرسطي"¹. فالسرد وفقًا للنموذج السردى التقليدي هو خطي بشكل جوهري. تعتمد بنيته على التراتبية في تسلسل زمني خطي للأحداث والمعلومات. يتكون من بداية وسط ونهاية. وتكون الروابط فيه بين الأفكار ضمنية تحتاج إلى مجهود ذهني لتتبعها. في المقابل كسر النص الأدبي التفاعلي هذا الثبات في التتابع وتنظيم السرد، وضعت فيه الروابط بشكل صريح ومباشر، مكنت القارئ الرقي من الانتقال المرن بين أجزائه المختلفة، مما يسهم في إثراء التجربة القرائية ويجعلها أكثر ثراءً وتنوعًا. وهنا يمكن القول أن "عدم ثبات الوحدة النصية لا يختص ببداية النص أو منتصفه أو نهايته، بل تمتد هذه الخاصية لتشمل النص كله، إذ يمكن أن تتعدد بداياته كما يمكن أن تتعدد نهاياته، وكذلك يمكن أن تتعدد وتختلف مراحلها المتوسطة بين البداية والنهاية... ومن شأن هذه الآلية أن تعزز خاصية التفاعل التي تمثل عصب العملية الإبداعية، إذ تقوم على تفعيل دور المتلقي تجاه النص-كما دعت إلى ذلك النظريات النقدية الحديثة-بتوفير روابط متعددة أمامه، يختار منها الرابط الذي يريده ليكمل رحلته مع النص وفق اختياراته هو من المتاحة له، وهذا يمكن أن يعد شكلًا من أشكال تحفيز القارئ على المشاركة في تشكيل بنية النص"².

هذا التفاعل المتعدد الأبعاد يعزز من متعة القراءة، لأنها تفتح آفاقًا جديدة بطرق لم تكن ممكنة في النصوص التقليدية، وتضيف بعدًا تفاعليًا يصبح القارئ جزءًا فعالًا في بناء السرد واكتشافه. في ذات السياق، نشير إلى أن مسألة التلقي في النص الأدبي التفاعلي تطرح تحديًا وإشكالًا نظريًا ومعرفيًا حقيقياً، إنها عملية تختلف عن نظيرتها في النص التقليدي. وذلك راجع لتعدد الأشكال التعبيرية وتنوعها بين النصوص واللوحات والصور الثابتة والمتحركة، البيانات، الأصوات، مقاطع الفيديو، وغيرها. هذا التنوع جعل عملية التفاعل مع هذا الجنس الأدبي الجديد أمراً أكثر تعقيداً لأنه يتفاعل معه بمختلف مكوناته. وإذا كان

¹ - Renée Bourassa, Les fictions hypermédiatiques: Mondes Fictionnels et Espaces Ludiques, des Arts de mémoire au cyberspace. Le Quartanier, Montréal, Québec. 2010. p : 32-31.

² - فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا، مرجع سابق، ص: 112.

الخطاب النقدي المتعلق بالمحكي الرقمي قد استخدم مفهوم (المستعمل) أو (المستخدم) بدلاً من القارئ الرقمي، للإشارة إلى أن الأمر لم يعد يقتصر على القراءة فقط، بل أيضاً التفاعل مع الوسائط المختلفة المضمنة في النص. إلا أن مفهوم المستعمل أو المستخدم قد لا يكون قادراً على استيعاب جميع الأدوار التي يؤديها المتلقي في تفاعله مع النص الأدبي التفاعلي. لذلك فضلت من حين لآخر، استعمال مفهوم القارئ الرقمي على أساس أنه الشخص الذي يقرأ و يتفاعل مع الوسائط المختلفة المكونة لهذا النص الذي يتوفر على " منظومة الروابط لها القدرة على إحالة المتلقي إلى مبدع، وبذلك يتم تذويب الحدود الفاصلة بين المبدع والمتلقي الذي يقدم إضافته على نحو نستطيع معه إتحاها في النص، وتصل بسرعة البرق إلى الموقع الباث لتأخذ مجراها الحيز التنفيذ، وبذلك نكون أمام نتاج تعددي بتعدد مشاركات القراء، إذ القراءة ستصبح عملية بناء بدرجة قصوى، وإن علاقة القراء بالنص الأدبي المطبوع ستختلف فتصبح، ومن ثم، علاقاتهم بنص الشبكة، رواية مستقبل أسهل. إن السحر الذي تثيره الروابط وهي تخفي وراءها ما تخفيه لا شك يدفع القارئ إلى التصفح ثم يدفعه الفضول إلى المشاركة، ويترتب على المشاركة نتيجة مفادها يتلخص في أن القارئ سيضيف إلى النص شيئاً من وعيه وثقافته ومعرفته مما يجعله متنوعاً ومتعددًا بعدد المتلقين، المستخدمين الفاعلين على شبكة الاتصالات، ومثلما أحالت تلك الشبكة العالم إلى قرية صغيرة، فإنها ستحيل النص التفاعلي - الرقمي لو اتقنت صناعته إلى منجم من المعارف والثقافات الحضارية المتعددة بتعدد أقطاب المشاركين وعلى اختلاف مشارهم الحضارية والثقافية والمعرفية¹. فتصبح بذلك من كل تجربة قراءة، مغامرة جديدة فريدة من نوعها. إن متعة القراءة تتجاوز مجرد قراءة النص بشكل تسلسلي إلى قراءة توفر مساحة أكبر من التفاعل والاختيار، تمنح المستعمل التنقل بين معلوماته واختيار مساراته بطرق غير متسلسلة تتجاوب مع رغبته الخاصة لينتج نصه بالطريقة التي تروقه. وسنقوم بدراسة آليات إنتاج وتلقي القصص المترابطة "محطات" لمحمد شويكة للوقوف على خصائصها التفاعلية وإبراز جانب من آليات إنتاجها وتلقيها.

3. دراسة قصص مترابطة "محطات" لمحمد شويكة².

لقد خلق المبدع محمد شويكة من خلال أعماله الأدبية عوالم سردية تتجاوز بها الكتابة التقليدية المعتادة، شكلت تجربة فريدة يتداخل فيها الزمان والمكان. جعلت القارئ الرقمي يغمس في ثناياها ويغوص في أعماقها.

¹ - د. عادل نذير، عصر الوسيط أجدية الأيقونة، دراسة في الأدب التفاعلي الرقمي، بلد الطباعة لبنان، الطبعة الأولى 2010، ص: 93-94.
² - محمد شويكة، محمد اشويكة، من مواليد 1971/01/01 بقلعة السراغنة. يشتغل.. يعيش.. ويبدع بمدينة مراكش. كاتب، قاص، باحث في الجماليات البصرية، معد ومقدم برامج تلفزيونية، أستاذ الفلسفة والتواصل وعلوم التربية (المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - مراكش). حاصل على الدكتوراه في الفلسفة.

حيث يصعب على قارئ "محطات"¹ يقول الدكتور إبراهيم عمري- "مقاومة إغراء غلافها الإلكتروني، فيبادر إلى فتحه لحظة انكشافه على الشاشة، ولا يملك إلا أن يجاري نزق فأرة حاسوبه عند أول تحول لمؤشرها إيداناً ببلوغه منطقة النفاذ الملائمة، من سهم محاذ إلى يد هي امتداد افتراضي ليد، يأخذ النص في التخلق والتكون مقطّعاً مقطّعاً إلى أن يصير كائناً زبّيقاً أو أخطبوطياً لا يختفي إلا ليظهر في لون جديد. حينئذ سيدرك هذا القارئ أن مداعبة لوح المفاتيح والتنقل بين أرجاء الشاشة، وتلبية نداءات الروابط ليست سوى مقدمة تستدرجه شيئاً فشيئاً لفخ النص وحباله، وأنه أصبح بعد فوات الأوان جزءاً من لعبة النص بعد أن تعود على اللعب به. فلائحة الروابط التي تظهر على الشاشة فور انجلاء صورة الغلاف، هي المقابل الرقمي لتصميم الكتاب الورقي، غير أنها خالية من أرقام الصفحات أو أي مؤشر يربط بينها. وبعكس ما تقدمه تصاميم الكتب في العادة وفهارسها، لا يرسم له نظيرها الرقمي هذا معالم الطريق، ولا يقدم له نظرة عامة عن فحوى النص الذي بين يديه، ولا يحدد مبتدأً ومنتهاه، ولا يشير إلى أي ترابنية لفصوله وعناوينه. إنه بخلاف ذلك يلقي به في يم القراءة دون بوصلة، وفي متاهتها بلا خريطة. قد يشرع في تنشيط روابط هذه القائمة الخارجية حسب متابعتها الأفقي في اللائحة بدءاً بـ "ظلام" ثم "وميض" "إبريم" فـ "بطيخة" وـ "زيطي" ثم "شم" .. إلخ، حينئذ ستنجلي نصوص شذرية محتجة وراءها. وقد يتابع قراءة هذه النصوص في تسلسلها بدءاً بالنص الأول بعد تنشيط رابط "ظلام" الذي يفضي برابط في وسطه، إلى النص الثاني ومنه، برابط آخر فيه، إلى النص الثالث ثم الرابع ... إلخ"². معتمداً في ذلك على التنقل عبر الروابط التي تشكل محطة في مسار سردي مفتوح. مما يشير إلى أن القارئ أمام تجربة تفاعلية تسعى لبناء سيرة افتراضية للكائن المتخيل. وهو ما توضحه الواجهة والجدول التوجيهي للقصص المترابطة "محطات":

واجهة الجدول التوجيهي للقصص الترابطية "محطات"

ظلام	وميض	إبريم	بطيخة	زيطي	شم
قارورة	ضوء	رعد	الكترا	أيام	صوت
ديدار	مزي	عمال	مصفاة	رحمة	صقور
ذكريات	عودة	بعد	وقت	حكاية	تكوّن
صوت	زيادة	استعراض	سما	موريس	تناس
ماء	إسطنبول	زواج	دفع	فرّاعة	Dose
وصفة	إبتلاع	قالب	بيبي	رغبات	نفس
موت	حياة	شبه	سندويتش	حانة	3/4
شيمة	حشمة	سوربالية	تسلية	شعر	قاع
وداع	طريق	ممكن	ظلام		

¹ - محمد شويكة، محطات، سيرة افتراضية لكائن من ذاك الزمان، قصص ترابطية، شتنبر 2009، على موقع المؤلف: www.chouika.com أو المواقع التالية:

www.alfawanis.com - <http://www.khayma.com>

² - إبراهيم عمري، النص الرقمي أصول المفهوم والتجليات الأدبية، الموسوعة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2024، ص: 231-232.



واجهة القصة المترابطة محطات

من خلال هذا التصميم البسيط يضع اشويكة القارئ في ورطة، ويقحمه لاختيار بداية الحكى، ليمحه حرية تشكيل مسار القراءة، والتعرف على أحداث السيرة الافتراضية من زمن قد ولى في رحلة استكشافية في الماضي. وهو ما يوضحه العنوان الفرعي: (سيرة افتراضية لكائن من ذاك الزمان).

الكلمات المرتبة في الجدول التوجيهي بمثابة مفاتيح لولوج أبواب مغلقة، تفرض على القارئ فتح عقدها المتراسة في الجدول لجمع شتات أحداث سيرة ذاتية، لحياة إنسان عاش على هامش المجتمع بعدما فقد والده الميعل. وهي حياة تحكي معاناة طفولة ضائعة للبطل، محاطة بتناقضات اجتماعية، تجمع بين الفقر والتمهيش والحرمان في بيئة بدوية قاسية. ولتأمين حياة كريمة له ولألمه الضرية، هاجر البطل نحو المدينة ليعمل أجيراً لدى أحد الإقطاعيين. سعيًا منه لتحقيق الاستقرار الاجتماعي والنفسي. كل هذا ورد في بنية سردية تتشابك خيوطها عبر تقنية التذكر والاسترجاع، وعلى لعبة تتبع المسار بالروابط لجمع تشعباتها. عبر سرد متماسك بتقنيات سردية حديثة، تعزز من تفاعل الذاكرة مع الواقع، لتجسد قصة حياة تنبض بالمعاناة والأمل في آن واحد. بجميع أبعادها الاجتماعية والنفسية. بتصميم بسيط يضع من خلاله الدكتور محمد اشويكة القارئ في قلب تجربة أدبية تفاعلية، لا بداية ولا نهاية لها. "إنها المرة الأولى التي يتخلى فيها المؤلف عن تنظيم وحدات نصه تنظيمًا نهائيًا، وعن إحكام قبضته على إيقاعه الزمني وعن تحديد وجهة القراءة، فالمبدع الذي كان ينظم محكيه بإحكام، ويختار لقرائه مواقع مقصودة حتى يصير عالمه التخيلي نصاً متنبهاً وتاماً في صفحات تتوالى في الكتاب في ترتيب معلوم وتعاقب مقصود تحرياً للمقروئية، وضماناً لشروطها المادية ولمواثيق استهلاك النصوص الحكائية، هو ذاته من يسعى اليوم، وعلى نحو مفارق، إلى التحرر من ثبات الصفحة ومن تمام العمل الأدبي وجاهزية وحداته

اللسانية، طلباً لمرونة إضافية وتفاعل أقوى للمتلقي وحرية أوسع في القراءة¹. وهو ما توجي إليه عبارة قصص ترابطية Nouvelles hypertextuelles - على غلاف الواجهة.

تحول جوهري ينقل النص من ذلك الثبات الصارم الذي يحدد مسار القراءة بشكل نهائي، إلى فضاء مرّن يجعل القارئ يختار مساره وفق رغبته الخاصة بعيداً عن سلطة المؤلف. وهي مغامرة إبداعية تعكس وعياً عميقاً بتحديات القراءة والكتابة في العصر الرقمي، تتجاوز الخطية والتسلسل التقليدي للسرد، وتفتح المجال أمام تعدد المسارات وتشعب الدلالات.

ما نسجله أن هذا الجدول التوجيهي عبارة عن شبكة نصية تضم ستة وستين رابطاً، على شكل كلمات متراسة تغري القارئ بالنقر عليها ليستقط في عقدة ترميه لعقدة أخرى. ويجد نفسه داخل متاهة يصعب عليه الخروج منها. الأمر الذي أكدّه الدكتور إبراهيم عمري قائلاً: "إن ما يميز النص الرقمي في حالتنا هذه ليس هو دخول القارئ متاهة النص بل هو خروجه من النص تأمناً"². بل وتزداد حدة التيه كلما واصل القارئ التوغّل بين ثنايا عقدها. وفي هذا الصدد يقول (فوكو) أن "المتاهة ليست هي المكان حيث نضع بل هي المكان الذي نخرج منه ضائعين. إن الحديث عن القارئ بصفته مؤلفاً مجرد أنه يتمتع بحرية ربط العقد ووصلها، أو لأن اللا تحديد الدلالي للوحدات يفسح مجالاً أوسع للتأويل. هو في الواقع مبدأ كلاسيكي يمثّل في الأثر المفتوح أكثر مما هو انقلاب غير مسبوق في أدوار القارئ والمؤلف. ويعزو (Archibald) فكرة اعتلاء القارئ مرتبة الكاتب في النص المترابط إلى نوع من الخلط بين الأثر والنص كما حددهما (Barthes)، أي إلى اعتبار الكتاب إطاراً حاملاً للأول. حيث القراءة عملية استيعاب ساكنة، والنص المترابط إطاراً طبيعياً للثاني حيث القراءة صيرورة ديناميكية"³. تختلف باختلاف القراء والقراءات، وتتعدد بتعدد بداياتها ومساراتها بل ونهاياتها أيضاً، بفضل ما تمنحه له الروابط من حرية في الإبحار والتجوال.

والملاحظ أن البناء الترابطي لمخطات يقوم على توليد نصوص متشعبة، تجمع بين اللغة والأيقونة، لتنتج نصاً يتصل وينفصل في الوقت ذاته بالنص الأصلي. وبين هذا وذاك "تمسك محطات بمكان وسط بين "السيرة" و"القصص" متذبذبة بين الاتصال والانفصال، وبين الاسترسال والتشذر، وبين تصوير الحياة في امتدادها واقتناص صور ومشاهد منها. إنها تشوش على القارئ منذ غلافها بمتاهة انتمائها الجينيولوجي والنوعي، ولا تشير

¹ - إبراهيم عمري، النص الرقمي أصول المفهوم والتجليات الأدبية، المرجع السابق، ص: 233.

² - إبراهيم عمري، "الإبداع الترابطي عند محمد شويكة شغف الأدب بتجدي إكراهات السند"، مجلة الاستبلال، العدد الثاني، دجنبر 2012، ص: 21.

³ - إبراهيم عمري، نظرية النص المترابط الأمريكية: رؤية غربية للتلقّي النقدي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المؤسسة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، العدد

1، المجلد 4، مارس 2025م، ص: 119.

عليه بطريق يسلكه في القراءة بل تلقي به في مفترق الطرق ذاته حيث تلتقي المسالك وتفترق في آن¹. وهو ما يخلق حالة من التشويش لدى القارئ، الأمر الذي يعكس تجربة سردية معقدة ومتشعبة، تتحدى القارئ وتدفعه إلى التجول والتوقف أمام محطات متعددة، تتطلب منه تفاعلاً نشطاً ووعياً نقدياً، يجعله قادراً على إعادة تشكيل المعنى وإعادة إنتاجه داخل فضاء زمني قصير. ظاهره روابط مترابطة بشكل تراتبي، وباطنه عقد متشعبة لا بداية ولا نهاية لها. لتمر من دائرة مغلقة تعيد نهاية المحكي إلى بدايته. وفي ذلك تقول لبيبة خمار: "فرد الكلام إلى الصدر تفتية سردية تضارع فيها النهاية البداية. مستحثة القارئ على إعادة تجميع اللحظات، وتكثيفها، واستشعار جمالياتها، وتكرار الغوص فيها وفك أسرارها، ولم خيوط لغوها والربط بين لوحاتها التخيلية"². لتجميع اللحظات السردية وتكثيفها في وحدة متماسكة. تتجاوز الخطية التقليدية، وتفتح آفاقاً جديدة للتأمل والتفاعل مع النص. "فلم تعد القراءة بالمعنى التقليدي شرطاً وحيداً عند مطالعة النص الإبداعي الرقي، نظراً لعلبة الصورة، ولأن ما يُقرأ لم يعد بنية خطية بالضرورة (أي بتوظيف الأبجدية اللغوية التقليدية). بات قارئ صفحات الإنترنت هو كاتب أيضاً، سواء كان النص إبداعياً أو غير إبداعى"³. حيث يصبح شريكا في إنتاج النصوص وليس مجرد متلق سلبي. هذه الرؤية تعكس التحولات العميقة التي طالت صيغ الخطاب بفضل التكنولوجيا. فالمحكي "قد يكون أحداثاً فيلجأ إلى التعبير عنها بشكل أو بآخر، أو أقوالاً فيبعد إلى نقلها إما حرفياً أو بالتصرف فيها بتدخلات متفاوتة، وقد يكون المنقول أفكاراً كذلك فيصطنع السارد تقنيات خاصة لينقلها، ويلبس المشاعر والأحاسيس لغته الخاصة التي تحاول الإمساك بلحظات شعورية"⁴. الأمر الذي يتجسد في "محطات". فرغم الطابع السردى الورقي الذي يطغى عليها، إلا أن المبدع محمد شويكة أخرجهما من نمطيتها التقليدية وقدمها في حلة تشعبية جديدة مكسرا بذلك خطية الكتابة وتسلسلها. فقارئ محطات كلما قام بتفعيل الروابط من قائمة الجدول "لن يجد نفسه سوى أمام المحكي الذاتي في استرساله السردى الذي يتعقب سيرة الشخصية الرئيسية ويشخص مغامراتها وأحلامها بلغة ساخرة حافلة بإشرافات استعارية، وبتلصص عين خفية مأكرة تلتقط تفاصيل الحيلة أكثر مما تأبه لأموورها الكبرى. ويتوالى انكشاف المقاطع الثانوية خلف الروابط، في الحالتين معاً، بتزامن مع عمليات النقر، مسلطة الضوء على مشاهد من حياة كائن من ذاك الزمان"⁵. وسيكتشف أن ذلك الترتيب الظاهر في الجدول ليس إلا وهماً. وهو ما يؤكد الدكتور إبراهيم عمري قائلاً:

¹ - إبراهيم عمري، النص الرقمي أصول المفهوم والتجليات الأدبية، المرجع السابق، ص: 233-234.

² - لبيبة خمار، النص المترابط فن الكتابة الرقمية وآفاق التلقي، الطبعة الأولى، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2018، ص: 212.

³ - السيد نجم، جالية البلاغة الرقمية في نص الوسائط الحديثة (الرواية بين الورقي والرقمي نموذجاً)، فكر العربية، كليات للنشر والطباعة والتوزيع، يوسف الصادق، العدد الثالث - دجنبر 2016، ص: 34.

⁴ - إبراهيم عمري، خطاب الرواية المعاصرة، الطبعة الأولى، مطبعة أفنو برايت فاس، منشورات شعبة الآداب واللغات والتواصل، الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، 2014، ص: 125.

⁵ - إبراهيم عمري، "الأدب الرقمي في المغرب بداية تسلل القارئ إلى كواليس الكتابة" المرجع السابق، ص: 110.

"إن تتابعها الخطي في اللائحة ليس سوى تتابع موهم، لأن هذا الاختيار سيقوده إلى شذرات نصية. يكتفي أغلبها بذاته فيما يشبه الأقصوصة التي تحوز كامل شروط الكثافة اللغوية والشحنة الدلالية وتبئير الموقف والحدث"¹.

خصوصية جديدة تميزت بها القصص المترابطة "محطات"، جمعت بين نصوص متعددة العلامات وأخرى أحادية، خضعت لتقنية البرمجة المعلوماتية التي ساعدت القارئ على التفاعل بشكل إيجابي مع المحتوى بشكل يجعله منتجا للنص مساهما في كتابة أحداثه بشكل غامض مانع.

¹ - المرجع نفسه، ص: 111.

مفهوم الجين ما بعد الجينومي؛ من أزمة الجين إلى الجينوم التفاعلي

د. كوكب الغراسي

أستاذة بقسم الفلسفة

جامعة صنعاء

اليمن

الملخص

تقدم هذه الورقة البحثية، تحليلاً فلسفياً للتحويلات - للتغيرات التي طرأت على معاني مفهوم الجين على مدار أكثر من قرن من الزمان، ومناقشة نتائج البحوث الجينومية في عصر ما بعد الجينوم، التي دعمت تحولاً جذرياً في فهمنا للجينوم- التحول من مفهوم سابق للكيان باعتباره (أي الجينوم) مجموعة ثابتة من الجينات النشطة، إلى مفهوم نظام ديناميكي تفاعلي مخصص لتنظيم تسلسلات ترميز البروتين في سياق محدد. وتلخص هذه الورقة، ثلاثة مفاهيم مختلفة للجين في البيولوجيا المعاصرة وهي، الجين المنبدلي الآلي، الجين الجزيئي الاسمي، الجين ما بعد الجينوم. وهي مفاهيم لا تتقف معزولة، وإنما تتعايش وتتداخل مع بعضها البعض، ولا يتغير معناها إلا في سياقات التحقيق أي سياقات الاستخدام لمفهوم معين، ولكن مع صورة انكماشية للجين كوحدة وراثية أساسية.

الكلمات المفتاحية:

الجين الآلي، الجين الاسمي، جين ما بعد الجينومي، التغير المفاهيمي.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

الغراسي، كوكب. (2025، يوليو). مفهوم الجين ما بعد الجينومي: من أزمة الجين إلى الجينوم التفاعلي. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 7، المجلد 2، السنة 2، ص 69-80.

مقدمة

تناقش هذه الورقة البحثية، التغيرات أو التحولات في معنى مفهوم الجين منذ ولادته في أوائل القرن العشرين، نظرًا لدورة المركزي في مجالات علم البيولوجيا، وفي المناقشات في فلسفة البيولوجيا، وتناقش التطورات أو الأسباب التي تجعل مفهوم الجين في حاجة إلى إعادة تعريف اليوم، في ظل نتائج البحوث الجينومية- المعرفة الجينية- في عصر ما بعد الجينوم، الذي يمثل تحولاً حاسماً في تاريخ علم الوراثة.

يتميز عصر ما بعد الجينوم بتحول نموذجي، حيث قلبت الأبحاث الجينومية الفهم التقليدي لمفهوم الجين أو الجينوم ودوره الأساسي رأساً على عقب، فقد تحول مفهوم الجينوم من مجموعة ثابتة من الجينات- مجموعة تنفيذية من التعليمات التوجيهية، إلى مجموعة بيانات ديناميكية ذات اختلافات مكانية وزمانية، أي التحول إلى مفهوم نظام ديناميكي تفاعلي، أي تفاعل الجينوم مع الإشارات البيئية المتغيرة باستمرار.

ولكي نفهم هذا التغير المفاهيمي للجين على نحو أفضل، سنعود في القسم الأول من هذه الورقة البحثية، إلى تاريخ موحز للمنظور النظري المعرفي لعلم الوراثة المندلية الكلاسيكية في تعريف الجين باعتباره وحدة وظيفية أو عوامل في نموذج نقل النمط الظاهري، وتشير إلى هذه الجينات بـ (الآلية) من ثم سرعان ما أصبح مفهوم الجين في علم الوراثة الجزيئي باعتباره تسلسل الحمض النووي، الذي كان محور الدراسة من منتصف الخمسينات وفي الستينات، وسوف نشير إلى هذه التسلسلات الحمض النووي على أنها جينات اسمية. وبعد ذلك، تناقش بعض النتائج التكنولوجية الحمض النووي، التي قوضت عمومية المفهوم الاسمي للجين لعلم الوراثة الجزيئي الكلاسيكي، الذي يمنح الأولوية الوجودية والسببية للجينات.

أما القسم الثاني، فيتناول بالتحليل التفصيلي، كيف تقدمت نظرية المعرفة الجينية لعلم ما بعد الجينوم أو علم الوراثة فوق الجينية، إلى ما هو أبعد من وجهة النظر التقليدية التي تركز على الجينات في عصر الجينوم السابق. ويناقش هذا القسم، التحديات التي يفرضها الجين ما بعد الجينومي، على وجهات النظر التقليدية حول ماهية الجينات وماذا تفعل. وتضمن ذلك، التحول من مركزية الحمض النووي إلى سيادة التنظيم الخلوي والبيئي.

أولاً: مفاهيم الجينات في نظرية المعرفة الجينية لعلم الوراثة الحديث

1. الجين الآلي ((الآداتي)) في الوراثة المندلية الكلاسيكية:

- يشار إلى مفهوم الجين الذي بنى الأعمال المندلية المبكرة وعلم الوراثة الكروموسومية الجزيئية باسم الجين الآلي، الذي يلعب دوراً حاسماً في بناء وتفسير التجارب التي يتم فيها استكشاف العلاقة بين النمط

الظاهري عن طريق التهجين. بدأ علم الوراثة على يد مندل بدراسة كيفية انتقال الصفات الوراثية من الآباء للأبناء، ونسب توزيعها بين أفراد الأجيال المختلفة.

- كان مندل يفترض السلوك الوراثي لعوامل أو محددات خفية تكمن وراء الخصائص المرئية أو الظاهرية الموروثة بشكل ثابت لكائن حي، وهذا واضح في استخدام مندل لرموز الحروف المجردة للمحددات الوراثية، وذلك للإشارة إلى العوامل الفيزيائية التي تكمن وراء وراثة الصفات. فقد افترض مندل وحدة أو عامل مرتبطة بشكل مباشر بصفة- أو سمة أي أنه افترض وجود وحدات وراثية تنتقل بين الأجيال وفقاً لقوانين رياضية.

- علاوة على ذلك، تمكن مندل من الانتقال من توصيف مساهمة الأمشاج التي تمت معالجتها باسم العوامل، إلى العناصر التي تختلف بها الأمشاج، ومع ذلك لم يفكر مندل في الانتظامات كقوانين للوراثة. وفي الواقع، أن تركيز مندل على الهجائن من سلالات أصلية من نباتات البازلاء، سمح له بتطوير نظام تجريبي يعمل بمثابة مقياس للاضطرابات التي قد تحدث أثناء انتقال الاستعدادات الوراثية. وسوف يتم تطبيق متغيرات نظام مندل التجريبي على دراسات الجين في القرن العشرين، وكانت منهجية مندل المكررة هي الأساس للابتكارات المفاهيمية المهمة.

- في أوائل القرن العشرين، أعيد اكتشاف قوانين مندل، عندما استخدم المندليون الأوائل نظام مندل التجريبي باعتباره أساسي لفهم طبيعة الوراثة أي أنه قوانين للوراثة. وقد تم تسمية عوامل وحدات الوراثة غير المعروفة لمندل باسم ((الجينات))، وهو مصطلح صاغه ((فيلهم جوهانسن)) في عام 1909. وقدم أيضاً، (جوهانسن)، التمييز بين النمط الجيني والنمط الظاهري، حيث استحوذ المفهوم الثاني في البداية على نطاق التباين المتقلب في سمة كمية، ثم بعد ذلك، فيما يتعلق بخصائص الفرد أي الاختلافات الكمية والنوعية، وكان النمط الجيني هو مجموعة الجينات، التي تنقل من الآباء إلى الأبناء⁽¹⁾.

- وفي ذلك الوقت، اقترح (هوجو دي فريس) مفهوم الطفرة، وذلك لتفسير الظهور التلقائي لأنواع مستقرة جديدة، أي للتعبير عن التغيرات واسعة النطاق التي تؤثر على العديد من الصفات في وقت واحد، مما يؤدي إلى ظهور نوع جديد⁽²⁾.

- لقد توصل معظم اتباع مندل إلى أن التنوع في الصفات التي حدثت بشكل تلقائي قد تم من خلال التغيرات في العوامل كوحدات من المادة الوراثية، وبالتالي، أصبحت التباينات المختلفة لكل عامل أو جين تسمى الأليلات، وهي التغيرات التي يمكن التعبير عن السمة - الصفة بها.

- وفي العقد الثاني من القرن العشرين، اقترح العالم الأمريكي توماس مورغان، من خلال تجاربه على ذبابة الفاكهة، بأن الكروموسومات هي الحاملات للعوامل الوراثية المندلية، وهذه العوامل - الجينات تنفصل أثناء إنتاج الخلايا الجرثومية أي الجينات، وتتحد مرة أخرى أثناء التكاثر الجنسي. فقد طور مورغان تفسيراً ظاهرياً للجينات: بعد تحديد الطفرة يجب أن يكون من الممكن تحديد موقع الجين المتحور على الكروموسوم⁽³⁾. لقد تم توطين عدد من الجينات في مواضع محددة على كروموسومات محددة، كما تم وضع مجموعات من الجينات التي أظهرت درجة ما من الوراثة المشتركة في مجموعات ارتباط، وبالتالي، أصبحت ظاهرة الارتباط وانتهيارها عن طريق التهجين الأساس الأساسي لرسم خرائط الجينات.

- بناء عليه، كان أحد الاكتشافات المهمة للوراثة الكلاسيكية، هو اكتشاف العلاقة المعقدة بين الجينات والصفات التي غالباً ما تكون أعقد مما تصورها مندل، حيث أن صفة ظاهرية قد تتأثر بعدة جينات، وقد يؤثر جين واحد على عدة صفات⁽⁴⁾.

- في هذا السياق، قدم (هيرمان مولر) عام (1922) بياناً خاص عن طبيعة الجين المادي المفترض: يتمتع الجين بخاصيتين الأولى، الجين محملاً ذاتياً أي قادراً على التكرار الذاتي- إعادة إنتاج نفسه- من أجل شرح الوراثة. الثانية، الجين محملاً غير متجانس - (إنتاج شيء مختلف في الهيكل نفسه-)، من أجل شرح مظاهر الاختلافات الوراثية في الأنماط الظاهرية المختلفة، أي أن الجين قابلاً للتغيير وذلك لإنشاء تباين وراثي، والذي يمكن عليه أن يتصرف - يعمل الانتخاب الطبيعي⁽⁵⁾، وعليه، تم التمييز بين الوراثة والتطور، ليس لأن الناس اعتقدوا أن الكائن الحي يمكن اختزاله في جيناته، ولكن لفهم العلاقة المعقدة بين النمط الجيني والنمط الظاهري.

- أصبح مفهوم الجين أكثر واقعية، في أوائل ثلاثينات القرن العشرين، فقد اعتبرت الجينات وحدات وراثية غير قابلة للتجزئة، وتقع كل منها في نقطة محددة على كروموسوم معين- ويمكن تعريف الجينات من حيث سلوكها كوحدة أساسية على أساس أربعة معايير: الانتقال الوراثي، إعادة التركيب الجيني، الطفرة، وظيفة الجين.

- لقد كان علماء الوراثة الكلاسيكية، يحددون الجينات بشكل روتيني بناء على الاختلافات الظاهرية في تجارب التهجين، وبالتالي، كان لابد من افتراض الاختلافات بين الخلايا الجرثومية الأولى، وفي وقت لاحق، بين الكروموسومات لتفسير أنماط الارتباط الظاهري بين الكائنات الحية التي تتكاثر جنسياً وذريتها، وللتنبؤ بالأنماط الظاهرية أيضاً. كذلك، لم يكن من الضروري معرفة موقع الجينات المادي، أو تركيبها المادي، وبهذا المعنى كان مفهوم الجين أداتياً⁽⁶⁾.

- كان هذا المفهوم للجين هو ما أهتم به علماء الوراثة الكلاسيكية في عملهم الفعلي، ولم يكن هؤلاء العلماء على دراية بالطبيعة المادية للجينات، لذا كان نهجهم يبدأ من النمط الظاهري، وهذا ما يسمى بالنهج الوظيفي، لأن الجين يتحدد بوظيفته الظاهرية.

2. الجين الجزيئي الأسمى في الوراثة الجزيئية المبكرة:

- إن مفهوم الجين الأسمى - الجزيئي الكلاسيكي - هو نتاج محاولة ناجحة لتحديد الأساس المادي للجين الآلي في أوائل الأربعينات من القرن العشرين، ومع تقدم الكيمياء الحيوية، اكتشف (اوزوالد أفيري) بأن الحمض النووي هو الناقل للوراثة أو المادة الوراثية. ورغم هذا العمل نشر في عام (1944) إلا أنه أستغرق ما يقرب عقد من الزمان حتى أصبح مقبولا، وكان الدليل التجريبي الذي أقنع المجتمع العلمي، هو تجربة (هيرتشي وتشيس) عام (1952)، حيث أظهر هذان العالمان أن مكون الحمض النووي في البكتريا هو المسؤول عن تكاثرها⁽⁷⁾.

- مع ذلك، كان الاختراق الأكثر أهمية، هو الكشف عن البنية الحلزونية المزدوجة للحمض النووي على يد (واتسون وكريك) عام (1953)، وبالتالي تم تحديد البنية الجزيئية للجين باعتباره تسلسلاً من الوحدات المتكررة تسمى النيوكليوتيدات. لقد أدى قبول الحمض النووي كمادة وراثية وبنية الجين، إلى إنهاء البحث عن الأساس المادي للجينات. وبعد ذلك، تحول البحث إلى السؤال عن كيفية عمل الجينات.

- على أساس تسلسل الاحماض الأمينية للبولي تيدات الأنسولين، صاغ (كريك) فرضية التسلسل التي افترضت أن خصوصية جزء من الحمض النووي أو الحمض النووي الريبي، يتم التعبير عنها فقط من خلال تسلسل قواعدها، وهذا التسلسل عبارة عن شفرة لتسلسل الاحماض الامينية لبروتين معين. أي أن البروتين الناتج يعتمد على التسلسل الدقيق لقواعد النيوكليوتيدات- والتسلسل للقواعد هو الكود الذي يحمل المعلومات الجينية. بعد ذلك، صاغ (كريك) ما اسماه العقيدة المركزية فيما يتعلق باتجاه العلاقة بين تسلسل القواعد في الحمض النووي وتسلسل الاحماض الامينية في البروتينات.

- في هذا المنظور، فإن الجين هو جزء معين من الحمض النووي يقع على الكروموسوم، وأن كل جين ينتج عنه منتج جيني معين أو بروتين في كل خلية، وبالتالي، يؤثر على صفات الكائن الحي، ومركبة الجينات أو العقيدة المركزية تنص على أن العملية التي تنتج بواسطتها الجينات منتجاتها البروتينية لها مرحلتان: أولاً النسخ، حيث ينسخ جزء من الحمض النووي إلى الحمض النووي الريبي أي نقل المعلومات من الحمض النووي إلى الرنا المرسال. ثانياً الترجمة، حيث تفك الشفرة شفرة الحمض النووي الريبي- الرنا الناقل- لترتيب الاحماض

الأمنية في البروتين، أي نقل المعلومات من الحمض النووي إلى البروتين خطأ. كان هذا المفهوم الاسمي للجين ويثيق الصلة بمفاهيم المعلومات الوراثية، وبالتالي، بالحتمية الجينية.

- عليه، أدى علم الوراثة الجزيئي إلى ظهور ما يسمى بمفهوم الجين الجزيئي الاسمي، الذي تم وصفه كما أشرنا أعلاه، من الناحيتين البنوية والوظيفية، كانت وظيفة هذا الجين الموصوف جزئياً- إعطاء سلسلة (بولي بيتد) (أي جين واحد)- كأساس لبروتين وظيفي، من خلال عمليات النسخ والترجمة، وعلى هذا، أصبحت الجينات كيانات مادية ملموسة، وأنها صانعات للبروتينات بدلاً من صانعات للصفات، مما يعني أن الجينات تتضمن الحمض النووي أو المعلومات الجزيئية المطلوبة في صنع البروتينات⁽⁸⁾

- لقد كانت المعلومات الجينية بالنسبة للعلماء الأوائل لعلم الوراثة الجزيئي، تشير إلى تسلسلات ترميز البروتين- أي تسلسل الحمض النووي (الكودونات)، ويشير إلى تسلسل الحمض النووي هذه على أنها جينات اسميه.

أ. تكنولوجيا الحمض النووي وتقويض المفهوم الاسمي للجين:

- في ثمانينيات وتسعينات القرن العشرين، طورت التكنولوجيا اللازمة لتحديد تسلسل الجينات- تسلسل النيوكليوتيدات، وقد أدى ذلك إلى علم الجينوم الذي أدت اكتشافاته إلى تقويض مفهوم الجين الجزيئي الاسمي التقليدي تدريجياً. فمنذ سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، ومع تقدم تأثير تطبيق التقنيات التجريبية من الفيزياء الحيوية والكيمياء الحيوية على الدراسات الجزيئية للجين، تم اكتشاف آليات خلوية جديدة تشارك في نسخ الجينات وترجمتها. لقد تم اكتشاف فئة جديدة من العناصر الجينية: الجينات التنظيمية والجينات التركيبية، تنتج الأولى البروتينات (عوامل النسخ) التي تشغل وتوقف الجينات التركيبية، أي أن الجينات التنظيمية هي التي تتحكم في تخليق البروتينات، بينما الجينات التركيبية تشفر البروتينات التي تبني خلايا الجسم، إضافة إلى ذلك هناك جينات لا تشفر للبروتينات مطلقاً، ولكن لأنواع مختلفة من الرنا - كرنا الناقل وورنا الريبوسومي - جميعها ضروري لقيام الجين بعملية⁽⁹⁾.

- يعني هذا بعبارة أخرى أدق، أنه بالإضافة إلى الجينات التي تشفر البروتين تم اكتشاف العديد من الجينات التي لا تشفر البروتين في الحمض النووي الريبوزي الوظيفي، أي اكتشاف فئات جديدة من الرناوات الوظيفية - كالرنا الناقل، والرنا الريبوسومي، والرنا الطويل- والتي لها دوراً في تنظيم عملية نسخ وترجمة الجينات، إذ أنها تؤثر على البروتينات المترجمة أو المشفرة (منتجات الجينات)، وبالتالي، يمكن عبر تحديد الحمض النووي الريبوزي الوظيفي، تعديل وتغيير العديد من النيوكليوتيدات - أي تسلسل الاحماض الأمينية المشفرة-

المفردة. أن تحدير الحمض النووي الريبي، هو آلية للتعديل، وهي قادرة على تعطيل الخطية من تسلسل الحمض النووي والمنتج النهائي، وهذا يتعارض مع مبدأ أساسي لمفهوم الجين الجزيئي الإسمي، ألا وهو أن الجين يتضمن كل الحمض النووي المسؤول عن صنع البروتين، أي أنه يفترض أن المعلومات الوراثية توجد فقط في تسلسلات الحمض النووي الخطية.

- بالإضافة إلى آلية تحدير الحمض النووي الريبي الوظيفي، هناك آلية أخرى تتعلق بتنظيم الجينات أو بمعالجة الحمض النووي الريبي الناقل- المرسل- تتعارض مع فرضية الجين الواحد (البولي بيتيد واحد) باعتبارها وصفاً عاماً للجين، ألا وهي آلية الربط- الوصل البديل، وهي كوسيلة لإنتاج نسخ مختلفة من جين واحد أي أن تسلسل واحد من الحمض النووي يمكن أن ينشأ منه عدة بروتينات مختلفة، وليس بروتناً واحداً، كما يمكن للعديد من الجينات أو سلاسل الأحماض النووية المختلفة أن تشكل وتصنع (تشفر) البروتين نفسه. بالتالي، كان وجود هذه الآليات أو العناصر المتنوعة للحمض النووي الريبي، دليل على عدم وجود وحدة وراثية فيزيائية ووظيفية واحدة يمكن أن يطلق عليها اسم الجين الواحد.

- وعلى هذا، كانت النتيجة الصافية هي إدراك أن المفهوم الأساسي للجين باعتباره شكلاً من أشكال وحدة الوراثة العامة والشاملة بسيط للغاية، وبدلاً من ذلك يحتوي الجينوم على العديد من الفئات المختلفة للوحدات المعلوماتية يمكن اعتبار كل منها جيناً. ومع ذلك، ظل مفهوم الجين على حاله، إذ أنه مازال من الممكن النظر إلى الجين نفسه باعتباره تسلسلاً محددًا من النيوكليوتيدات في الحمض النووي، حتى ولو كان يحتوي معلومات لأكثر من نوع واحد من سلسلة البولي بيتيد- الجين⁽¹⁰⁾.

- مما يعني، إن العقيدة المركزية للجينات لا تزال قائمة، إذ أن المعلومات الجينية لا تزال موجودة في تسلسلات ترميز البروتين. ويمكن القول بمعنى آخر، أنه لا يزال النظر إلى الجينات وبالتالي الجينوم باعتبارها تحتوي على كل المعلومات البيولوجية اللازمة لبناء كائن حي. واستمر هذا الفهم سائداً طوال القرن العشرين، مع تجاهل عناصر الحمض النووي الريبي الوظيفي- غير الجيني على نطاق واسع، وذلك باعتباره حمضاً نووياً غير مرغوب فيه⁽¹¹⁾.

- لكن الأمور تغيرت في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، عندما أثبتت اكتشافات مشاريع تسلسل الحمض النووي أي تسلسل الجينومات بالكامل الجديدة، تعقيدات التنظيم تنظيم الجينات- والمعالجة بعد النسخ للحمض النووي الريبي، وبالتالي، أن الأمور أكثر تعقيداً مما يوحي به مفهوم الجين الجزيئي الإسمي، وبالأحرى مفهوم مركزية الجينات، فلم يعد من المنطقي التفكير في الجينوم باعتباره نقطة انطلاق أو بداية

لسلسلة سببية تنقلنا من النمط الجيني إلى النمط الظاهري، إذا لم يعد من الكافي تحليل الجينات لفهم الصفات التي ترتبط بها، ولم يعد البرنامج الجيني كافي لتفسير الكائن الحي، لأن الكائن الحي نظامًا منظمًا ذاتيًا يعتمد على تفاعلات معقدة بين الجينات والعوامل البيئية.

- ونتيجة لهذا، كان لزاما إعادة تعريف الجين من منظور نظري يحل محل البنية السببية الخطية، وذلك من خلال منظور نظرية المعرفة الجينية لعلم ما بعد الجينوم، علم الوراثة فوق الجينية.

ثالثًا: مفهوم الجين ما بعد الجينومي في المعرفة الجينية لعلم الوراثة فوق الجينية:

- منذ إطلاق مشروع الجينوم البشري في أوائل التسعينات حتى بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، كانت التوقعات الأولية بأن الحمض النووي يحتوي على جميع المعلومات المطلوبة لتصنيف نمط ظاهري أو فرد معين. كما تراوحت التخمينات بأن التسلسل الكامل لأول جينوم بشري يضم نحو 80 ألف جين إلى 100 ألف جين.

- لكن، مع بداية القرن الجديد، ومع تقدم البحوث الجينومية، بدأت تلك المفاهيم التقليدية التي شكلت الأساس لأطلاق مشروع الجينوم البشري في الانهيار. ففي عام 2003، تم الإعلان عن إحدى النتائج غير المتوقعة لمشروع الجينوم البشري التي افادت بعدد أقل كثيرًا من الجينات مما كان متوقعًا، حيث أثبتت أن الجينوم البشري يحتوي فقط على حوالي 23000 جين مشفر للبروتين، وإن المعلومات الواردة في هذه الجينات البالغ عددها 23000 قدمت تفسيرًا محددًا للغاية، فقد تم تحديد العديد من أشكال التعقيد، وتحطمت فكرة أولوية الجين كعامل حاسم في التعبير عن الصفات، التي أنتقدها (يوها نسن) عالم الوراثة المندلية الكلاسيكية قبل قرن من الزمن⁽¹²⁾.

- بناء عليه، تم وضع حدًا فعليًا للفرضية القائلة بأن الحمض النووي الريبي غير المشفر يفتقر إلى الوظيفة - (أي أنه كما أشرنا سابقًا كان خردة أو غير مرغوب فيه-)، وتم التأكد على أن الجينوم البشري ينسخ على نطاق واسع حتى في الأماكن غير المشفرة؛ إذ إن التسلسلات التنظيمية لـ NCRA (أي الحمض الريبي غير المشفر) الناتجة قد تتحلل مع تسلسلات ترميز البروتين، وأخيرًا، أن التسلسلات غير المشفرة (الحمض النووي الريبي) غالبًا ما تكون محفوظة بقوة تحت التطور⁽¹³⁾.

- وفي الواقع، إن نتائج المشروع الجينوم، قد جعلت الانحرافات المعروفة بالفعل عن النموذج الكلاسيكي للجين الجزيئي الاسمي المشفر للبروتين تظهر كقاعدة وليس استثناء، فمنذ عام 2007، تم توسيع مشروع الجينوم (ENCODE) ليشمل جينومات عدد من الكائنات الحية النموذجية من أجل دراسة العلاقة

بين التسلسل والوظيفية، وأخيرًا تم إصدار النتائج الأكثر اكتمالاً في عام 2012، والتي أكدت بأن معظم الجينوم منسوخ، وتؤكد على أن نسخ الحمض النووي الريبي غير المشفر للنسبة المتبقية من الجينوم (98% إلى 99%) تشكل جوهر عملية التعبير الجيني أو منتجات الجينات.

- وعلاوة على ذلك، فإن طبيعة هذه العملية تعني أن النمط الظاهري لا يتم تحديده من خلال تسلسل الحمض النووي، ولكنه يعتمد على تفاعل موزع ويعتمد على السياق البيئي. باختصار، يوفر الحمض النووي الريبي (NCRNA) موردًا غنيًا للغاية لوفرة من الآليات التنظيمية، التي تمكن التعبير الجيني من الاستجابة للاختلافات في كل من السياق البيئي المحلي والبعيد، فهي توفر الوسائل التي يمكن للكائنات من خلالها التكيف مع البيئات المتغيرة. وعليه، لم يعد الجين الوحدة البيولوجية - الوراثة - الأساسية.

- على هذا، فإن الجينوم اليوم أو الجينوم ما بعد الجينومي، أشبه بآلية تفاعل - استجابة، يعني إن الجينات أو الجينوم نظامًا تفاعليًا في جوهره، ونظامًا فرعيًا من الخلية يتألف من الحمض النووي الذي صُمم على مدار التطور لكي يستشعر الإشارات التي تصطدم به ويستجيب لها (استجابة للإشارات التي يتلقاها من بيئته). وبالتالي، أن المهمة الأولى للجينوم (الجينات) الجديد، هي اكتشاف الإشارات التي تصطدم به، وثم تمثل مهمته الثانية، في الاستجابة بطرق تؤدي إلى تغيير أنماط التعبير الجيني.

- في هذا التعريف أو الوصف للجينوم (الجينات)، تم وصف الجينات ليس فقط كموارد، ولكن أيضًا باعتبارها متفاعلة مع السياق الخلوي بدلًا من توجيه العمليات الخلوية، أي أن الجينات تعمل كموارد وليس محركات رئيسية في توجيه الخطية التنظيمية، وأن وظيفة الجين مرتبطة بالكامل بسياقها الخلوي، وفي السياق البيئي. وفقًا لمفهوم جين ما بعد الجينوم، فإن الجينات والمعلومات الوراثية التي تحتوي عليها تشكل أثناء التطور، مما يجعل الجين كيانًا مرنا يعتمد على السياق⁽¹⁴⁾.

- لذا، فإن بناء النمط الظاهري أو الكائن الحي لا يتم تحديده من خلال تسلسل الحمض النووي الخطي. وعلاوة على ذلك، فإن مفهوم الجين ما بعد الجينوم يؤكد على أن الجين عبارة عن تسلسلات جينومية تشفر مجموعة متماسكة من المنتجات الوظيفية المتداخلة.

- لذلك، يشكل المفهوم ما بعد الجينوم للجين تحديًا كبيرًا للافتراضات التقليدية حول العلاقة بين النمط الجيني - الوراثي والنمط الظاهري. أن علم ما بعد الجينوم أو علم الوراثة فوق الجينية، قد قلب الفهم التقليدي للدور الأساسي للجينوم رأسًا على عقب، فحوله من مجموعة تنفيذية من التعليمات التوجيهية إلى نظام حساس وتفاعلي؛ إذ التحول من مفهوم سابق للكيان باعتباره مجموعة ثابتة من الجينات، إلى مفهوم نظام ديناميكي تفاعلي

مخصص لتنظيم تسلسلات ترميز البروتين في سياق محدد، بمعنى تفاعل الجينوم ما بعد الجينومي مع الإشارات البيئية المتغيرة باستمرار.

- لكن مع ذلك، إن مفهوم الجين ما بعد الجينوم لم يحل محل المفاهيم السابقة للجين التي غالبًا ما تظل أفضل طريقة للتعامل مع فئات الظواهر الجينية التي اهتمها؛ أي أن علماء البيولوجيا مازالوا يستخدمون مفهوم الجين المندلي الآلي للوراثة الكمية، ويستخدمون مفهوم الجين الجزيئي الاسمي عند ما يدرسون التسلسلات الموضوعية؛ أما مفهوم الجين ما بعد الجينومي، تم اقتراحه لالتقاط المواقف التي يركز فيها الباحثون على تغيرات التنظيم والنسخ والترجمة، وتصور الجينات كموارد تستخدم بطرق مختلفة في العمليات الخلوية، فالجين ما بعد الجينوم يركز أكثر على الوظيفية (المنتج)؛ مما يعني، أن التفسيرات ما بعد الجينوم تتم من حيث الإشارات أو التنظيم أو شبكات الجينات المتفاعلة⁽¹⁵⁾، والنتيجة لذلك، أصبحت المفاهيم المتعددة للجين تتعايش؛ إذ تتداخل جزئيًا مع بعضها البعض حيث يتناول كل من هذه المفاهيم جزءًا مختلف من سلوك الجينات.

ختامًا

- الأخير يمكن القول، في إن مفهوم الجين واستخدامه معقد، لأنه تطور مع التطورات (التخصصات) في علم الوراثة خلال المائة عام الماضية.

- بدأ الجين كمفهوم آلي متغير متداخل، تم تحديده وظيفيًا من خلال نمط الوراثة المندلية- (تم اعتبار الجين وحدة غير محددة-)، وسرعان ما اكتسب الجين هوية ثانية كوحدة مادية افتراضية. وقد انتهى الجدل المثير بين المفاهيم الوظيفية والبنوية للجين، إلى المفهوم الجزيئي الاسمي للجين الذي دمج البنية والوظيفة في تعريف واحد، والذي يفيد بأن الجين هو تسلسل الحمض النووي.

- لقد استلزمت الظواهر المكتشفة للأبحاث الجينومية، في القرن الحادي والعشرين، مفاهيم جديدة للجين، حيث قلبت الأبحاث الجينة لعلم عصر ما بعد الجينوم (علم الوراثة فوق الجينة) العديد من المفاهيم التقليدية حول الطريقة التي تؤثر بها الجينات على النمط الظاهري، والطريقة التي يتم بها تفسير مفاهيم الجين نفسها، وقد تضمن ذلك مفهومًا جديدًا للجينات على أنها تتشكل أثناء التعبير عن الجينوم، وإنشاء تخصص الجينومات الوظيفية لتحليل البيانات الجينية وتحويلها إلى معلومات مفيدة، أي تحليل بيانات تسلسل الحمض النووي والمعلومات الحيوية في السياق. لقد كان هذا المفهوم الجديد، هو مفهوم الجين ما بعد الجينوم (الجينومي) التفاعلي مع العوامل البيئية.

- إن مفهوم الجين ما بعد الجينوم لم يحل محل المفهوم الآلي للجين، ولا المفهوم الإسمي للجين، بل، إن نظرية المعرفة الجينية لعلم ما بعد الجينوم تعترف بتعدد التفسيرات المفاهيمية ولا تسعى إلى توحيدها، مما يعنى، أنها تدافع عن فكرة مفادها أن التقدم العلمي يتحقق من خلال الجمع بين هذه الأساليب المختلفة. فقد أظهرت البيولوجيا ما بعد الجينوم أهمية المناهج المعرفية المتكاملة من حيث أنها تقدم طرقاً مختلفة لفهم الظاهرة.
- إن استخدامات مفاهيم الجين عديدة ومختلفة بحسب السياقات التحقق أي سياقات الاستخدام لمفهوم معين. لقد أكد علماء البيولوجيا على قيمة المفاهيم للجينات أي قيمتها التفسيرية، عندما ينظر إليها في السياق الصحيح. وقد تلاشت أو تحطمت فكرة التعريف الموحد الشامل للجين، التي مفادها إن جيناً واحد أو عدد قليلاً من الجينات هي العوامل النهائية التي تحدد الصفات، وبدلاً من ذلك، إن التفاعلات بين الجينات والبيئة تشكل أهمية بالغة في بناء الكائن الحي.
- تتمثل مساهمة علم الوراثة فوق الجينية في دراسة ما فوق الجيني، وهي مجموعة التغيرات الوراثة المحتملة في التعبيرات الجينية التي تحدث في غياب التغيرات في تسلسل الحمض النووي نفسه، أي دون إن تحدث تغيرات في تسلسل الحمض النووي.

لائحة المصادر والمراجع

- Robert, Meunier, Gene the Stanford Encyclopedia of Philosophy, URL: <https://plato.stanford.edu/archives/fall2022/entries/genetics>.
- Ibid.
- Laurence Perbal, <<the case of the gene: postgenomics between modernity and postmodernity>>, EMBO Journal, Vol 16, Germany, 2015, P777- 778.
- سمير عكاشة، فلسفة علم الأحياء، ترجمة: عمر ماجد، مؤسسة هندواي، القاهرة، 2023، ص 84
- Paul, Griffiths and Karola. Stotz, <<Genes in the Post genomic-era, Theoretical medicine and bioethics>>, Journal, vol 27, Springer Netherlands, 2006, P.499- 511.
- Robert, Meunier, Gene, Op.cit.
- Petter, Portin and Adam, Widins, <<the evolving definition of the term gene>>, Genetics Journal, Vol 163, Oxford University, 2017, P.353-358.
- Evelyn, Keller, <<From Geneaction to reactive Genomes>>, Physiology Journal, Vol 592, London, 2014, P.423- 425.
- أليكس، روزينغ؛ ودارنيل، فلسفة البيولوجيا مدخل معاصر، ترجمة: ميناسيتي يوسف، المركز القومي للترجمة، 2018، ص 184.
- Petter, Portin, the Evolving Definition of the term gene, Op.cit, P360- 364.
- Evelyn, Keller, From Geneaction to Reactive Genomes, Op.cit, P426- 429.
- Hans, Rheinberger, and Staffan, Muller, The Genfrom Eeetics to Genomics, Chicago University, 2018, P.144.
- Evelyn, Keller, The Post Genomic Genome, in Bood, Post Genomics, S. Sarah and Richardson, DUKE UNIVERSITY, USA, 2015, P. 20- 39.
- Paul, Griffiths and Karola, Genes in the Post Genomic, Op. cit, P. 510- 520.
- Robert, Meunier, Gene, Op.cit.

القصيدة المجسمة عند محمد بنيس:

نحو بلاغة شعرية مغايرة

د. عبد الرحمان إكيدر

كلية اللغة العربية مراكش

جامعة القاضي عياض

المغرب

تصدير:

اهتم الشعراء العرب المحدثون بالتجريب الشكلي للقصيدة من خلال تبني أنماط جديدة في الكتابة الشعرية تتزاح عن المألوف، ومن ثم البناء بلغة جديدة جوهرها الاشتغال الفضائي الذي أصبح يشكل ضرورة ملحة يغذيها السياق، إذ تفرض بعض السياقات وجود أيقونات وتشكيلات هندسية مزوجة للخط من أجل تنشيط فاعلية القراءة لدى المتلقي بوصفه عنصرا مشاركا في عملية البناء النصي. وقد شكلت القصيدة المجسمة نموذجا لهذا الاشتغال الفضائي، فهي قصيدة تستثمر الفضاء وتمتج فيها اللغة والتشكيل، وتخطب العين وتحاور الحواس الإدراكية، ومن أهم وظائفها الجمالية؛ الوظيفة الأيقونية ذات الأبعاد السيميائية، لكونها تركز على العلامات غير اللفظية والمؤشرات الأيقونية الدالة؛ من خطوط وأشكال وألوان، وما تحمله في طياتها من دلالات مفتوحة تتطلب متلقيا فطنا يستطيع تفكيك الشفرات الأيقونية وقراءتها على ضوء الدرس السيميائي.

وقد تلقى عدد من الشعراء العرب وخصوصا المغاربة هذا النمط المغاير وغير المألوف، واتسمت إنجازاتهم باستنادها إلى الخط المغربي في تحقيق البعد البصري، إضافة إلى اعتماد أساليب عديدة في توزيع الجمل والمقاطع الشعرية وتشكيلها. ويعد محمد بنيس من أبرز الأصوات الشعرية التي نهجت هذا الأسلوب في الكتابة الشعرية الذي يحتفي بالخط والجسد ضدا على جبروت الصوت، خصوصا وأن هذا الشاعر زاوج بين الإبداع والتنظير، إضافة إلى كونه فنانا تشكيليا متشعبا بالثقافة المغربية بمختلف أبعادها وروافدها.

1. مدخل مفاهيمي:

اهتم الدرس السيميائي بتحديد مفهوم الأيقون، وقد ارتبط تحديده مع بيرس Charles S. Peirce الذي عده عنصرا من ثلاثية الموضوع. فقد جزأ الموضوع إلى الأيقون، وإلى المؤشر، وإلى الرمز. وفي هذا الشأن يعرف بيرس الأيقونة بأنها "العلامة التي تشير إلى الموضوع الذي تعبر عنه عبر الطبيعة الذاتية للعلامة فقط.

وتتملك العلامة هذه الطبيعة سواء وجدت الموضوعة أم لم توجد. صحيح أن الأيقون لا يقوم بدوره ما لم يكن هناك موضوع فعلا. وليس لهذا أدنى علاقة بطبيعته من حيث هو علامة، سواء كان الشيء نوعية أو كائنا موجودا أو عرfa. فإن هذا الشيء يكون أيقونا لشبيهه عندما يستخدم كعلامة له¹. إن الأيقون هو تلك العلامة الدالة على موضوعها عن طريق المشابهة؛ سواء كانت المشابهة بواسطة الرسم أو المحاكاة، إنها علامة "تحتوي على خصيصة تجعلها دلالة، رغم أن موضوعها غير موجود مثل أثر القلم الذي يمثله المثلث"². ويبدو أن القيمة التي تختص بها الأيقونة دون سائر العلامات قد جعلت منها الفضاء الأرحب للسميائيات عامة، وللسميائيات البصرية التي عبرت عنها الثقافات القديمة على وجه الخصوص. فقد أخذت صبغة دينية حينما أصبحت تشير إلى طلاء ديني خالص للكنيسة الأرثوذكسية في الشرق. كما اهتم بها علماء الأنثروبولوجيا الثقافية والفيلولوجيون وعلماء الآثار. أما في هذا العصر فقد وجد فيها الإنسان ضالته، حيث أصبحت هي اللغة الحية التي بإمكانها أن تتجاوز معوقات اللسان في سبيل تحقيق تواصل أوسع بين البشر³.

يشير محمد مفتاح إلى أن الأيقون ارتبط خصوصا بالمقدس "هذا المقدس الذي يكون مخفيا في الديانات التجريدية، ويكون مجسدا في ديانات أخرى، لأن الطبيعة البشرية غالبا ما ترغب في إدراك الشيء بحواسها. ولذلك، كان يجتهد الأنبياء والرسل والدعاة بتقريب المجردات بالوسائل اللغوية أو بالوسائل الأيقونية أو بالجمع بينهما. الأيقون، إذن، يهدف إلى كشف الخفي وإيضاحه، سواء أكان الأيقون رسما أم نحتا أم لغة أم جمعا بين اللغة والتشكيل، ويقوم بوظيفة الإدماج والإحام بين العالم المقدس والإيمان"⁴.

ويحدد محمد مفتاح شروط الأيقون ويعد بعضها معروفا وبعضها الآخر غير معروف "المعروف هو تطابق العناصر أو اشتراكها، والتطابق يؤدي إلى تطابق المحاكى والمحاكى والاشتراك يؤدي إلى المماثلة أو التوازي. وأما اللامعروف وغير المتداول، فهو تمثيل الشيء في فضاء، والاشتراك في الفضاء، والتعلق الفضائي بين الأيقونات، وعليه، فإن التطابق والاشتراك بين الشيئين أو الكيانين أو الموضوعين يجب أن يتما في فضاء واحد"⁵. فإذا لم يقع اشتراك العناصر في الفضاء، فإن المحاكى لا يسمى أيقونا، وإنما هو رمز. وتأسيسا على هذا، فإن كل رمز

¹ سيزا قاسم - نصر حامد أبوزيد وآخرون، مدخل إلى السيميوطيقا - أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2014، ص 142.

² عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980، ص 125.

³ أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة - المنطق السيميائي وجبر العلامات، منشورات: اختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2005، ص 92.

⁴ محمد مفتاح، التشابه والاختلاف - نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1996، ص 190.

⁵ نفسه، ص 191.

أيقون، وليس كل تمثيل بصري أيقونا¹. وقد حاول ناعومي س. بارون أن يحدد خطاطة تستحضر جميع مكونات العمل الفني محددًا درجات العلامة الأيقونية من الأيقونة المطابقة إلى الاعتباطية، وفق الشكل التالي:

درجات الأيقونية في اللغة

اللغة الأدبية – اللغة العادية – اللغة العلمية

<-----الأيقونية-----الاعتباطية----->

الواقعية – الانطباعية – التعبيرية – التجريدية

<-----الأيقونية-----الاعتباطية----->

يتبين من هذه الخطاطة أن اللغة الأدبية لغة أيقونية بامتياز، وخصوصاً حينما يتعلق الأمر بالخطاب الشعري. وبالأخص الشعر الفضائي أو الشعر المجسم².

تعد القصيدة المجسمة قصيدة المكان وتبئير الفضاء، تهدف إلى مخاطبة العين ومحاوره الحواس الإدراكية المجسدة، ومن أهم وظائفها الجمالية الوظيفية الأيقونية ذات الأبعاد السيميائية لكونها تركز على العلامات غير اللغوية والمؤشرات الأيقونية الدالة. ويعرفها محمد مفتاح بقوله: "إن الشعر المجسم عبارة عن امتزاج بين الكلام والرسم، أو بين اللغة والتشكيل. وقد وقع نقل الشعر المجسم (من اللغة والتعبير البصري إلى أشكال تعبيرية أخرى)، ومعنى هذا أن هناك بنية عضوية بين اللغة والتصوير لأداء وظائف معينة وتحقيق غايات جمالية وإيديولوجية مقصودة. ومع هذا، فإن الاتفاق لم يكن حاصلًا بين المفكرين والباحثين حول ماهية هذه النصوص المركبة. فهناك اتجاه يرى أن مثل هذه النصوص ليست لها وظائف أو أهداف، وهناك اتجاه آخر يعاكسه الرأي"³.

وقد تنبه الباحثون اللاحقون لأهمية القصيدة المجسمة واعتبروها ظاهرة شعرية تستحق الدراسة والتحليل، تكشف عن جملة من الدلالات الثرية التي يتضافر فيها ما هو لغوي وأيقوني، وقد خصصت مجموعة من المجلات الأدبية النقدية مثل (الشعرية) و(اللغة الفرنسية) و(سميوتيك) مقالات تسبر أغوار هذه القصيدة تنظيرًا وتحليلًا، مثال ذلك مقال "ميمي نادين" في مجلة (الشعرية) بعنوان (حول معنى الشعر المجسم) الذي يبين فيه دواعي شيوع هذه القصيدة. و"يكاد يجمع هؤلاء الدارسون على أن الشعر المجسم يتركب من عنصرين

¹ نفسه، ص 191.

² نفسه، ص 192.

³ محمد مفتاح، التشابه والاختلاف – نحو منهجية شمولية، ص 193.

اثنين، هما عنصر اللغة وعنصر الرسم: عنصر اللغة المتجلى في بعض الحروف أو في بعض الجمل أو في خطاب، وعنصر الرسم الذي يمكن أن يؤديه حرف أو عدة حروف، أو يكون رسماً مستقلاً عن عنصر اللغة بحيث يقع ضمنه أو جواره¹. وتتسم هذه القصيدة بمجموعة من المقومات والمكونات التي تميزها عن باقي القصائد الشعرية، أهمها أنها:

- تزواج بين الدليل اللغوي والدليل الأيقوني.
 - تركيز على ثنائية البياض والسواد.
 - تستهدف حاستي البصر والسمع.
 - تجمع بين البعدين الزماني والمكاني.
 - تتطلب قارئاً واعياً مؤهلاً على فك شفرات النص بمختلف أبعاده.
 - تستند على التبئير والتشظي الكرافيكي والنبر البصري.
 - تنبني على التنوع السيميائي للخط، وتبئير علامات الترقيم، وتهجين العلامات الإعرابية، وتنويع الأشكال البصرية، وتشغيل الألوان.
 - توظف الخطوط اليدوية والمطبعية.
 - توظف أشكال هندسية متنوعة بمختلف الأحجام.
- كل هذه السمات تجعل من هذه القصيدة لوحة فنية شكلية لغوية سواء أوقع الرسم بالكلمات أم كان رسماً مستقلاً مصحوباً بحروف أو بكلمات توضيحية. أما فيما يتعلق ببنية هذه القصيدة فـ "يذهب لاباشري إلى أن التصوير تابع للنص. يقول: «إن الرسم الناتج عن وضع النص في الصفحة وفي الأسطر يركب دلالاته على دلالة الخطاب اللغوي»، ويقول: «إن النص ينتج ويوجد الرسم بفضل كلمات النص». إن ما قاله لاباشري صحيح في الإجمال، ولكنه ليس صحيحاً على الإطلاق. فهو صحيح من حيث تعلقه ببعض الأشعار التي تكون (رسماً بالكلمات) مثل قصيدة (اليامة): إذ بالكلمات رُسم شكل اليامة، وبالنص نفسه علمنا أن المرسوم يامة. وهذه النصوص تتكون من ترادف مركب: ترادف التصويري - اللغوي، واشتراك اللغوي - التصويري. فالاشتراك اللغوي يتجلى في إمكان قراءة النص قراءتين:

¹ نفسه، ص 194.

اللغة } اليمامة: طائر أبيض ذو منقار دقيق ويطير طير انا خفيفا.
 } اليمامة: فتاة طاهرة الذيل دنفة.

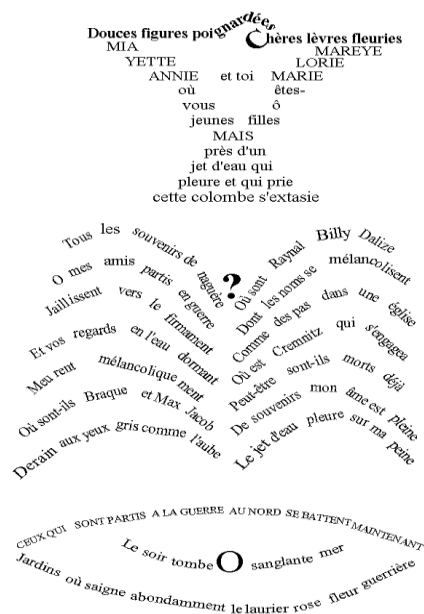
الرسم } اليمامة: طائر معروف رمز للسلام
 } النسر: طائرة معروف رمز للحرب

إن هذا النص – الرسم قامت الكلمات فيه بدورين مزدوجين: دور الخطاب ودور الرسم. وقد نتج عن ذلك تضاد: اليمامة/ النسر، السلام/ الحرب. على أن هناك رسماً لا يكون بالكلمات، وإنما يكون ذا استقلالية، وأمثله في الشعر العالمي وفي الشعر المغربي كثيرة. على أن هذه الاستقلالية لا تعني أن الأشكال الرسمية جسم أجنبي على الشعر، كما أن الأشكال الرسمية لم تضاف إليها أسطر شعرية إضافية، وعلى أساس مدى الالتحام بين البنيتين يمكن تقويم هذا النوع من الشعر¹. وقد اهتم الشعراء في الغرب بالقصيدة المجسمة التي ذاع صيتها وتلقاها، ومن أشهرها قصائد الفرنسي أبولينير Guillaume Apollinaire كقصيدة اليمامة، وقصيدة النسر، وقصيدة برج إيفل. إضافة إلى شعراء آخرين مثل مالارمي Mallarmé ورامبو Rimbaud، وبول إيلوار Paul Eluard وغيرهم.

¹ محمد مفتاح، التشابه والاختلاف – نحو منهجية شمولية، ص 195.



قصيدة برج إيفل



قصيدة النسر واليمامة

2. القصيدة المجسمة العربية وظروف النشأة:

شهد الشعر العربي تحولات جذرية على مستوى شكله وهيكلته، فقد انتقلت القصيدة العربية من شكلها التقليدي العمودي المبني على أبيات شعرية متناظرة إلى أنماط شكلية مغايرة، كما هو الشأن في الموشح الأندلسي، وقصيدة الشعر الحر، وقصيدة النثر، وقصيدة الهايكو، وغيرها من الأشكال التجديدية. كما انتقلت القصيدة العربية من التلقي الشفهي الذي يعتمد حاسة السمع إلى تلقى يزواج بين حاستي السمع والبصر كما هو الحال بالنسبة للقصيدة المجسمة.

ويمكن تتبع إرغاصات هذا الملمح التجديدي في بعض المحاولات الشعرية القديمة، وهي محاولات تسعى إلى التجديد بعيدا عن مظاهر التقليد التي سادت لقرون عدة، وذلك بإعادة ترتيب للشطين أو للتفعيلات ذاتها، وقد اتسمت بعض المحاولات بالانزياح عن المألوف في الشكل على الرغم من أن بناء القصيدة يبقى تقليديا صرفا، ولم يزد عن إعادة رسم أشطر الأبيات على بياض الصفحة بطريقة مغايرة. كما اتسم الشعر في العصر المملوكي بقصائد صيغت بطرائق هندسية مختلفة وذلك بغرض الزخرفة والنقش على أسطح المساجد أو المنابر وما إلى ذلك، بحيث تناسب صياغتها غايات الزخرفة والتزيين. فنجد على سبيل المثال مقطوعة كاملة خالية تماما من النقط، ونجد الأخرى تتكرر فيها بعض الحروف في كل كلمة من كلماتها، وثالثة تبدأ كل كلماتها بحرف

معين، بحيث تكون قابلة للرسم بشكل بديع. وقد عكس هذا التفنن في تنزيل القصائد في شكل رسومات وزخارف النهضة التصويرية المعمارية، كما يعكس أيضا الطاقة الإبداعية للشاعر الذي أضفى رساما ونحنا يمزج بين التعبير والتشكيل.

ويعزى هذا التطور إلى التأثير بالثقافات المجاورة كالفُرس والروم، إضافة إلى وجود محاولات سابقة في مجال تخبير الكتابة وتجويدها خصوصا ما أُنتج من مخطوطات أدبية وفقهية وصوفية، مثل ما خلفه ابن مقلة في رسائله، وإخوان الصفا الذين فلسفوا الحروف وصوفوا الأشكال البصرية في كثير من رسائلهم الكلامية والعقائدية، كما فعل ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكية)، والصولي في (أدب الكاتب)، والقلقشندي في (صبح الأعشى)، وابن وهب في (البرهان في وجه البيان)، وابن السيد البطليوسي في (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب)، وغيرها من الآثار التي تفنن كتابها في تمييقها وضبطها على مستوى الخط والهوامش والإخراج. يقول محمد بنيس في هذا الصدد "لقد جعل النقد العربي القديم من البيت الشعري مسكنا للمعنى (ولا خير في بيت غير مسكون) كما قال ابن رشيق، ويقدر ما يطرح هذا التعريف للسكن مسألة أسبقية المعنى فإنه يثير ضرورة السكن بتفاعله مع البناء. إنه مكان (حر) حسب هيدجر. ومن الدلالة البارزة في موقف الشعراء العرب المعاصرين من البيت الشعري القديم، والبناء النصي عموما، هو أنه لم يعد مكانا حرا، فهذه نازك الملائكة تقول عن الشعر الحر: «إننا، مع الشعر الحر، بإزاء دعوة إلى دراسة الإمكانيات التي تقدمها أبحر الشعر العربي الستة عشر للشاعر المعاصر الذي يهيم التعبير عن حياته في حرية وانطلاق». ويقول صلاح عبد الصبور: «شغلت في السنوات الأخيرة بفكرة التشكيل في القصيدة، حتى لقد بت أؤمن أن القصيدة التي تفتقد التشكيل تفتقد الكثير من مبررات وجودها» وكذلك أدونيس الذي يقول: «لا نقصد أن نرفض الشكل، كشكل، بل كمأذج مسبقة وأصول تقنية قبلية، نقصد أن يتحرر الشكل من كل قالب مفروض، وألا يخضع لغير الفن»¹. لقد شغل موضوع الفضاء اهتمام النقاد العرب معتبرين أن فضاء القصيدة هو مسكن لذات الشاعر المبدعة التي تتوسل في هذا الحيز رؤيتها للعالم وتاريخها الخاص بها.

لقد أسهمت الحداثة الشعرية في خلخلة شكل القصيدة المتوارث وافتتاحها على قوالب جديدة تسعى نحو التجديد والافتتاح، إذ استثمر الشاعر المعاصر مجموعة من الأدوات غير اللغوية التي أضحت تؤثر بشكل فاعل في تشكيل القصيدة التشكيلية من قبيل استثمار البياضات وعلامات الترقيم وتمازج اللونين الأبيض والأسود في مساحة القصيدة، وهذه الدلالات غير اللغوية، كان لها أكبر التأثير لالتفات الشعراء والنقاد إلى فراغ الصفحة والنظر إليه كجزء من القصيدة، وهو ما أسماه (غريماس) بالشكل الخطي (الجرافيكي)، وهو يتعلق بالهيئة

¹ محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، ج 3: الشعر المعاصر، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، ط 3، 2001، صص 68 - 69.

الطباعية للقصيدة. وقد "سعى النقاد للكشف عن هذا المكان ومعرفة فضاءاته. نازك الملائكة تتحدث عن (الهيكل المسطح) و(الهيكل الذهني)، وعز الدين إسماعيل عن (القصيدة القصيرة) و(القصيدة الطويلة) ضمن (معمارية الشعر المعاصر) وكمال خير بك عن (القصيدة الأولية) و(القصيدة نصف المبنية) و(القصيدة الفوضوية المبنية) و(القصيدة المبنية). وهذه نماذج لإعادة البناء تتموضع جميعها في حقل تحليل المسكن الجديد"¹.

3. القصيدة المجسمة في الشعر المغربي:

ظهرت القصيدة المجسمة في المغرب في العقد السابع من القرن الماضي مع مجموعة الشعراء الذين تبنوا التيار الحدائي وآمنوا بضرورة التجديد، ونخص بالذكر:

- بنسالم حميش في ديوانه: (كناش إيش تقول)، وديوان (ثورة الشتاء والصيف).
 - أحمد بلداوي في دواوينه الشعرية: (سبحانك يا بلدي)، و(حدثنا مسلوخ الفقر وردي)، و(هوب الشمعدان).
 - عبد الله راجع في ديوانه (سلاما وليشربوا البحار).
 - محمد بنيس في ديوانه الشعري: (في اتجاه صوتك العمودي)، وديوان (مواسم الشرق).
- وقد كان محمد بنيس من أوائل الدارسين الذين تنبهوا إلى أهمية البعد البصري والمكاني في العمل الشعري في كتابه: (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب)، إضافة إلى محمد الماكري الذي خصص كتاب (الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي) لدراسة القصيدة المجسمة في المغرب، إضافة إلى محمد مفتاح في كتابه: (التشابه والاختلاف - نحو منهجية شمولية). كما أسهمت بعض المجلات الثقافية في ذبوع هذه القصيدة وتلقبها كمجلتي (الثقافة الجديدة) و(البديل)، إضافة إلى عدد من الجرائد اليومية والأسبوعية التي كانت تخصص ملاحقتها الثقافية لأعمدة شعرية. وتتميز إنجازات هؤلاء الشعراء باستنادها إلى الخط المغربي في تحقيق البعد البصري بالإضافة إلى أساليب عديدة في توزيع الجمل والمقاطع الشعرية وتشكيلها وإخراجها في منظور مغاير عما هو مألوف.

ويعزى بروز هذه القصيدة في الخطاب الشعري المغربي لعدد من المبررات، أبرزها: التأثير بثقافة الآخر الأوربي، واستلهام التراث العربي الإسلامي والأندلسي خصوصا، واعتبار الكتابة فعلا تحريريا يسعى من خلاله المبدع المزاجية بين بلاغة العين وبلاغة الأذن، وذلك بالسعي نحو التجريب والتحديث بحثا عن أشكال أسلوبية

¹ نفسه، ص 69.

وفنية وتقنية جديدة تغني الشعر المغربي المعاصر؛ أضف إلى ذلك إعادة الاعتبار للخط المغربي وتحريره من سلطة الخط المشرقي من أجل الدفاع عن الخصوصية والهوية.

4. القصيدة المجسمة عند محمد بنيس:

تتسم القصيدة المجسمة عند محمد بنيس بمجموعة من المميزات الدلالية والمرجعية والمناسية والجغرافية التي تفردها وتبهرها عن باقي التجارب الشعرية المغربية المعاصرة الأخرى. وسنحاول تبين هذه المميزات على المستوى الجغرافي والدلالي والمرجعي والجمالي:

أ. الخط:

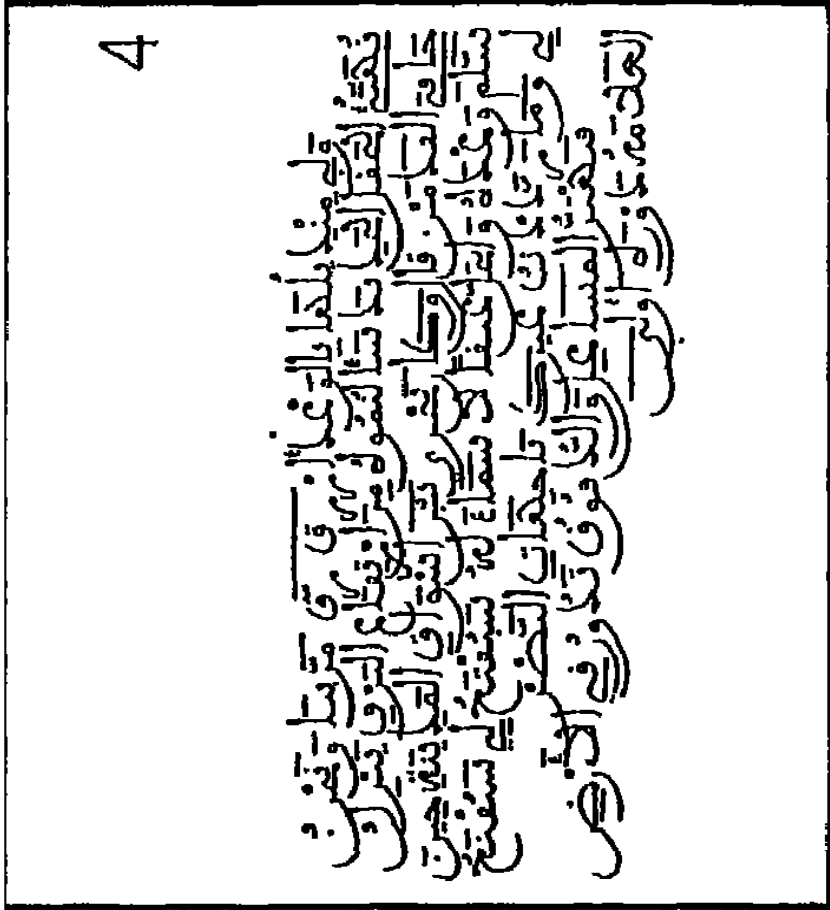
تمثل محمد بنيس الخط المغربي الأندلسي من أجل التحرر من شرقة الشرق والتميز عن شعرائه مكانيا وخطيا لما يحمل في طياته من أبعاد حضارية وتاريخية وقيم إيجابية تسعفه على التحرر والتفرد بالذات المبدعة. يقول محمد بنيس: "كثيرا ما كتبنا عشقنا للخط المغربي، هذا الأثر الأخير الذي يمنح هويتنا ابتهاجا، إنها عودة المكبوت حاولنا محق هذا العشق، تنويمه، بحجة تكريس وحدة الخط العربي، وحدة الذوق، وحدة الحساسية. كنا سذجا، لأن الكبت المتزايد لم يحمل معه غير التصدع المتصاعد لحاجتنا. كان المشرق بالنسبة لنا مصدر الحقيقة، الصواب والخطأ، ومع صدور (الاسم العربي الجريح) و(ديوان الخط العربي) لعبد الكبير الخطيبي انفجرت العين وتأهت اليد، كان الجسد يستيقظ على ذهوله، آثارنا التي نومناها باسم الوحدة تبغتنا وتأخذنا مواربة، ولم ندرك أن الوحدة الحقيقية هي التي تنبثق عن فروقنا المتعددة، حيث ينتفي استبداد المركز، واستبعاد مختلف الإمكانيات. وحدة المجموع لا وحدة المفرد هي التي نسير إليها، يكفي ما آلت إليه وحدة المفرد من انغلاق وانهايار وإرهاب"¹. يشير بنيس إلى أن الخط المطبوعي يلغي جسد النص ويمحو نشوة القراءة وتعدد الدلالة، في مقابل ذلك، فإن الخط المغربي يمثل احتفاءً بالخصوصية المحلية والقومية. وقد استثمر بنيس هذا الخط في تبدير النص اللغوي وأيقنة عتباته والتلوين الطباعي والتشبع بالسواد المختلف سمكا ورقة، والتميز مكانيا وموقعا، والاستفادة من تنوع الخطوط وأشكالها المختلفة، والاهتداء بالفراغ والامتلاء.

كما تميزت محاولات محمد بنيس بالاعتماد على وسيط هو الخطاط (عبد الوهاب البوري) في إنجاز الخطوط. يقول محمد الماكري في وصف هذه المحاولات: "ومن هذا المنظور يكون الشكل الخطي الذي يعرضه الفضاء النصي محيلا بالمشابهة على نموذج مماثل. وفي حالة الخط المغربي، نكون أمام انزياح عما ألفه المتلقي الذي تعود قراءة النصوص المطبوعة، من جهة، والذي ترتبط علاقته بهذا الشكل الخطي بنماذج ثقافية ونصية

¹ محمد بنيس، بيان الكتابة، مجلة الثقافة الجديدة، المغرب، العدد 19، يناير 1981، ص 47.

محددة (النص القرآني، المخطوطات القديمة، الخطاطات السحرية والتعاويذ، الصكوك العدلية والفضائية ...) ¹. ويكون تكسير مسار السطر المكتوب وفق صيغ متعددة، وهو تغيير يخرق الخطية المألوفة في تقديم أسطر الفضاء النصي وقراءتها، وهذا التكسير مرتبط بالسياق النصي، ولا يمكن أن يفهم إلا من خلال هذا المنظور. ومن بين هذه الصيغ:

- الاتجاه العمودي من الأعلى إلى الأسفل.

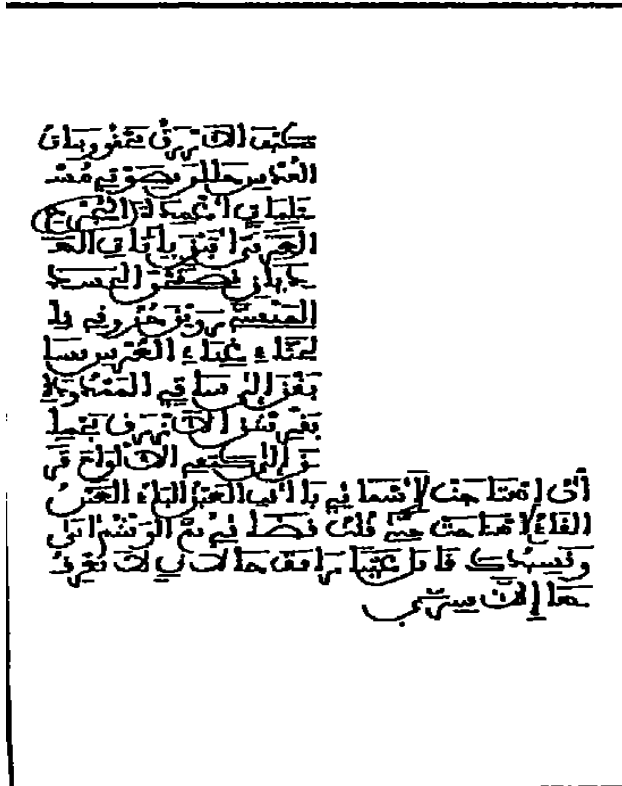


¹ محمد الماكزي، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1991، ص 234.

ففي هذا المثال، نجد حركة تموجية للأسطر الشعرية تتجه من اليمين إلى اليسار في خمسة أدوار، وهذه الحركة تبرز بدورها تموجاً نحو الأعلى والأسفل في شكل تناوبي، وموضوع العلامة الجزئية الأولى هي حركة الماء المتموجة، بينما موضوع العلامة الجزئية الثانية هو شكل الكتاب المفتوح. و"بين العلامتين الجزئيتين تتأسس علاقة داخل الفضاء الصوري. هذه العلاقة تعتبر بدورها علامة أيقونية على موضوع الانفتاح الذي يبرز في التقابل الفضائي للعلامتين إلى جانب العلاقة الفضائية (الانفتاح / التقابل) علاقة تماثل بين العلامتين في تموجهما المشترك، وهي علاقة يتبادل الشكلان بموجها موضوع تمثيلها، ذلك أننا يمكن أن نرى صورة الماء في العلامتين، كما نرى صورة الكتاب في هئتين (انفتاح إلى أعلى / وانكفاء إلى أسفل)".¹

- أسطر وفق المحور الانفصالي.

مثاله في ديوان (في اتجاه صوتك العمودي):

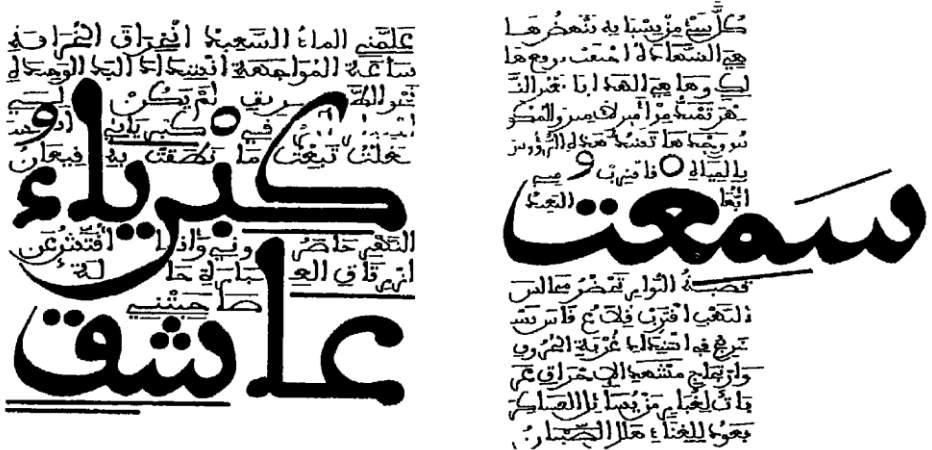


¹ محمد المازكي، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، ص 296.

• النبر البصري:

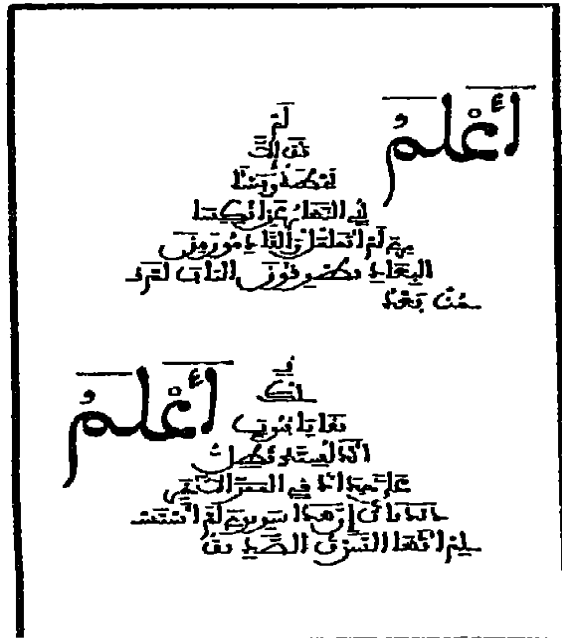
يقصد أحمد الماكري بالنبر البصري شُك الخطوط والأسطر التي تشغل حيزاً فضاءياً في معمارية القصيدة، يقول معرفاً هذا النبر "تقدم النصوص تنوعاً - من خلال بعض نماذجها - في أحجام الأشكال الخطية وسمك الأسطر الشعرية، وهذا المظهر، يمكن اعتباره منها أسلوبياً أو نبراً خطياً بصرياً يتم عبره التأكد على مقطع أو سطر أو وحدة معجمية أو خطية. ومن هذا المنظور فإن دوره الإيجائي يقارب الدور الذي يلعبه النبر في الإنجاز الصوتي للنص"¹.

وقد يكون هذا النبر البصري في بداية المقطع الشعري كما قد يكون في وسطه ونهايته، كما قد يكون هذا النبر عبارة عن مقطع أو جملة أو كلمة أو وحدة معجمية، مثال ذلك في قصائد محمد بنيس:



كما قد يعتمد بنيس إلى النبر البصري مع تغيير الموقع مما يسمح للتلاعب في توزيع البياض والسواد في فضاء القصيدة، وقد يعكس هذا التوزيع والتنوع نفسية الشاعر الموزعة بين البياض والسواد، وكذلك باعتبار هذه الوحدات الخطية لها أهمية كبرى في الإيجاء والتعيين والتضمين والتأشير على الأطروحة القضية للقصيدة الشعرية. مثال ذلك:

¹ نفسه، ص 236.



ب. الأيقونات المبنية:

الأيقونات المبنية هي عبارة عن أشكال هندسية معتمدة على المادة اللغوية في صورتها البصرية من أجل تشكيلها، ومن ذلك: المثلث، والمربع، والدائرة، والحلقة، والشكل الحلزوني... إلخ، و"الفضاء الصوري المتضمن لهذه الأشكال، تتحول فيه الأسطر المكونة من مجرد معطيات لغوية بصرية ممنوحة للقراءة إلى معطيات تشكيلية أوجدت لا لتقرأ ولكن لتشهد كعلامات بصرية"¹. ومن أمثلة ذلك في شعر محمد بنيس:

¹ محمد الماكزي، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، ص 243.

• شكل المثلث:

مقطع من قصيدة (هكذا تكلم الشروق):

هَذَا أَقْبَرُ مَعْلُومٍ فِيهِ (نَغْدَاءُ الصَّوْتِ)
تَرْبَعُ وَشَمْلًا وَرَسْلًا فِيهِ
مَكِينِكَ بِمَاءِ الْبَانِي
بِمَرَاكُشٍ حَيْثُ
النَّاسُ شَتَّعُوا
يَلْجَأُ لَهُمْ
لِخَالِ الْوَيْ
الشَّعْ
بِي

يخيل الشاعر في هذا المقطع على المعاناة التراجيدية للإنسان وصراعه الأبدي، وهذه رؤية جدلية تتقابل فيها الذات المنهكة مع الواقع الموضوعي الشرس، وتكشف ألفاظ هذا المقطع على ذلك: قبر، الذبح. إنها نهاية الإنسان المحتومة، نهاية يلفظ فيها بآخر كلماته وحروفه (الياء الساكن) الدال على النهاية والموت.

• الشكل الدائري:

وردت عند محمد بنيس مجموعة من القصائد الشعرية المجسمة في شكل دوائر وحلقات مغلقة تعبر عن مأساة الإنسان وانهاره وجوديا واجتماعيا وحضاريا، كما تعبر عن آلام الاعتقال والتعذيب والتصفية الجسدية والنفسية في ظل أنظمة القهر والجور والقمع والاستبداد.



فهذا الشكل الدائري الحلقي الوارد في قصيدة (هكذا كلمني الشرق) نموذج بصري يجسد التضمين الجرافيكى على مستوى تعالق الجمل وترابط التراكيب النظمية والدلالية والنصية تناسقا وانسجاما وكأننا بصدد خلخال متماسك. وقد يعبر هذا الشكل الدائري على أيقونة علامة المرور حيث تعين الأسطر حافاتها كما هو الحال في قصيدته الموسومة (وردة الوقت) من ديوانه (في اتجاه صوتك العمودي) :



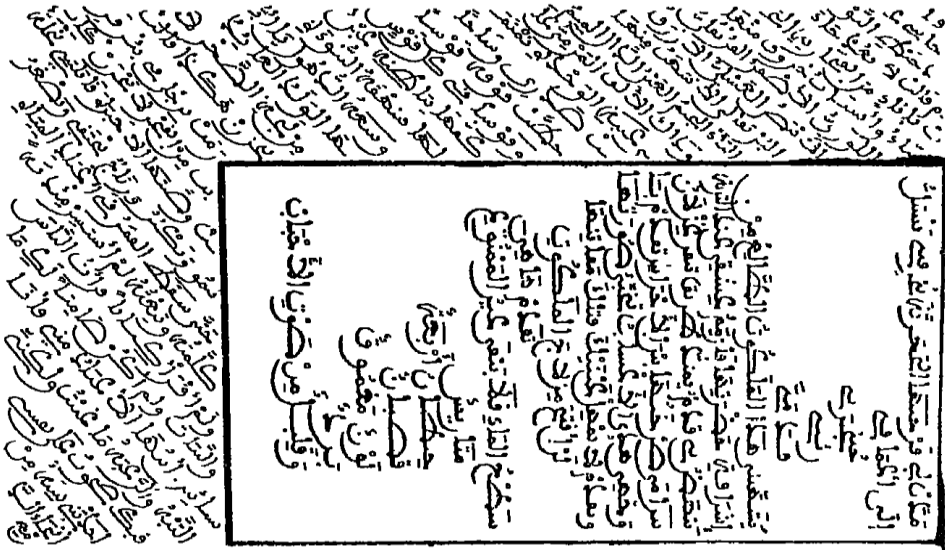
ففي هذه القصيدة تبرز أهمية التعبير التشكيلي من طرف الشاعر، حيث عدت القصيدة أداة تعبيرية وأيقونية، إذ نجد كلمة "الطرقات" وهي الكلمة المحور في القصيدة منطلقة من أعماق الذات الشاعرة، فرأى ضرورة وضعها في وسط القصيدة بشكل دائري دلالة على الوضعية المزية لفئات الشعب المقهورة وما تعانیه من جوع وخوف وغضب، وهي دعوة إلى الخروج إلى الطرقات وحمل مشعل الثورة والعصيان بهدف التحرر والانعتاق.

ج. فضاء الحواشي:

أبدع محمد بنيس نصوصا شعرية مكتوبة من الأسفل إلى الأعلى ومن الأعلى إلى الأسفل أو بطريقة أفقية أو مائلة، على أن أهم سمة في تشكيله الشعري تتمثل في استثمار الفضاء، ففي "إطار التشكيل الأيقوني يمكن أن ندمج ملمحا عاما، يتردد في أغلب النصوص، وإن بصيغ مختلفة هو ملمح المتن والحاشية، إذ إن نصوصا كثيرة للشعراء المعنيين تبرز هذا الشكل الذي يمكن أن يعتبر من منظورين:

1. من منظور الفضاء النصي، باعتباره يقدم علامات خطية للقراءة وفق سنن معينة.

2. من منظور الفضاء الصوري، لأنه يقدم عنصرا تشكليا يتحدد بطبيعته الأيقونية، لمشابهته شكلا بصريا آخر تعودت العين على رصده في المخطوطات وفي الطبقات الحجرية أو حتى المطبعية لبعض كتب التراث، هكذا عمل أغلب الشعراء على استنساخ هذا النموذج كتنظيم فضائي يحمل بدلالة تراثية¹. وقد اعتمد محمد بنيس هذه التقنية مع ملاحظة هامة تتمثل في كون الحواشي مملوءة عن آخرها، وقلب نظام ترتيبها من اليسار إلى اليمين، كما هو ماثل في النص التالي:



خاتمة:

شكلت القصيدة المجسمة ظاهرة شعرية متميزة في العالم العربي عامة والمغرب خصوصا، وعدت ميسما شعريا دالا في تاريخ القصيدة الشعرية المغربية بسبب خلخلتها لقواعد الفضاء المتناظر الموروث وتكسيدها لمعايير الأنماط الشعرية السائدة، كما أنها أسست بعدا جماليا في الشعر المغربي ألا وهو البعد المكاني والبصري، عبر توظيف الانزياح الفني والجمالي من خلال المزاوجة بين الكلام الإنشادي والكتابة المجسمة. وهي بذلك، أنجزت مشروعا شعريا جديدا قائما على التحرر والانعتاق، وبلورة شعر المواجهة والتأسيس من خلال فعل الكتابة والتشكيل لتغيير المشهد الشعري التفعيلي المغربي الذي ظل وفيا لتعاليم الشعرية المعاصرة المشرقية. وتقترب التجربة الشعرية عند محمد بنيس من التشكيل الفني الذي يلجأ فيه إلى الزخرفة والتوشيح والاحتفاء

¹ محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، صص 246 - 247.

بالفضاء النصي من خلال استثمار الخط المغربي بكل ما يحمله من محمولات ثقافية وجمالية وحضارية، وتوظيف العلامات الإيقونية، والتشكيلات الهندسية، والتلاعب بالسواد والبياض. ويظهر ذلك جليا في مجموعتيه الشعريتين: (في اتجاه صوتك العمودي) و(هكذا تكلم الشرق). وهذا ليس بالغريب عن هذا الشاعر الذي يعد فنا تشكيليا معترًا بانتمائه المغربي وأصوله الأندلسية الإفريقية والمتشعب بفنون مدينة فاس العريقة.

غير أن هذه التجربة التي دعت إلى القول بالخصوصية والارتباط بالهوية الثقافية والحضارية والجغرافية ظلت من حيث تلقيها محصورة في المغرب والأقطار المجاورة، وذلك راجع لعدة عوامل؛ أبرزها اعتماد الخط المغربي، وضعف افتتاح الدراسات الأكاديمية والجامعية على هذه التجربة تنظيرا ونقدا. هذا في الوقت الذي نجد أن من أهم سمات الحداثة الشعرية أنها إنسانية وشمولية تنزع إلى كسر الانعزال والمحلية الضيقة والحدود المصطنعة. أضف إلى ذلك أن استعانة الشعراء ببعض الخطاطين كما الحال مع محمد بنيس قد أثر سلبا لكون أشعاره قد كتبت عبر وسيط يخطط للفضاءات البصرية بطرق متنوعة وفق فهمه ورؤاه. مما جعل الناقد نجيب العوفي ينتقد هذا التدخل ويفرض هذا النمط التشكيلي في مؤلفه (جدل القراءة - ملاحظات في الإبداع المغربي المعاصر).

وعلى الرغم من كل هذه الانتقادات تبقى القصيدة المجسمة علامة فارقة في الشعر المغربي بصمت على مجموعة من الإنجازات التي تستثمر الفضاء بشكل فاعل وتحول القصيدة من بلاغة الملفوظ الذي تمثله الجمل والكلمات إلى بلاغة التشكيل الذي يمثله تزاوج الملفوظ والمرئي، فتكون القصيدة بذلك بناءً معاريا مركبا تتداخل فيه مجموعة من الأشكال والألوان والأيقونات.

لائحة المصادر والمراجع

- أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة - المنطق السيميائي وجبر العلامات، منشورات: اختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2005.
- سيزا قاسم - نصر حامد أبوزيد وآخرون، مدخل إلى السيميوطيقا- أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2014.
- عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، ج 3: الشعر المعاصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 3، 2001.
- محمد بنيس، بيان الكتابة، مجلة الثقافة الجديدة، المغرب، العدد 19، يناير 1981.
- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف - نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1996.
- محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1991.

آليات ومناهج تطوير الفعل الديداكتيكي في التعليم الديني

التعليم عن بعد نموذجاً

عزالدين الراجي

مختبر البحث: التراث الفكري والعقدي في الغرب الإسلامي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - عين الشق

جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء

المغرب

الملخص

تعتبر مادة التربية الإسلامية مكوناً أساسياً من مكونات المنهج التعليمي المغربي في جميع مراحل التعليم العام؛ ولهذا فإن الحديث عن تطوير مناهج تدريس هذه المادة لا يخرج عن إطار الحديث من المنهج التعليمي بصفة عامة. لقد كان الرهان منذ الميثاق الوطني للتربية والتعليم على دمج تكنولوجيا الاتصال في المنظومة التربوية التعليمية، والانتقال بالممارسة البيداغوجية من ممارسة إلقائية تنجسد في أسلوب التلقين وتعتمد بشكل أساسي على المدرس والمدرسة مصدرين للمعرفة، ومع تطور الحياة العامة تغيرت المدرسة وتوالت محاولات إصلاحات التعليم بالمغرب، مع غياب رؤية واضحة للإصلاح المنشود، وغياب مؤسسة لهذا الإصلاح. ولعل مراعاة خصوصية مادة التربية الإسلامية التي تمتاز بكون موضوعاتها مستمدة من النصوص الشرعية الثابتة، وتحقيق التكامل بين الجوانب الإيمانية الاعتقادية والجوانب العملية والحرص على التوسط والاعتدال والتوازن في مراعاة مختلف الحقوق، مع الارتباط بالواقع المعيش فيها صحيحاً وفق رؤية موضوعية...

الكلمات المفتاحية:

التطور - الديداكتيك - التعليم الديني - التعليم عن بعد - الوسائل التعليمية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

الراجي، عزالدين. (2025، يوليو). آليات ومناهج تطوير الفعل الديداكتيكي في التعليم الديني عن بعد نموذجاً. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 7، المجلد 2، السنة 2، ص 100-112.

المقدمة

تعتبر مادة التربية الإسلامية مكوناً أساسياً من مكونات المنهج التعليمي المغربي في جميع مراحل التعليم العام؛ انطلاقاً من التعليم الأولي ومروراً بالتعليم الابتدائي ووصولاً إلى التعليم الثانوي بشقيه الإعدادي والتأهيلي، ولهذا فإن الحديث عن تطوير مناهج تدريس هذه المادة لا يخرج عن إطار الحديث من المنهج التعليمي بصفة عامة.

لهذا سنخصص هذه الورقة للحديث عن آليات ومناهج تطوير الفعل الديداكتيكي لهذه المادة، لكن في سياق خاص وأكب اجتياح جائحة كوفيد 19 العالم وتعطيل الدراسة الفصلية وتعويضها بالتعلم عن بعد، ضامناً لاستمرار الدراسة، واستكمالاً للموسم الدراسي.

فكيف وظفت تقنية التعلم عن بعد في التعليم المغربي عامة؟ وفي التربية الإسلامية خاصة؟ وهل استطاع هذا النوع من التعليم أن يرقى بالممارسة البيداغوجية؟ وما هي الخصائص العامة لمادة التربية الإسلامية؟ وما هي العوائق التقنية والتكنولوجية التي اعترضت نجاح هذه التجربة؟ وما هي الشروط الواجب توافرها لنجاح هذه التجربة مستقبلاً؟

أسئلة كثيرة ومتنوعة سنحاول باذن الله الإجابة عنها، وكلنا أمل أن يتم استثمار الجوانب الإيجابية في هذه التجربة، وتجاوز عثراتها مستقبلاً بإذن الله، لأن الرهان في مدرسة الغد قائم على تطوير آليات الاشتغال والرقى بالممارسة البيداغوجية إلى مستويات تلائم أطفال اليوم، وتعددهم إعداداً علمياً وفكرياً وعملياً وأخلاقياً أيضاً لتحمل المسؤولية مستقبلاً، وتمهيرهم على حسن التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة، وحسن توظيفها في تحقيق المصالح والمنافع العامة.

1. التعليم وتكنولوجيا الاتصال الحديثة:

لقد كان الرهان منذ الميثاق الوطني للتربية والتعليم على دمج تكنولوجيا الاتصال في المنظومة التربوية التعليمية، وما فتئت الأصوات تتعالى يوماً بعد يوم مطالبة بتطوير الفعل الديداكتيكي واعتمدت وزارة التربية الوطنية ابتداءً من سنة 2002 المقاربة بالكفايات كقاربة بيداغوجية رسمية في مختلف الأسلاك التعليمية بالمدارس المغربية، فاتحة المجال أمام تنوع الكفايات ومستجبة لتعدد الذكاءات ومنصهرة في البيداغوجية الفارقة، كل ذلك لتجعل من المتعلم والمتعلمة جوهر العملية التعليمية. وهو ما حاولت الوزارة جاهدة بكل وسائلها تحقيقه منذ أمد بعيد، لتنتقل بالممارسة البيداغوجية من ممارسة القائية تتجسد في أسلوب التلقين وتعتمد بشكل أساسي على المدرس والمدرسة مصدرين للمعرفة، ويكون فيها شديداً بخطيب الجمعة الذي يقف

على منبره، بكل ما يحمله من المحمولة الشرعية، ويتحول فيه المتعلمون والمتعلات إلى مجرد أدوات للتلقي، ويكون الهدف الأساس من تلك العملية هو ملء عقولهم بالمعارف الجاهزة.

ولهذا كانت وسائل التقويم لا تراوح أن تكون وسائل الاستظهار؛ سواء النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، أو نصوص علمية ممثلة في العديد من المتون النثرية والشعرية التي تستجمع الجزئيات والفرعيات المتعلقة بكل علم على حده، كعلم اللغة نحوا وصرفا وبلاغة وعلوم العقيدة والفقه وعلوم القرآن والحديث والسيرة النبوية وغيرها

ولا يمكن الإنكار على هذه المنهجية في التعليم لسبب بسيط جدا ممثل في مسيرتها يومئذ للوضع القائم حينئذ، واستجابتها لمتطلبات ذلك العصر، حيث تخرج علماء موسوعيون، تفاوتت مداركهم في الإلمام بمختلف العلوم، ولا زالت نتاجاتهم العلمية شاهدة على نبوغهم وسعيم في صلاح الأمة قدر الإمكان، وكأنهم قنوات علمية أمينة، حملت بجدارة واستحقاق التراث العلمي والفكري وحافظت عليه من الزوال والاندثار؛ فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه¹، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. مدرسة الغد:

لكن اليوم يختلف عن الأمس؛ وكلما تطورت الحياة العامة وتغيرت المجتمعات إلا وكان لزما على المدرسة أن تواكب ذلك التطور، وإن تسهم مع باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية (من الأسرة والمجتمع المدني والاعلام، في المجتمعات عامة، مع إضافة المسجد باعتباره مؤسسة أصيلة في المجتمع المسلم) أن تساهم جميع هذه المؤسسات في إعداد أطفال اليوم لتحمل مسؤولية الغد.

فالمدرسة والمجتمع مرتبطان ارتباطا وثيقا؛ كل تأثير على أحدهما يؤدي حتما إلى تغيير في الطرف الآخر، وباعتبار المدرسة جزءا من المجتمع فإن التحولات الفكرية تنبني داخل المدرسة، لتأسيس أنماط من الحياة العامة داخل المجتمع. لذلك ما فتئت جميع الدول تحاول جاهدة يوما بعد يوم إصلاح أنظمتها التعليمية، ويكفي أن نستقري تاريخ إصلاحات التعليم بالمغرب فقط خلال القرن الماضي، لكي نقف على الحجم الكبير والمكانة العظمى التي تتبوؤها المدرسة في الحياة العامة، لكن تلك الإصلاحات على كثرتها وتواليها دلت بالملحوس على أمرين اثنين، هما:

¹ صم هذا الحديث من رواية ابن مسعود، رواه سالك بن حزم عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه به؛ أخرجه أحمد (4157)، والترمذي (2657)، وابن ماجه (232)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (1/ 40)

أولاً: غياب رؤية واضحة للإصلاح المنشود، ويرجع السبب في ذلك الى الصراعات الفكرية والايديولوجية والسياسية التي مر منها المغرب آنذاك، حيث حاول كل طرف انتاج مجتمع ينسجم مع مرجعيته ويؤسس لنخبة فكرية يحلم بها.

ثانياً: غياب مأسسة لهذا الإصلاح، حيث ارتبط إما بظروف آنية تمر بها الدولة؛ فكلما استجدت أحداث إلا استلزمت وبالضرورة الدعوة الى إصلاح جديد، او ارتبطت بأشخاص؛ فكلما تغير الشخص وحل مكانه شخص آخر إلا غير النظام التعليمي وفق رؤيته وقناعاته الذاتية، وقام يلعن وينتقد بشدة ما فعل سالفه، حتى غدت المدرسة كضحية لأحدهم يفعل بها ما يشاء ويغير ملامحها كما يحلو له، فإن رحل وانتقلت ملكيتها لآخر إلا وبالضرورة غيرها من جديد.

وهذا ما يجعلنا نتساءل عن الجدوى من الإصلاح الذي افتقر لعنصرين أساسيين:

اولهما وضوح الرؤية الإصلاحية العامة والشمولية والموضوعية.

ثانيها توحيد جهود جميع شرائح المجتمع حول مدرسة واحدة ومنهج واحد يضمن النفع للأمة كلها.

فهل مجرد ادماج تكنولوجيا الاتصال ورقمنة التعليم هو في حد ذاته تطوير لذلك التعليم؟ أم أنه مجرد تبرج يخفي الوجه الحقيقي؟ وهل استطاع التعليم عن بعد أن يحقق هذه الطفرة المنشودة؟ وهل استطاع اطر التعليم والتفتيش النجاح في تدبير هذه المرحلة التي فاجت الجميع؟ وقاست فينا جميعا القدرة على تدبير المرحلة بحكمة، ورفع مشعل التغيير والتطوير، وفق رؤية موضوعية تلائم خصوصية مادة التربية الاسلامية؟

3. خصائص مادة التربية الإسلامية وقابليتها للتجديد والتطوير:

إذا انطلقنا من التساؤل الأخير، فيمكننا القول بأن مادة التربية الإسلامية تمتاز بمجموعة من الخصائص الموضوعية والبنوية، من أهمها:

1- موضوعات مادة التربية الإسلامية المستمدة من النصوص الشرعية ومرتبطة بالعقائد الإسلامية والعبادات والمعاملات، وهذا ما يجعلها ربانية المصدر في معارفها ومعلوماتها، وهو ما يحدد طبيعتها الثابتة واللامتغيرة للأصول والنصوص والمبادئ الربانية التي تبقى ثابتة مع تغير الزمان والمكان.

2- تتجدد طرق التلقين ونقل المعارف باعتبارها آليات مبتكرة، يجتهد فيها الباحثون ويستفيدون فيها من خبرات غيرهم عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها¹ صدق

¹ رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .ولفظه: الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كانت النصوص الشرعية ثابتة لا تتغير فإن طرق النقل الديدانكيكي تطور باستمرار؛ إما لتواكب المستجدات أو تلائم الفئة المستهدفة أو تسير العصر أو تستفيد من التطور الحاصل في مجال الاتصال أو لتراعي ظروفًا خاصة وتحقق أهدافًا منشودة...

3- التكامل بين الجوانب الإيمانية الاعتقادية والجوانب العملية سواء على مستوى العبادة أو المعاملة أو الأخلاق، والمادة كيان واحد لا يمكن تجزيته وتفكيته، بل يحتاج إلى بناء مشترك، وهذا ما يظهر جليًا في المنهاج المعدل سنة 2016 والذي حرص على جعل الوحدة بناء واحدًا ينطلق من السورة المقررة، وينتقل عبر المداخل الخمسة: التزيكية الاقتداء استجابة القسط الحكمة.

4- التوسط والاعتدال والتوازن في مراعاة مختلف الحقوق: حق الله أولاً، ثم حق النفس ثانياً، وبعده حق الغير؛ سواء كانوا أقارباً أو جيراناً أو مسلمين أو غير مسلمين، والحق الأخير هو حق البيئة، وتعمل مادة التربية الإسلامية جاهدة على ترسيخ الفكر المعتدل القائم على القسط وإعطاء كل ذي حق حقه، بعيداً عن الظلم والاعتداء، وترسيخاً لقيم التعايش والتسامح.

5- الارتباط بالواقع المعيش فيها صحيحاً وفق رؤية موضوعية، لا تنسجم لا بالتشائم ولا تغرق في التفاؤل والطوباوية، بل تفعل الرأي السديد لفهم وتحليل الوقائع المعيشية وفهم أسبابها ونتائجها، ثم عرضها على نصوص الشرع الثابتة لاستنباط أحكامها وإيجاد الحلول المناسبة وفق ما ورد في نصوص الوحيين (الكتاب والسنة) والسير على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأربعة، باعتبارهم نموذجاً للاقتداء، يحاول المتعلم والمتعلمة السير على نهجهم الصحيح في تحقيق مراد الله من الاستخلاف وعمارة الأرض بما فيه صلاح البلاد والعباد، لأن الدين في أصله إنما جاء ليحقق السعادة في الدنيا والآخرة، ويحرر العباد من جميع أنواع الاستعباد لغير الله، بل يحرر الإنسان من العبودية لنفسه وشهوته أو عبوديته لغيره من المخلوقات التي لا تنفعه ولا تضره، ويجعله صالحاً.

وهذه الخصائص العامة لمادة التربية الإسلامية لا تخرج في إطارها العام عن وظائف المدرسة العمومية أو الخاصة، فهي إما تمارس وظائف محافظة؛ بالحفاظ على التراث الثقافي والديني والاجتماعي وتحقيق تماسك بين كل الفئات المجتمعية والحفاظ على السيورة التاريخية... أو تمارس وظائف تجديدية؛ متمثلة في تمهيد المتعلم والمتعلمة على مختلف العمليات الحياتية والقدرة على التكيف الاجتماعي وتقويم الأنماط السلوكية السلبية وغرس القيم الكونية وتشجيع الابتكار والإبداع...

من هذا المنطلق سعى الإصلاح الشامل للمادة؛ عبر نقلها من مادة فرعية تابعة للغة العربية إلى مادة قائمة بذاتها لها منهجها الخاص ومقررها وحصتها وأطرها في التدريس والتفتيش، وانتقلت المادة في طرق تدريسها

من مناقشة مواضيع عامة في الفكر الإسلامي إلى مادة ذات طابع تخصصي، تعتمد في منهجها على دراسة مكونات العلوم الشرعية، عبر وحدات ودعامات وأنشطة تطبيقية، أو عبر مداخل تنسجم فيما بينها لتشكيل نسقا معرفيا يمكن المتعلم والمتعلمة من الترتي سنة بعد أخرى افقيا وعموديا في العديد من المعارف الشرعية والمهارات الحياتية والقيم الكونية، وتساهم في تصحيح التمثلات الخاطئة، وتقوم السلوكات المنحرفة، وتربية الفرد تربية صالحة.

4. التدريس بالكفايات والوضعية المشكلة:

أمام كل هذه الخصائص، سعت مادة التربية الإسلامية على غرار غيرها من المواد إلى الانخراط تدريجيا في تطوير مناهج تدريسها، والرتي بعملية النقل الديقانيكي لتراعي ثلاث منطلقات:

1- **خصوصية المتعلم** حسب فئته العمرية وقدراته الذهنية وملكاته الفكرية، ومراعاة انشغالاته وظروفه الحياتية، ومحاولة تقديم إجابات مقنعة عن معظم القضايا التي تشغله.

2- **مواكبة التطور الحاصل في مناهج التعليم**، ومنها إدماج تكنولوجيا الاتصال الحديثة التي لا يمكن بحال استغناء عنها في مدرسه اليوم.

3- **مراعاة خصوصية المادة.**

هذه الأثافي الثلاث، حملت المادة في سياقات التدريس بالكفايات واعتماد الوضعية المشكلة؛ حيث كان انخراط مادة التربية الإسلامية في الإصلاح البيداغوجي واعتماد بيداغوجيا التدريس بالكفايات رهينا بما عرفته هذه البيداغوجيا من نجاح في المجال الاقتصادي المقاولاتي ونقلها الى المجال المعرفي تعليمي وتحقيق تنمية ذاتية وجماعية لدى المتعلمين بخلفيات متعددة، كان في مقدمتها الطريقة البنائية التي عرفت انتشارا واسعا عبر العالم وإقبالا منقطع النظير نتيجة بعدها المنفعي العاجل ووقابلية هذه المنظومة للتقييم المادي الصرف، فان تطبيقها الحرفي/و إسقاطها على الدرس الإسلامي بما يحمل من خصوصيات هو عملية صعبة ومعقدة ليست مستحيلة ولكنها تحتاج الى مهاره كبيره و اجتهاد قد يصيب وقد يخطئ، والمجتهد ماجور في الحالتين معا، قال صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر¹.

بمعنى أجر الاجتهاد فهو مأجور على بذل وسعه لتحقيق المنفعة العامة وان لم يحالفه الصواب فحسبنا منه نبل مقصده وبذل حمده، ولعل ذلك الجهد المحمود والمأجور صاحبه يسعى في مادة التربية الإسلامية مع مقارنة التدريس بالكفايات للإجابة عن عدة اسئلة من قبيل كيف يتسنى قياس القيم والتمثلات التي تشكل

1 أخرجه أبو داود (3574)، وابن ماجه (2314)، وأحمد (17809) باختلاف يسير.

أساسا التربية الإسلامية؟ وكيف نرقى بالفكر إلى مستويات تبتغي الفلاح الأخرى مع الفلاح الديني؟ والتدريب المستمر على اكتساب القدرات والمهارات وحسن توظيفها مع تقليص المراهنة على الكم المعرفي في مادة يعتبر النقل المعرفي فيها أساسا لا يمكن الاستغناء عنه؟

ولا بد في هذا الإطار من التساؤل أيضا عن مدخل الوضعية المشكلة، باعتباره عنصرا محما ضمن هذه البيداغوجية، لأنه وبعد سنوات من الممارسات والتجارب والعديد من اللقاءات الفكرية والدروس التطبيقية، لازالت الرؤية لم تتضح بعد في إيجاد أحسن توليفة للمزج بين الوضعية المشكلة وخصوصية مادة التربية الإسلامية؛

○ هل يتم الانطلاق من الوضعية المشكلة في جميع المداخل بما فيها مدخل التزكية ودرس القرآن الكريم؟

○ وهل يتم اعتماد وضعية مشكلة داجمة للوحدة كلها أم ينبغي إحضار وضعية مشكلة لكل درس على حدة؟

○ كيف يمكن للوضعية المشكلة أن تؤدي الفعل الديداكتيكي والنقل المعرفي وتمكن المتعلم والمتعلمة من الانطلاق من وضعية بنائية اقرب للواقع وتحليل جزئياتها ومكوناتها (من سياق وشخصيات وأحداث وآراء...) والاشتغال على حلها وفق ما يتم تدريسه في كل درس على حده أو ما يتم استنتاجه بعد تجميع الوحدات بأسرها؟

5. من التلقين إلى التفاعل والبناء:

أستلة متشعبة وكثيرة ولكن محورها الأساس هو الخروج مادة التربية الإسلامية من مادة تعتمد على التلقين بالأساس (تلقين المعارف الجاهزة إلى مادة مهارية تجعل من التلميذ و التلميذة محور وجوهر الفعل التربوي، وتحول المدرس والمدرسة من ناقل للمعلومات إلى منشط ومرشد يأخذ بيد التلاميذ ليساعدهم على التفكير النقدي والتحليل وابداء الآراء والتدريب على العمل الجماعي والبحث عن حلول ناجحة للمشكلات التي تعترضهم، وإن كانت هي مشكلات افتراضية لكنها تلامس الواقع المعيش وتشبهه لحد بعيد المشكلات التي تعترض حياتهم آتيا أو آجلا...

بمعنى آخر هل يتحقق تواصل الفعال والتفاعل الإيجابي داخل الدرس سواء الصفي أو عن بعد؟

أم هو مجرد مجهود يبذله المدرس والمدرسة دون ما تلقي أي رد فعل من طرف المتعلمين؟

هذا هو السؤال المحوري؛ والذي يتبع كثيرا من الدروس التطبيقية والدروس التي تبث عبر التلفزة المدرسية يسائل نفسه عن المعيار الذي تم اعتماده في تسجيل هذه الدروس؛ وكيف سمحت الوزارة الوصية أن تداع مثل تلك المقاطع؟ وكان ارحم بها وبمن سجلها تعويضها بخطب للجمعة جاهزة وما أكثرها؟؟؟

كيف للجهات الرسمية أن تسارع وتستعجل (والعجلة من الشيطان طبعاً) في بث مجموعة من الدروس الرقمية التي أبانت بحق ضعف وهزالة المستوى البيداغوجي والممارسة التعليمية وكأنه كان هم الجهات الوصية إتمام المقرر والمنهاج بأي طريقة، وكان يليق بها التروي وتقديم مقاطع تربوية تعليمية تعليمية تزاوج بين النقل المعرفي أي التلقين وبين تمهير المتعلمين والمتعلمات.

والسؤال المحير والمخرج في الوقت ذاته: إن لم نستغل هذه الظرفية التي شحذت فيها الهمم وخلصت فيها النيات وأبان الكثير من الفاعلين التربويين على تجندهم لخدمة التعليم وتويره رغم كل الظروف، واستجدت خلالها العديد من الأساليب والطرق، واعتمدت الكثير من الوسائل التعليمية... مما يؤكد بالملاموس أهمية الظرفية، وقابليتها للتطوير، عبر عمليتي التقييم ثم التقويم.

فإن لم نستغل الظرفية لتطوير مناهجنا وتعديل طرق تعليمنا؟ فمتى بالله عليكم يتحقق ذلك؟

أين تكلم الأصوات التي لم تكف يوماً عن المطالبة باصلاح التعليم عامة والديني على وجه الخصوص؟ ألم يكن الوقت لتكثيف اللقاءات عن بعد وتدارس ما أنتج خلال هذه الفترة؟ وتحيد مكامن القوة لاستثمارها، ونقط الضعف والتعثرات لتجاوزها؟

6. لدين دعوات متجددة لتطوير المناهج والوسائل:

أليس لنا في تراثنا ما يغني هذه التجربة ويشجع على بلورتها لخطوة قائمة الذات؟ فالمتعن في الرسائل السبائية من آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجد مع وحدة العقيدة والأخلاق والقيم، اختلافا في الشرائع حتى تلائم زمانها ومكانها، مع اختلاف في طرق تبليغ الرسالة انسجاما مع ظروف التبليغ نفسه والمبلغ، وانسجاما ايضا مع الحاجات الآنية والمستقبلية، ولأن مستوى العلم تابع لرسالة كل رسول؛ فليس عند كل رسول من العلم إلا بقدر ما تحتاج إليه أمته فقط.¹

بل إنك تجد الرسول ذاته يغير سبل الحجاج والمناظرة لإقناع المنكرين من قومه، ويطرق معهم في سلم الحجاج حتى يدرك الغاية التي يصبو إليها، ويجد منهم الأذان الصاغية والعقول الواعية، ولنا فيهم عليهم الصلاة والسلام خير مثال وقدوة؛ فرسلنا صلى الله عليه وسلم مع كل ما يبذله في تبليغ قومه تجده على الدوام لا

¹ الإمام الألوكة في تفسيره روح المعاني عن الخواص الجزء الخامس عشر الصفحة 332

يفتر عن الاستغفار وعن لوم نفسه، وكأنه يبحث دائماً صلى الله عليه وسلم عن أفضل السبل في تبليغ دعوته، وكاد يقتل نفسه هما وحزنا على عدم استجابة بعض قومه لدعوته، فجاء الخطاب الرباني

ليخفف عن النبي صلى الله عليه وسلم من وقع تأنيب الضمير، حيث خاطبه ربه تعالى قائلاً ((مَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ¹ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ²))¹ ويصف القرآن الكريم تلك الحالة النفسية التي يعيشها رسولنا صلى الله عليه وسلم أمام عجزه عن هداية بعض قومه، فيقول الله تعالى في محكم الكتاب ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا))² أي لعلك يا محمد مهلك نفسك حزناً واسفاً إن لم يؤمنوا بهذه الدعوة بيننا ما عليك إلا أن تبلغهم؛ فإن شاء ربك هداهم، وإن شاء الله أضلهم ((وَأَمَّا تُمُوذُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ³)).³

فأين نحن من هذا السعي الحثيث نحو الترقى بمادة التربية الإسلامية خاصة، ومناهج التدريس عامة، حتى يصبح التعليم بهذا الوطن العزيز تعليماً جيداً يحقق للأمة الرقي والتطور المنشود، والذي ما فتئ أمير المؤمنين حفظه الله يدعو إليه في كل خطاب من خطابه المولوية.

○ فهل حقاً نسائل أنفسنا كفاعلين في الحقل التربوي عن أسباب فشل منظومة التربية؟

○ هل حقاً نقوم بعملية النقد الذاتي ليطور كل واحد كان ونسعى جميع نحو بيداغوجيا ناجحة؟

7. التعليم عن بعد زمن كورونا:

حقاً كانت تجربة التعلم عن بعد حلاً مؤقتاً اقترحتها الوزارة الوصية لتعويض التعلم الصفي الذي عطل اضطراباً نتيجة الخطر الصحي، ولا يخفى على أحد أن الأمل كان معقوداً على تجاوز هذه المرحلة بعد مدة وجيزة، حيث تم النظر إلى التعلم عن بعد كتندير مرحلي، وليس استراتيجية أساس أو دعامة مشتركة مع التعليم الصفي أو داعمة له، ولكن وللأسف تم تمديد الحجر مدة بعد أخرى؛ وبدل التوقف عن شهر واحد، توقفت الدراسة الفعلية ثلاثة أشهر كاملة، عرف خلالها التعلم عن بعد مجموعه من التحولات: - كان في مقدمتها سعي الوزارة الوصية اعتماد وسيلة وحيدة، هي ((التلفزة المدرسية)) عبر قناة الرابعة أولاً، وانصب الاهتمام أولاً على الاقسام الإشهادية ((السنة السادسة ابتدائي + السنة الثالثة إعدادي + السنتين الأولى والثانية بكالوريا)) وتجنبت أطر الأكاديميات خلال وقت وجيز لتسجيل دروس مصورة، فعملوا بجد مشكورين، ونشرت كبديل عن الدروس الصفية، ولكن أغلبها للأسف افتقد إلى كثير من الشروط

¹ سورة المائدة الآية 99.

² سورة الكهف الآية 6.

³ سورة فصلت الآية 17.

البيداغوجية، في مقدمتها غياب التفاعل، وطغيان الجانب النظري، وطغيان المقاربة المعرفية على حساب التمهير والتفكير. كما افترقت لتنوع على مستوى القدرات العقلية والكفايات الوجدانية والحس حركيه والأعمال التطبيقية...

- وخلال مرحلة ثانية اعتمادات الوزارة منصة **microsoft teams** في محاولة لتحقيق نوع من التفاعل مع المتعلمين والمتعلات، وعمد المديرون وأطر التدريس تحت اشراف بعض أطر التفتيش إلى إنشاء وتفعيل الأقسام الافتراضية، ولكن واجهت هذه تجربة مشاكل جمة؛ كان في مقدمتها المشاكل التقنية:

○ عدم التوفر على الوسائل والأجهزة الإلكترونية؛

○ ضعف الشبكة أو عدم التوفر على خدماتها؛

○ الجهل بطرق استخدامها...

أليس من العيب والعار أن نجد في القرن 21 بعض هيئة التدريس لا يعرف طريقة التعامل مع هذه الوسائل؟

وكثير منهم (إن لم نقل جميعهم) لم يسبق له العمل بتقنية التعلم عن بعد، نتيجة عدم استفادة هذه الأطر من أي تكوين في هذه تقنية التعلم عن بعد، فكيف يتوقع القيام بهذه المهمة على أكمل وجه، وفارق الشيء لا يعطيه.

أما الحديث عن المتعلمين فلا أمر أدهى وأمر؛ لأن عقليتهم ارتبطت بهذه الأجهزة الإلكترونية كوسائل للترفيه فقط، وتغيير العادات عملية صعبة وتتطلب تكاثف الجهود مع طول النفس.

ناهيك أن كثيرا من المتعلمين والمتعلات لا يمتلكون هواتف ذكية ولا لوحات الكترونية ولا حواسيب.. لحالة الفقر التي حرمتهم من الاستفادة من هذا النوع من التعليم.

ومن يتوفر عليها لا يستطيع في الغالب الولوج إلى شبكة الانترنت مدفوعة الثمن، والتي حاولت الدولة في وقت لاحق أن تقدم خدماتها بالجان وتسمح بالولوج الى هذه المنصة، لكن ضعف الصبيب كان يحول في كثير من الاحيان يكون ذلك...

حينها وجدنا اقساما افتراضية شبه فارغة من المتعلمين؛ ولا أبالغ إن قلت إن بعض الاقسام كان المدرسون والمدرسات يشغلون فيها مع تلميذ أو تلميذين ...

وهنا تجد طرح العديد من الاسئلة لتحاسب عشرات المشاريع المطالبة بدماج تقنيات التواصل الحديثه في المجال التعليمي ، والتي أنفقت فيها الأموال الطائلة؟ فلما لم تنجح الوزارة الوصية في اعداد المتعلمين والمتعلمات لحسن التعامل مع هذه الظروف؟؟

ولا بد هنا من الإشادة بالخلصين من أطر التدريس؛ الذين لم يتنهم ضعف الامكانيات بل نذرتها في الغالب الأعم، عن بذل قصارى جهدهم خلال هذه المرحلة العvisية، معتمدين على امكانياتهم الشخصية ومنفقين من اموالهم الخاصه، وواصلوا الليل بالنهار امام الحواسيب لمتابعة بعض الدروس التكوينية؛ إما المسجلة على اليوتيوب، أو المباشرة عن بعد، وكذلك عبر التواصل بعضهم مع بعض وتبادل الخبرات والتجارب... فعمدوا إلى انشاء مجموعات عبر الفيسبوك والواتساب، او عبر تطبيقات؛ مثل تطبيق زوم. وميت. وكلاس روم. وغيرها....

وصارت العملية التعليمية حقلا خصبا من التجارب، في غياب شبه تام لأي توجيه أو تكوين رسمي من الجهات الوصية، وغياب شبه تام لتوجيهات أطر التفتيش، اللهم بعض المخلصين منهم، الذين لم يدخروا جهدا في مواكبة المدرسين والمدرسات و توجيههم نحوه الاستفادة من الخبرات والتجارب السابقة عن بعد، في حين اكتفى البعض منهم سأمهم الله بتتبع ما يجري و اعداد لوائح. لمن فعل تلك الاقسام او من لم يفعلها؟ ومطالبتهم بتقارير دورية عن اعمالهم. فتبين بشكل صريح الغث من السمين، وظهر للعيان. المخلصون ذوو النيات الحسنة، فعند الشدائد والمحن تظهر حقيقة الإنسان.

أما قاسمة الظهر فهي إعلان السيد الوزير عن عدم الرجوع الى الدراسة الفعلية بشكل نهائي، واعفاء جميع المستويات من المراقبة والامتحانات، مقابل الاكتفاء باجراء امتحان السنة النهائية بكالوريا، و تأجيل امتحان السنه الاولى والامتحانات الجامعات الى شهر ديسمبر ان شاء الله، كان لهذا الاعلان وقع سيء على عملية التعلم عن بعد، إذ بمجرد اذاعته أعلن المتعلمون للمتعلّمت عن نهاية السنة دراسية، وانسحبوا جماعيا من الانشطة التعليمية التعليمية، وجعل التجربة تجهض دونما الخروج بنتائج نهائية وتقويم حقيقي بعد نهاية التجربة.

8. خاتمة وتوصيات:

يقيننا في الله أن الأزمة ستمر- بإذن الله - ولكن لا يجب أن نبذ التعلم عن بعد وراء ظهورنا كما كنا من قبل، لأن هذا النوع من التعلم أثبت في الدول المتقدمة والتي تملك منظومات تعليمية رائدة، أنه حل وملاذ حل كثير من مشكلات التعلم والتعليم، بإعمال نظريات ناجعة للتعلم مثل البيداغوجية الفارقية، فضلا عن توظيفه بشكل جيد لنظرية الذكاءات المتعددة خلال عملية التعلم والتعليم في الفصول الدراسية الافتراضية.

إن الاهتمام بهذا النوع من التعليم والتكوين ومأسسته ضرورة ملحة، ومن العيب أن تجعله وسيلة احتياطية مثل العجلة الخامسة للسيارة، التي لا يلجأ إليها إلا في حال العطب... لكونه وسيلة ناجعة لمصاحبة المتعثرين بشكل فردي ودعمهم ومعالجة ثغراتهم الدراسية بشكل لا يشعر المتعثر بالنقص والتخلف عن أقرانه....

إن الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة في العديد من مرافق الحياة الخاصة والعامة يستلزم بالضرورة اعتمادها في التعليم، باعتباره المسار الطبيعي لإعداد نساء ورجال الغد، وكلنا يعي تمام الوعي الشغف الكبير الذي يتعامل به أبناؤنا مع هذه الوسائل.

فلا يسعنا إلا مطالبة الوزارة الوصية:

- بمأسسة التعليم عن بعد، وسن قوانين رسمية منظمة لهذا النوع، لتحديد آلياته ومساراته، ومخرجاته.
- العمل الذؤوب على الرقي بالإعلام والتلفزة المدرسية، حتى يستأنس بها المتعلمون على مدار السنة الدراسية، كآلية مهمة في الدعم والتقويم، وترسيخ التعليمات، وتغيير القنوات، وتغيير العادات السلبية نحو وسائل الاتصال والتلفزة باعتبارها وسائل للتعلم والتثقف، وليست مجرد وسائل للترفيه واللهو الفارغ، فهذا الإجراء سيدعم بشكل كبير الأسر المتوسطة والفقيرة والأسر في المناطق البعيدة.
- إنشاء مواقع تربوية بشكل احترافي؛ توفر الدروس والحصص وكذا الواجبات والتارين والاجابات لهذه التارين بمختلف المواد وللمختلف المستويات، يسهل التعامل معها والولوج إليها من طرف الجميع دون استثناء، ويتم استدماجها في الفصول الدراسية، وتمهيد المتعلمين على التعامل الدوري معها.
- دعم المجتمع المدني لهذا النوع من التعليم؛ عبر المساهمة المادية والمعنوية في تعميم هذا التعليم، وتوفير آلياته اللوجيستكية والحواشيب لولوج شبكات التواصل والإنترنت، وترسيخ ثقافة التعلم الذاتي.
- مواكبة الأسر لتعلم أبنائها ومشاركهم الفاعلة في الحياة المدرسية، وافتتاح المؤسسة على مختلف الشركاء، ومساعدة الأسر من الجيل القديم على تتابع أعمال أبنائهم؛ لإكسابهم الثقة وتحفيزهم على بذل مجهودات طيبة لتحقيق نتائج سارة للجميع.
- توفير معطيات رقمية احصائية دقيقة، تمكن من التتبع الدوري لعملية التعليم عن بعد، وضبط عدد التلاميذ الذين ينخرطون بالفعل في هذه الدروس عن بعد، وكم عدد المستفيدين منها، وعدد الذين يستفيدون إلى حد ما بشكل غير منتظم. قصد استخلاص الخلاصات من الباحثين والمهتمين، والقيام بعملية التقييم والتقويم المرحلي للبرقي دائما بجودة هذا النوع من التعليم.

- تكثيف التكوين عن بعد محل التكوين الحضوري، خاصة للفئات العمرية الكبرى، حتى تتأهل لمواكبة التعليم الإلكتروني والتلفزي في المنزل، بديلاً اضطرارياً في ظل الظروف الطارئة، كالكوارث أو المرض لا قدر الله.
- استخدام جميع الوسائل الممكنة التي توفرها البنية التحتية الحالية في إيصال الخدمة. فيمكن استخدام أدوات الإنترنت في إتاحة مخططات الدروس، ومقاطع الفيديو، والدروس التعليمية، والمدونات والتسجيلات الصوتية والموارد الأخرى التي تستهلك قدراً أقل من البيانات.
- العمل مع شركات الاتصالات على تطبيق سياسات تعفي المستخدمين من الرسوم، لتيسير تنزيل مواد التعلم على الهواتف الذكية، التي يحملها أكثر الطلاب في الغالب.
- يلزم التخطيط مستقبلاً لإعداد المتعلمين للتجاوب والتفاعل مع هذا النوع من التعلم عن بعد، وتوفير التكوين الملائم للأطر التربوية وكذا الإدارية، كرهان أساسي لا مجيد عنه ضمن منظومة التربية والتعليم.

توزيع الأفراد داخل المجال الحضري في المغرب؛ قراءة في نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى 2024 -على ضوء باراديغمت رواد مدرسة شيكاغو-

فاطمة الزهراء بكوش

طالبة باحثة في سلك الدكتوراه

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن طفيل - القنيطرة، المغرب

تحت إشراف: د. محمد السلي

الملخص

يهدف هذا المقال إلى تقديم قراءة سوسيولوجية في جزء من نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024، بغرض مساءلة الكيفية التي يتوزع الأفراد وفقها داخل المجال الحضري المغربي، وذلك على ضوء الباراديغمت التي صاغها رواد مدرسة شيكاغو، خصوصا فيما يتعلق بأطروحة التمايز الاجتماعي والفصل المجالي لدى كل من روبرت بارك وإرنست بيرجس ورودريك ماكزوي.

ستساهم هذه القراءة في فتح النقاش حول المنطق المتحكم في توزيع الأفراد داخل المدينة المغربية، وقد تفتح بابا لأسئلة جديدة من شأنها إثراء الأبحاث في قضايا السوسيولوجية الحضرية المغربية، خصوصا في ظل التحولات العمرانية والمجالية التي تشهدها العديد من المدن المغربية اليوم، وعلى رأسها مدينة الرباط. اعتمدنا في هذا البحث على منهج كمي مقارنة لنتائج الإحصاء في 10 مقاطعات، يقع نصفها في مدينتي سلا والرباط، والنصف الثاني في مدينة الدار البيضاء. وقد توصلنا إلى خلاصة أساسية مفادها أن توزيع الأفراد في المجال المغربي يخضع لمنطق انتقائي وتميزي، ينتج عنه فصل مجالي جلي بين الفئات الاجتماعية، مما يجعل المدينة تبدو كما لو أنها مدن عديدة.

الكلمات المفتاحية:

سلا - الرباط - الدار البيضاء - الفصل الاجتماعي - الاستقطاب والطرد.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بكوش، فاطمة الزهراء. السلي، محمد. (2025، يوليو). توزيع الأفراد داخل المجال الحضري في المغرب: قراءة في نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى 2024 -على ضوء باراديغمت رواد مدرسة شيكاغو-. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 7، المجلد 2، السنة 2، ص 113-131.

مقدمة

يقول بول هنري شومبار دولوف P.H.Chombart de Lauwe في كتابه "نهاية المدن أسطورة أم حقيقة": "إن المدينة وتنظيم الفضاء الحضري يعبران عن المجتمع. ولا يمكن أن يكون هناك تفكير في خلق بيئة ما، دون تحديد نوع المجتمع الذي نريده"¹؛ فالحديث عن تنظيم المجال وتقسيمه هو حديث عن تشكيل حياة الأفراد وظروف عيشهم، وصورة المجتمعات وتركيباتها، وهو حديث عن توزيع السلطة والثروة والفرص، أيضا. وكما يقول هنري لوفيفر Henri Lefebvre: "المجال هو سياسة"²، فلا وجود لمجال محايد أو فضاء محض، لأن هناك دائما منطقا يتحكم في تبيئته، وتنظيمه، وتوزيع الأفراد داخله. بالإضافة إلى أن إنتاجه يخضع لـ "سيرورة معقدة تتدخل فيها العديد من العوامل، الطبيعية والبشرية، والتنظيمية، والسياسية، والتاريخية والاقتصادية"³، بما يفرضه كل عامل منها من اعتبارات ومحددات، وما تحدثه علاقات التأثير والتأثر القائمة بينها بشكل دائم من تحولات وتغيرات. ونظرا لهذه الأهمية التي يحتلها موضوع "المجال - Espace"، فقد شكل سؤال تقسيمه وتوزيع الأفراد داخله واحدا من أهم الأسئلة التي شغلت الباحثين في تاريخ السوسيولوجيا بشكل عام، والسوسيولوجيا الحضرية بشكل خاص. وفي هذا الإطار، يأتي هذا المقال باعتباره قراءة في جزء من نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024، في علاقتها بتقسيم المجال الحضري المغربي. وذلك، وفق مقاربة سوسيولوجية مستندة على باراديغات رواد مدرسة شيكاغو.

1. مدرسة شيكاغو: النظرية الإيكولوجية وثنائية الاستقطاب والطرد

تعددت الأطاريج والنظريات التي حاولت تحليل المجال الحضري، وتفكيك الميكانيزمات المتحركة في تشكيله، وطرق تملكه. وتُصنف أدبيات مدرسة شيكاغو بمختلف روادها، من أهم الإنتاجات والأبحاث العلمية في هذا الصدد، خصوصا ما قدمه رواد النظرية الإيكولوجية روبرت بارك Robert Park وإرنست بيرجس Ernest Burgess، ورودريك ماكزيري Roderick McKenzie.

لقد وقف روبرت بارك عند مسألة تشكل المدن الأمريكية الحديثة وتوسعها، وحاول تحليل الآليات التي تضبط وتتحكم في توزيع الأفراد داخل مجاليتها. فطرح مجموعة من الأسئلة، من بينها:⁴

1- P.H.Chombart de Lauwe, Fin des villes mythe ou réalité, calmann-lévy, 1982, p64.

2 - H.Lefebvre, Espace et politique : le droit à la ville II, Paris, Anthropos, 2000, p38

3- عبد اللطيف أعميرو، دور الدولة في إنتاج المجال الحضري، حالة مدينة تاويرت (شمال المغرب)، مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل، المجلد الخامس، العدد 9، مارس 2023، ص 194 بالتصرف

4 - Park Robert E, The City: Suggestions for the Investigation of Human Behavior in the City Environment, American Journal of Sociology, Vol. 20, No. 5 (Mar, 1915),P581, 583,et 584 adapté

- ما هي نسبة السكان المستقرين بشكل دائم، والمستقرين بشكل مؤقت في المنطقة؟
- ما هي العناصر التي يتكون منها السكان، من حيث متغير العرق واللغة والطبقة، وطبيعة العمل؟
- ماهي التركيبة العمرية والجنسانية والاجتماعية السائدة؟
- كم عدد الأشخاص الذين يمتلكون منازلهم الخاصة؟
- كم عدد الأشخاص الذين يعيشون في فنادق، أو شقق مستأجرة داخل هذه المنطقة؟
- ما نسبة السكان المتشردين، أو الغجريين، أو البدو في هذه المنطقة؟

هذه الأسئلة وغيرها، حاول من خلالها روبيرت بارك أن يحدد الخصائص والسمات المميزة والأساسية لدى الفئات الاجتماعية المستقرة في كل منطقة/مجال داخل المدينة. وبعد إنجازه لتحليل إحصائي-سوسيولوجي لنتائجها توصل إلى طرح مفاده أن هناك تمايزا وفصلا مجاليا يحكم توسع المدن الكبرى؛ بحيث يتم تقسيم المدينة إلى مجموعات اجتماعية واقتصادية وثقافية متمايزة، تُقسم بدورها إلى مجموعات أصغر، لكل منها مجالها الخاص الذي تستطيع العيش داخله. وسواء تعلق الأمر بمتغير اللغة أو العرق أو الثقافة أو المهنة أو حتى الطموحات الشخصية ومستويات الذكاء، فإن الأفراد في نهاية المطاف يستقرون داخل مجموعات مشابهة لهم، لأن كل مجال يستقطب وينتقي ساكنته وفق صفات وسمات محددة؛ ف"المدن حال قيامها، تكون بمنزلة الآلية التي تنتقي من مجموع السكان الأفراد المناسبين القادرين على العيش في منطقة محددة وبيئة متميزة"¹.

بالإضافة إلى ما سبق، أكد روبيرت بارك بأن التغيرات التي تلحق بالأفراد على المستوى الاجتماعي والاقتصادي تنعكس بشكل مباشر على موقعهم داخل المجال، لأن كل تغيير على مستوى متغير المهنة والدخل، أو الثقافة والتعليم أو غيرها من المتغيرات المحددة لفئات الفرد، يصحبه تغيير في مكان العيش وانتقال إلى فضاء جديد، بما يحفظ في نهاية الأمر التشابه بين المجموعات داخل كل مجال. يقول في هذا الإطار: "والواقع أن التنظيم المادي أو الإيكولوجي للمجتمع، يستجيب ويعكس في الأمد البعيد الأبعاد المهنية والثقافية"². وبذلك، فإن موقع الأفراد داخل المجال لا يأتي بمحض الصدفة، أو الاختيار الشخصي الخالص، وإنما يخضع لمنطق الاستقطاب/Attraction أو الطرد/Repulsion؛ إذ يحدد كل مجال داخل المدينة الفئات الاجتماعية التي سيسقطها أو يطردها من حدوده، وفقا لمتغيرات واضحة تضمن انسجام واندماج أفرادها مع بعضهم البعض.

1 - أثنوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005، ص 599

2 - R.Park, The Concept of Position in Sociology, Papers and Proceedings of the American Sociological Society, 20, 1926,p: 1-14. Robert E. Park: The Concept of Position in Sociology

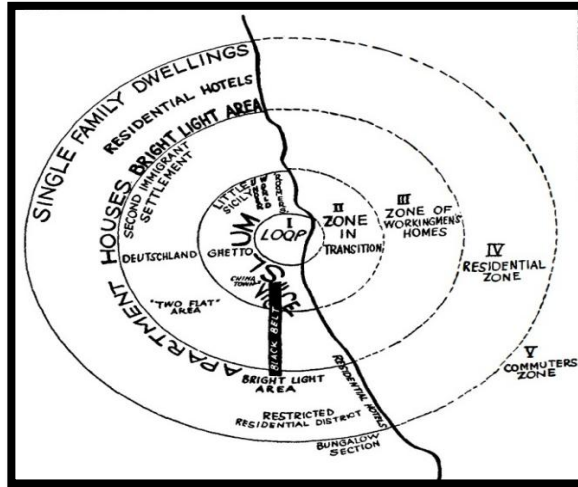
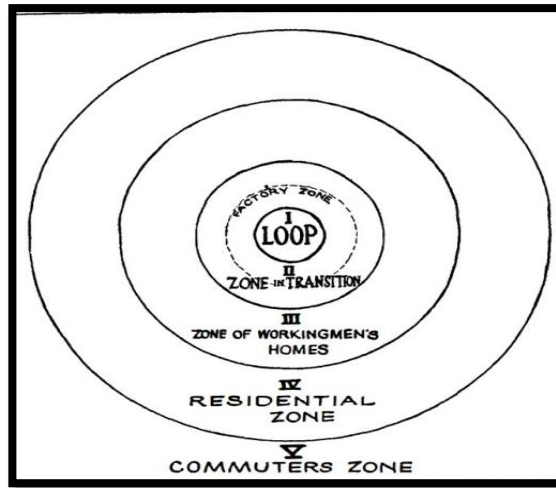
لذلك عندما يغير الأفراد مواقعهم داخل المدينة، بعد حدوث تغيرات في أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية، فإنهم يخضعون بشكل ضمني لقانوني الاستقطاب والطرْد؛ حيث يتم طردهم (بشكل مباشر أو غير مباشر) من المجال الذي لم يعودوا خاضعين لمحدداته وسباته، ويتم استقطابهم (بشكل مباشر أو غير مباشر) من مجال آخر تتلاءم خصائصه ومحدداته مع ظروفهم الجديدة. وهو ما أكده رودريك ماكزري أيضاً؛ حيث اعتبر بأن كل تشكل أو تنظيم إيكولوجي داخل المجتمع يعمل "كقوة انتقائية force attracting أو مغناطيسية، تجذب إليها العناصر السكانية المناسبة وتصد الوحدات غير المنسجمة، مما يؤدي إلى تقسيمات بيولوجية وثقافية لسكان المدينة"¹. وكما هو الشأن على المستوى الإيكولوجي إذ تتحكم قوانين الانتقاء الطبيعي، والمنافسة، والتكيف في توزيع النباتات والحيوانات داخل المناطق الطبيعية، فإن القوانين نفسها تحدد موقع كل فئة داخل المجال الحضري. وإذا كان العالم في إيكولوجيا النباتات يدرك تأثير المنافسة والصراع على المساحة والغذاء والضوء على طبيعة تكوين النباتات، فإن عالم الاجتماع بدوره عليه أن يدرك تأثير المنافسة والتكيف على طبيعة التنظيم الإيكولوجي للبشر، وتوزيعهم داخل المجال². فجودة الخدمات والمرافق والبنية التحتية، وكذا درجة القرب من مراكز الأعمال أو المناطق الصناعية، بالإضافة إلى أسعار العقارات كلها ميكانيزمات تتحكم في طبيعة الفئات الاجتماعية التي يمكنها أن تعيش داخل هذا المجال أو ذاك.

بدوره أوضح إرنست بيرجس، في إطار دراسته حول نمو المدن The Growth of the City - بشكل خاص مدينة شيكاغو- بأن هناك تمايزاً وفصلاً يحكم توسع المدن الحديثة؛ بحيث تنقسم المدينة إلى دوائر متمايزة، تضم كل منها مجموعات محددة، يتم داخلها فرز وتصنيف الأفراد وفق خصائصهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهو التمايز الذي يضيء على المدينة شكلها وطابعها الخاص، ويمنح الأفراد الذين يشكلون المدينة مكانة ودوراً محدداً في التنظيم الحضري³. أطلق على هذا الطرح اسم الدوائر/الحلقات المتراكمة Concentric Circles؛ حيث تشكل المنطقة التجارية I مركز المدينة الذي يضم أغلب الأنشطة التجارية والخدمات، تتبعها مباشرة المنطقة II وهي المنطقة الانتقالية يسكنها الفقراء والمهاجرون الجدد، بعدها تأتي المنطقة III وهي منطقة الطبقة العاملة، ويستقر فيها العمال من ذوي الدخل المحدود الذين استطاعوا الانتقال من المنطقة الانتقالية، بعدها تأتي المنطقة أو الحلقة IV وهي المنطقة السكنية التي تضم أفراداً من الطبقة الراقية والمتوسطة، وتسود داخلها المساكن الفردية والأحياء الراقية، وفي الأخير تأتي المنطقة V، وهي منطقة الضواحي.

1 R. D. McKenzie, The Ecological Approach to the Study of the Human Community (The city), the university of chicago press 1925, p78

2 Op.cit, p 64 adapté

3 Ernest w. Burgess, The Growth of the City An Introduction to a Research Project, in R.E. Park et al., the city, the university of chicago press 1925, p56 adapté



تنظيم مدينة شيكاغو كما اقترحه إرنست بيرجس، في شكل حلقات متمركزة¹

وبناء على ما سبق ذكره، يمكن أن نقول بأنه سواء تعلق الأمر بطرح روبرت بارك أو رودريك ماكزوي أو إرنست بيرجس فإن توزيع الأفراد داخل المدينة يخضع لمنطق الفصل والتمايز بين مجموعات اجتماعية، لكل منها خصائصها وسماتها المتميزة، ولا وجود لمجال حضري دامج لختلف هذه الفئات في الحيز ذاته، فكل مجال يستقطب إليه الفئات المناسبة للعيش داخله، ويطرده الفئات غير القادرة على الاندماج داخله.

1 Ibid, p51 et 55

2. توزيع المجال الحضري المغربي: الاستقطاب والفصل الاجتماعي

مر المجال الحضري المغربي بصيرورة من التحولات والتغيرات التي شكلت معالم المدن المغربية في الوقت الراهن. وسواء تعلق الأمر بالسياسة التعميرية الاستعمارية، أو بالسياسة التعميرية المطبقة بعد الاستقلال، فإن أشكال التدخل التي شهدتها المجال الحضري منذ أول مخطط حضري لمدينة مغربية أفرزت عددا من الإشكاليات السكنية والعمرانية، التي تُسائل أولا وقبل كل شيء المنطق المتحكم في عمليات التخطيط والتهيئة الحضرية. وانطلاقا من طرح رواد مدرسة شيكاغو، وبالاستناد على تحليل جزء من نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024، سنحاول من خلال هذا المقال مساءلة المنطق المتحكم في توزيع الأفراد في كل من مدينتي الرباط وسلا ومدينة الدار البيضاء، للخروج بإجابة عن سؤال مركزي مفاده: هل يعكس توزيع الأفراد داخل المجال الحضري المغربي منطقا انتقائيا وعزلا اجتماعيا أم منطقا شموليا واندماجا اجتماعيا؟

المنهج المعتمد:

للإجابة على هذا السؤال، اعتمدنا على منهج كمي مقارنة لتحديد أشكال الفروقات وأوجه التشابه بين ساكنة خمس مقاطعات داخل مدينتي سلا والرباط¹، وخمس مقاطعات بمدينة الدار البيضاء. وذلك على مستوى مؤشرات اجتماعية واقتصادية وثقافية، تم توزيعها إلى ثلاثة أقسام هي:

1. التعليم واللغات: يدخل في إطارها مؤشر معدل الأمية للبالغين أكثر من 10 سنوات، ومؤشر نسبة الأفراد الحاصلين على تعليم عالٍ، ومؤشر نسبة الأفراد الذين يتجاوز سنهم 10 سنوات ويستطيعون القراءة والكتابة باللغة العربية فقط، ومؤشر نسبة الأفراد الذين يتجاوز سنهم 10 سنوات ويستطيعون القراءة والكتابة باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية؛

2. الشغل: ويدخل ضمنه مؤشر معدل البطالة، ومؤشر نسبة الأشخاص النشيطين المشتغلين بصفتهم مُشغّلين²Employeur؛

1 التقارب الجغرافي بين العدوتين سلا والرباط، وما يصاحبه من تأثير وتأثر بينهما، بالإضافة إلى خصوصيتها والترابط الذي يحكمها على عدة مستويات، يسمح بإجراء مقارنة بين مقاطعات بعضها داخل مدينة الرباط وبعضها داخل مدينة سلا، واعتبارها داخل مجال حضري واحد.

2 يمثلون أصحاب الشركات أو المقاولات الصغرى أو المتوسطة أو الكبيرة، وتحيل دلالات ارتفاع هذا المؤشر إلى وجود فئة سوسيواقتصادية نشيطة، قادرة على خلق فرص شغل، وعلى وجود مناخ محفز لريادة الأعمال.

3. السكن وظروف العيش: وجاء ضمنه مؤشر نسبة الأسر المستقرة في مساكن من نوع فيلا، ومؤشر نسبة الأسر المستقرة في مساكن من نوع دار مغربية¹، بالإضافة إلى مؤشر متوسط عدد الأفراد في الغرفة². تتعدد المؤشرات التي يمكن الاعتماد عليها في تحليل واقع توزيع الأفراد داخل المجال الحضري المغربي، إلا أن اختيارنا للمؤشرات أعلاه حددته، من جهة، أهداف البحث وطبيعة المؤشرات التي من شأنها إبراز الفروقات بين المجالات بشكل أكثر وضوحاً. ومن جهة أخرى، حدود المعطيات التي تم نشرها من طرف المندوبية السامية للتخطيط³ إلى غاية وقت تحريرنا لهذا المقال. وتجدر الإشارة، إلى أن احتساب نتائج المؤشرات أخذ بعين الاعتبار عدد الساكنة/ الأسر في كل مقاطعة على حدة؛ مما يتيح المقارنة بينها مع مراعاة الفروقات الديموغرافية. على سبيل المثال، إذا كانت نتائج مؤشر معدل الأمية هي 56% في المقاطعة A التي يصل عدد نسمتها 50 نسمة، ومعدل الأمية هو 14% في المقاطعة B التي يصل عدد نسمتها 1000 نسمة، فإن النتائج تؤكد أن أغلب ساكنة المقاطعة B قادرون على القراءة أو الكتابة⁴، وأغلب ساكنة المنطقة A أميون. رغم أن عدد الأميين في المقاطعة B (140 شخص) يتجاوز عددهم في المقاطعة A (28 شخص). وبالتالي، فإن النتائج كما تم عرضها، ستسعفنا في تحديد سمات وخصائص الفئات السائدة في كل مقاطعة، باختلاف عدد ساكنتها.

أولاً: مدينتا سلا والرباط

يعرض الجدول أدناه، نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024 فيما يتعلق بالمؤشرات السابق تحديدها، وذلك داخل خمس مقاطعات من مدينتي سلا والرباط، وهي: مقاطعة السويسي، ومقاطعة أكادال-الرياض، ومقاطعة اليوسيفية، ومقاطعة العيادية، ومقاطعة بطانة.

1 أظهرت نتائج البحث الوطني حول الطلب على السكن الذي تم إجرائه سنة 2015، أن غالبية طالبي السكن (حوالي 63%) يعيشون في مساكن من صنف دار مغربية، كما أن دخل غالبية طالبي السكن (حوالي 59%) لا يتجاوز 4000 درهم، وهو ما يسعفنا لاستنتاج مفاده أن معظم قاطني هذا النوع من المساكن يدخلون ضمن الفئات ذوي الدخل المحدود والهشة.

Enquête nationale sur la demande en habitat, Rapport de synthèse, Ministère de l'habitat et de la politique de la ville, 2016, p 92, et p 96

2 تتعدد الدلالات التي يشير إليها انخفاض هذا المؤشر، ويدخل ضمنها ارتفاع جودة الحياة وتوفر العائلات على موارد مالية كافية للحصول على مساكن كبيرة بغرف عديدة.

3 نشرت المنصة عددا من المعطيات خاصة على المستوى الوطني، ما يهينا في هذا المقال هي المعطيات الموزعة حسب الجماعات والأقاليم.

4 تعرف المندوبية السامية للتخطيط الأمية بأنها عدم القدرة على قراءة أو كتابة نص بسيط متعلق بحياة الإنسان اليومية: Résultats RGPH 2024

جدول 1: مقارنة بين ساكنة 5 مقاطعات مدينتي سلا والرباط وفقا لمتغيرات تهم التعليم والثقافة والشغل وظروف العيش¹

المقاطعة		أكداال	السويسى	اليوسفية	العيادة	بطانة
التعليم والثقافة %	المستوى التعليمي	معدل الأمية للبالغين أكثر من 10 سنوات	3,3	5,8	15,3	19,2
	2	تعليم عالي	52,60	48,30	16,30	10,40
	اللغات المقروة والمكتوبة لدى البالغين أكثر من 10 سنوات	العربية فقط	6,60	13,40	29,50	37
		العربية والفرنسية والإنجليزية	55,40	46,40	24,90	20,30
الشغل %	معدل البطالة		9,40	7,50	21,50	20,80
	نسبة الأشخاص النشيطين المشتغلين بصفتهم مُشغّلين Employeur		9,1	22,2	3,9	1,4
السكن وظروف العيش	نوع السكن %	فيلا	20,3	68	4,10	0,70
		دار مغربية	1,5	3,6	85,30	68,20
	متوسط عدد الأفراد في الغرفة		0,80	0,60	1,30	1,5

تُظهر نتائج الجدول أعلاه، بشكل جلي الفروقات الموجودة بين ساكنة المقاطعات التي تضم أهم الأحياء الراقية (السويسى وأكداال الرياض) والمقاطعات التي تضم في المجمل أحياء شعبية (اليوسفية، والعيادة). ففيما يخص المستوى التعليمي للساكنة، سجلت مقاطعة حي الرياض أکداال أدنى نسبة معدل للأمية لدى البالغين أكثر من 10 سنوات وهي 3,3%، كما سجلت أعلى نسبة تعليم عالي 52,60% وأعلى نسبة للأشخاص الذين يفوق سنهم 10 سنوات ويستطيعون القراءة والكتابة باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية وهي 55,40%. تلتها بشكل مباشر مقاطعة السويسى التي لم تتعدى نسبة الأمية فيها 5,8%، في حين وصلت نسبة الأشخاص

¹ نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024 حسب ما عرضه المنصة الرسمية للمندوبية السامية للتخطيط.

الذين يتمتعون بمستوى تعليم عالي 48,30%، كما وصلت نسبة الأشخاص القادرين على القراءة والكتابة باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية داخلها 46,40%.

وفيا يخص المؤشرات المرتبطة بالشغل، فقد سجلت المقاطعتان أدنى معدل بطالة بين الخمس مقاطعات؛ إذ سُجلت نسبة 7,50% في مقاطعة السويدي، وتلتها مقاطعة أكسال حي الرياض بـ 9,40%. في حين سجلت المقاطعتان نفسها أعلى نسبة أشخاص نشيطين مشغولين *actifs occupés* بصفتهم مُشغّلين *Employeur* (22,20% و 9,1%). كما سجلت المقاطعتان أعلى نسبة فيما يخص الأسر المستقرة *ménages sédentaires* القاطنة في سكن من نوع "فيلا"؛ إذ وصلت النسبة 68% داخل مقاطعة السويدي، و 20,30% داخل مقاطعة أكسال الرياض. وأدنى نسبة فيما يتعلق بمؤشر نسبة الأسر المستقرة في مساكن من نوع دار مغربية؛ إذ لم تتجاوز النسبة في مقاطعة السويدي 1,5%، و 3,6% في مقاطعة حي الرياض أكسال. أما على مستوى مؤشر متوسط عدد الأفراد في الغرفة، فقد حققت المقاطعتان أدنى نتيجتين؛ إذ لم يتجاوز الرقم 0,6 في مقاطعة السويدي، و 0,8 في مقاطعة أكسال الرياض.

إذا كانت مقاطعتا أكسال-الرياض والسويدي قد تقاسمتا المراتب الأولى في ما يخص مؤشر نسبة الأفراد الحاصلين على مستوى تعليم عالٍ، ونسبة الأفراد الذين يستطيعون القراءة والكتابة بثلاث لغات، ونسبة الأفراد النشيطين بصفتهم مشغّلين، ونسبة الأفراد المقيمين في سكن من نوع "فيلا"، وتقاسمتا المراتب الأخيرة في ما يخص مؤشر نسبة الأمية، وعدد الأفراد الذين يستطيعون القراءة والكتابة باللغة العربية فقط، ومعدل البطالة، ونسبة الأفراد المقيمين في سكن من نوع "دار مغربية"، ومتوسط عدد الأفراد في الغرفة، فإن مقاطعتي العيايدة في مدينة سلا ومقاطعة اليوسفية في مدينة الرباط، قد سجلتا عكس هذه النتائج بشكل كلي؛ حيث وصل معدل الأمية في مقاطعة العيايدة إلى 19,2% وهي أعلى نسبة مسجلة بين الخمس مقاطعات، تلتها في المرتبة الثانية مقاطعة اليوسفية بنسبة أمية وصلت إلى 15,3% من مجموع ساكنة هذه المقاطعة. وفيما يتعلق بمؤشر نسبة الأشخاص الحاصلين على مستوى تعليم عالٍ، فقد سجلت المقاطعتان المرتبتان الرابعة والخامسة، وذلك بنسبة 10,4% في مقاطعة العيايدة و 16,30%.

أما على مستوى اللغات، فقد حصلت مقاطعة العيايدة على المرتبة الأولى في مؤشر نسبة الأفراد الذين يستطيعون التحدث والقراءة باللغة العربية فقط، وذلك بنسبة 37% من مجموع ساكنتها. تلتها مقاطعة اليوسفية في المرتبة الثانية بنسبة 29,50% من مجموع ساكنتها. في المقابل سجلت المقاطعتان أدنى نسبة على مستوى مؤشر عدد الأفراد القادرين على التحدث والقراءة باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية؛ حيث لم تتجاوز النسبة 20,30% في مقاطعة العيايدة، و 24,90% في مقاطعة اليوسفية.

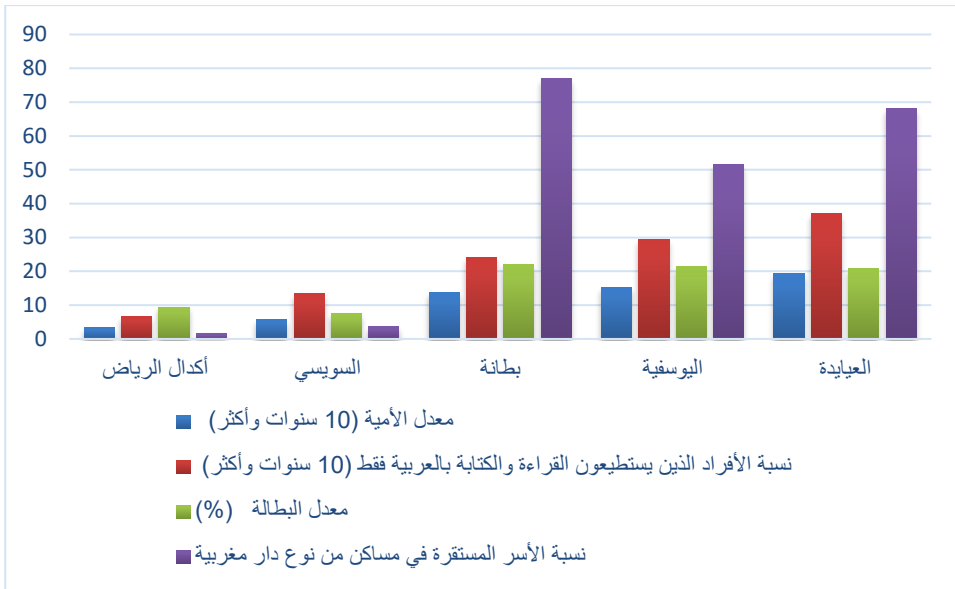
وفيما يتعلق بالمؤشرات الخاصة بالشغل، فقد سجلت المقاطعتان المرتبتان الثانية والثالثة على مستوى مؤشر معدل البطالة، بنسبة 21.50% في مقاطعة اليوسيفية، و 20,8%¹ في مقاطعة العيادية، وهي قريبة من أدنى نسبة مسجلة بين الخمس مقاطعات (21.9% المسجلة في مقاطعة بطانة). أما على مستوى مؤشر نسبة الأفراد النشيطين المشتغلين بصفهم مشغلين، فقد سجلت المقاطعتان أدنى نسبة بين الخمس مقاطعات؛ إذ وصلت النسبة إلى 1,4% في مقاطعة العيادية، وحصلت اليوسيفية على نسبة 3,9% من مجموع ساكنها النشيطة. أما على مستوى مؤشر نسبة الأسر المستقرة المقيمة في سكن من نوع فيلا، فقد سجلت مقاطعة العيادية المرتبة الخامسة بنسبة 0.70% من مجموع الأسر المستقرة داخلها. تلتها مقاطعة اليوسيفية بنسبة 4.10%.

جدول 2: ترتيب المقاطعات الخمس محل المقارنة في مدينتي سلا والرباط

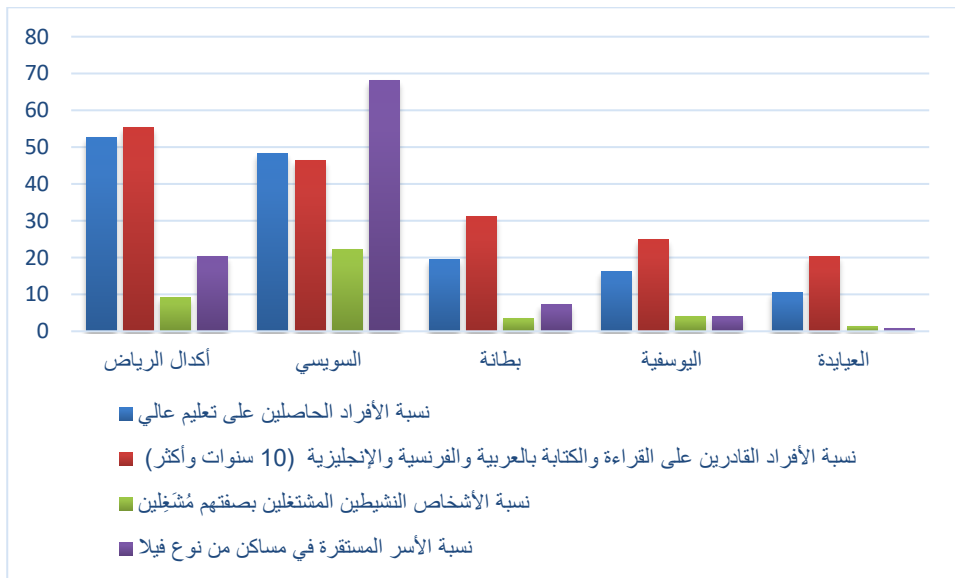
الرتبة	التعليم واللغات		الشغل		السكن وظروف العيش	
	نسبة الأفراد الحاصلين على تعليم عالي	نسبة الأفراد القادرين على القراءة والكتابة بالعربية والفرنسية والإنجليزية	معدل البطالة (من الأقل إلى الأعلى)	نسبة الأشخاص النشيطين المشتغلين بصفهم مُشغَلين	نسبة الأسر المستقرة التي تعيش في فيلا	نسبة الأسر المستقرة في دار مغربية (من الأقل إلى الأعلى)
الأولى	أكداال الرياض	أكداال الرياض	السويسى	السويسى	السويسى	السويسى
الثانية	السويسى	السويسى	أكداال الرياض	أكداال الرياض	أكداال الرياض	أكداال الرياض
الثالثة	بطانة	بطانة	العيادية	بطانة	بطانة	العيادية
الرابعة	اليوسيفية	اليوسيفية	اليوسيفية	بطانة	اليوسيفية	بطانة
الخامسة	العيادية	العيادية	بطانة	العيادية	العيادية	اليوسيفية

وأمام هذه النتائج، يمكننا أن نقول بأنه في المجمل تضم كل مقاطعة من المقاطعات التي تمت المقارنة بينها مجموعات اجتماعية متشابهة على المستوى التعليمي والاقتصادي والاجتماعي، وسواء عن قصد أو غير قصد فإن الأفراد المتشابهين يجدون أنفسهم في الأخير داخل المجالات نفسها، ويتقاسمون ظروف العيش ذاتها. وهو ما يعكسه توزيع نتائج المقاطعات حسب نوع المؤشرات، في الميادين أدناه:

1 قد يفسر عدم حصول مقاطعة العيادية على أعلى معدل للبطالة بين الخمس مقاطعات، بقربها من المناطق الصناعية المنشأة بمدينة سلا.



مبيان 1: نتائج المؤشرات التي يعكس ارتفاعها وجود تحديات اجتماعية واقتصادية (في المقاطعات محل المقارنة في سلا والرباط)



مبيان 2: نتائج المؤشرات التي يعكس ارتفاعها تطورا اجتماعيا واقتصاديا (في المقاطعات محل المقارنة في سلا والرباط)

يظهر المبيانان كأنهما متعاكسان؛ فالمقاطعات التي سجلت أعلى نسب في المؤشرات التي يعبر ارتفاعها عن تطور اجتماعي واقتصادي (من قبيل نسبة الأفراد الحاصلين على تعليم عالٍ، ونسبة الأفراد القادرين على التحدث والقراءة بثلاث لغات...) هي التي حصلت على أدنى مستويات في المؤشرات التي يحيل ارتفاعها على وجود تحديات اجتماعية واقتصادية (من قبيل معدل الأمية، ومعدل البطالة...)، والعكس صحيح أيضاً. وهو ما يشير إلى أن وجود تميز حضري واجتماعي بين هذه المقاطعات، لم يكن وليد صدفة، وإنما هو دليل على وجود انتقاء مكاني، فالمجموعات الاجتماعية التي تتشابه من حيث الخصائص الثقافية والتعليمية والاقتصادية، تجتمع داخل المناطق والأحياء ذاتها.

إن مقاطعة أكدال الرياض التي يصل مجموع سكانها أزيد من 67 ألف نسمة، تجاوز عدد السائكة الحاصلة على تعليم عالٍ داخلها 35.376 شخص (52,6%)، في حين أن مقاطعة العيادة التي يتجاوز عدد سكانها 226 ألف نسمة، لم يتجاوز عدد السائكة الحاصلة على تعليم عالٍ داخلها 23.521 شخص (10,4%). كما أن ظروف السكن تعد من المؤشرات الرئيسية التي تساهم في تأكيد طرح الانتقائية والاستقطاب؛ حيث إن الأشخاص ذوي الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتشابهة يتجاورون في ظروف عيش متشابهة أيضاً، تعبر عن مستوياتهم ومكانتهم؛ فعندما نجد بأن 68 % من الأسر المستقرة في مقاطعة السويسي تعيش في سكن من نوع فيلا (تقريباً 4373 أسرة)، بينما 1,5% من الأسر المستقرة في المقاطعة نفسها (تقريباً 96 أسرة) يعيشون في مسكن من نوع دار مغربية. في حين أن 0,7% من الأسر المستقرة في مقاطعة العيادة يعيشون في سكن من نوع فيلا (تقريباً 400 أسرة)، بينما 68,20% من السائكة المستقرة بها تعيش في مسكن من نوع دار مغربية (تقريباً 39118 أسرة) فإن ذلك يدل على أن مقاطعة السويسي تستقطب السائكة الميسورة بشكل خاص، بينما لا تستقطب منطقة العيادة مثل هذه الفئات الاجتماعية، لتجذب في المقابل الفئات ذات الدخل المحدود والمتوسط التي تستقر في أغلب الحالات في مساكن من نوع دار مغربية أو شقق اقتصادية.

لقد سبق لروبرت بارك أن لاحظ الأمر نفسه في مدينة شرق لندن East London التي يصل عدد سكانها حوالي مليوني نسمة، إلا أن السمات الخاصة بها تؤكد على أن سكانها من طبقة واحدة هي الطبقة العاملة؛ فعلى مستوى أماكن العبادة، لا تحتوي المنطقة كاملة على أي كاتدرائية¹، بيد أنها ممتلئة بالكنائس وأماكن العبادة. ورغم أنها تضم مدارس للتعليم الابتدائي، إلا أنه لا يوجد داخلها أي مدارس للتعليم الثانوي أو كليات أو جامعات للتعليم العالي. وعلى الرغم من أن سكانها يقرؤون الصحف، إلا أنه لا يوجد داخل حدودها أي مقر لصحيفة مهمة. أما من ناحية الطابع العام، فشوارع شرق لندن خالية من العربات الخاصة، ولا تتجول

1 الكاتدرائيات أماكن عبادة أكبر وأهم من الكنائس، يديرها الأسقف.

فيها سيدات الطبقة الغنية، ولا وجود فيها لأحياء راقية، "كما أن الناس والمتاجر والمنازل ووسائل النقل كلها تحمل بشكل واضح بصمة الطبقة العاملة"¹. وأكثر من ذلك، فقد لاحظ روبرت بارك بأن المدينة لا تحوي فنادق، مما يعني أنها خالية من الزوار. وبالرغم من عدد سكانها الكبير الذي يفوق عدد السكان في مدن كبرى - من قبيل فيينا أو برلين فإن شرق لندن تحافظ على الانسجام بينهم، باستقطابها لفئة اجتماعية واحدة هي الفئة العاملة وصدها للفئات الاجتماعية الأخرى، خصوصاً الراقية، التي تُستقطب بدورها من طرف مجالات أخرى، الأمر الذي يعطي في نهاية الأمر فصلاً مجالياً بين هذه الفئات، وهو ما يظهر بين المقاطعات التي تمت المقارنة بينها في هذا المقال، أيضاً.

ثانياً: مدينة الدار البيضاء

بالنسبة لمدينة الدار البيضاء، اخترنا إجراء المقارنة بين خمس مقاطعات، هي: المعاريف، وعين الشق، والحى المحمدي، وسبابة وسيدي عثمان. ويعرض الجدول أدناه نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024 فيما يخص المؤشرات التي تم اختيارها، موزعة حسب المقاطعات الخمس:

جدول 3: مقارنة بين ساكنة خمس مقاطعات بمدينة الدار البيضاء وفقاً لمتغيرات التهم التعليم والثقافة والشغل وظروف العيش

المقاطعة	المعاريف	عين الشق	الحى المحمدي	سبابة	سيدي عثمان
المستوى التعليمي	معدل الأمية للبالغين 10 سنوات أو أكثر	6,4	11,10	14,10	13,10
	تعليم عالي	39,80	22,40	12,60	15,30
التعليم واللغات %	اللغات المقروءة والمكتوبة لدى البالغين أكثر من 10 سنوات	12,8	24	29,40	29,70
	العربية فقط	44,70	32,80	20,40	24,60
	العربية والفرنسية والانجليزية				

المقاطعة		المعاريف	عين الشق	الحمي المحمدي	سبابة	سيدي عثمان
الشغل %	معدل البطالة	10,90	16,60	26,10	22,20	22,50
	نسبة الأشخاص النشيطين المشتغلين بصفتهم مُشغلين Employeur	7,60	5,30	1,70	3,30	1,70
السكن وظروف العيش	نوع السكن %	فيلا	7,90	0,60	0,10	0,10
		دار مغربية	12,40	63,30	55,10	63,50
	متوسط عدد الأفراد في الغرفة	1	1,2	1,5	1,4	1,6

توافقت نتائج الإحصاء في هذه المقاطعات مع ما تم رصده في مدينتي سلا والرباط؛ إذ برز تفاوت واضح في المستويات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية بين سكان المقاطعات التي تضم أهم الأحياء الراقية في المدينة (المعاريف، وعين الشق)، والمقاطعات التي تضم أحياء شعبية فقيرة (سبابة، وسيدي عثمان، والحمي المحمدي). فيما يتعلق بجانب التعليم واللغات، حققت مقاطعة المعاريف المرتبة الأولى على مستوى مؤشر نسبة الأفراد الحاصلين على تعليم عالي (39,80%)، تلتها مقاطعة عين الشق في المرتبة الثانية بنسبة 22,40% من مجموع ساكنتها. أما على مستوى مؤشر معدل الأمية، فقد حصلت مقاطعة المعاريف على أدنى نسبة، وحددت في 6,4% من مجموع ساكنتها التي يتجاوز سنها 10 سنوات. في حين حصلت مقاطعة عين الشق على ثاني أدنى نسبة (11,1%). وفيما يخص التعدد اللغوي، وصلت نسبة الأفراد القادرين على القراءة والكتابة باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية في مقاطعة المعاريف إلى 44,70% من مجموع ساكنتها التي يفوق عمرها 10 سنوات، لتحتل بذلك المرتبة الأولى بين الخمس مقاطعات. تلتها في المرتبة الثانية مقاطعة عين الشق بنسبة 32,80% من مجموع ساكنتها التي يتجاوز سنها عشر سنوات. في حين أن المقاطعتين احتلتا المرتبتين الأخيرتين في مؤشر نسبة الأفراد القادرين على القراءة والكتابة باللغة العربية فقط؛ حيث جاءت مقاطعة المعاريف في المرتبة الخامسة بنسبة 12,8%، وجاءت مقاطعة عين الشق في المرتبة الرابعة بنسبة 24% من مجموع ساكنتها التي يفوق سنها 10 سنوات.

وفيما يرتبط بالمؤشرات الخاصة بالشغل، حلت مقاطعة المعاريف في المرتبة الأخيرة من حيث معدل البطالة، بنسبة 10,90% من مجموع ساكنتها النشيطة، وجاءت مقاطعة عين الشق قبلها بشكل مباشر، بنسبة 16,60% من مجموع ساكنتها النشيطة. أما على مستوى مؤشر نسبة الأفراد النشيطين المشتغلين بصفتهم

مُشغّلين، فقد تصدرت مقاطعة المعاريف النتائج بنسبة 7,6% من مجموع ساكنتها النشيطة، وتلتها مقاطعة عين الشق في المرتبة الثانية بنسبة 5,30% من مجموع ساكنتها النشيطة.

أما على مستوى ظروف السكن، فقد تبين من خلال نتائج الإحصاء بأن مقاطعة المعاريف حصدت المرتبة الأولى من حيث عدد الأسر المستقرة التي تعيش في مساكن من نوع فيلا، وذلك بنسبة 8,4%. تلتها مباشرة مقاطعة عين الشق، وذلك بنسبة 7,9% من مجموع الأسر المستقرة داخلها (حوالي 8105 أسرة). في مقابل ذلك، حصلت المقاطعتان على أدنى نسبة في مؤشر الأسر المستقرة داخل مساكن من نوع دار مغربية؛ حيث حصدت المعاريف نسبة 12,40%، وجاءت قبلها عين الشق بنسبة 46,20%. أما على صعيد مؤشر متوسط عدد الأفراد في الغرفة فقد جاءت المعاريف في المرتبة الأخيرة بمعدل 1,2 شخص لكل غرفة.

بالموازاة مع هذه النتائج، التي تعكس أفضل ظروف اقتصادية واجتماعية محققة-بالمقارنة مع الثلاث مقاطعات الأخرى- جاءت مقاطعتا سيدي عثمان والحلي المحمدي بنتائج معاكسة. فبالنسبة لمؤشر معدل الأمية، حصلت المقاطعتان على المرتبة الأولى والثانية؛ حيث سجلت مقاطعة سيدي عثمان نسبة 17,40%، وذلك من مجموع ساكنتها التي يتجاوز سنها 10 سنوات. وحصلت مقاطعة الحلي المحمدي على نسبة 14,10%. أما فيما يتعلق بمؤشر التعليم العالي، فقد جاءت المقاطعتان في المرتبتين الأخيرتين من ضمن الخمس مقاطعات؛ بحيث لم تتجاوز نسبة الأفراد الذين حصلوا على تعليم عالٍ والمستقرين في مقاطعة سيدي عثمان 9,3% من مجموع ساكنتها، في حين لم تتجاوز هذه النسبة 12,60% في الحلي المحمدي. ولم يتغير هذا الترتيب عما حصلت عليه المقاطعتان فيما يخص مؤشر نسبة الأفراد القادرين على القراءة والكتابة بثلاث لغات (عربية، وفرنسية، وإنجليزية)؛ حيث جاءت مقاطعة سيدي عثمان في المرتبة الخامسة بنسبة 17,40%، وجاءت مقاطعة الحلي المحمدي في المرتبة الرابعة بنسبة 20,40% من مجموع ساكنتها التي تزيد أعمارها عن 10 سنوات. في مقابل ذلك، حلت المقاطعتان في المرتبتان الأولى والثالثة على مستوى مؤشر نسبة الأفراد القادرين على القراءة والكتابة باللغة العربية فقط؛ حيث وصلت النسبة في مقاطعة سيدي عثمان إلى 39,60% من مجموع ساكنتها التي يتجاوز سنها 10 سنوات، ووصلت النسبة في مقاطعة الحلي المحمدي إلى 29,40% (أقل بقليل من مقاطعة سباتة).

فيما يرتبط بمؤشرات الشغل، حصلت مقاطعتا الحلي المحمدي وسيدي عثمان على المرتبتين الأولى والثانية على التوالي في معدل البطالة؛ حيث وصلت النسبة 26,10% من مجموع الساكنة النشيطة في الحلي المحمدي، و22,5% من مجموع الساكنة النشيطة في مقاطعة سيدي عثمان. في حين أن مؤشر نسبة الأفراد النشيطين

المشتغلين بصفتهم مُشغّلين Employeur، الذي يعكس القدرة على خلق فرص شغل وريادة الأعمال لم يتجاوز 1,7 في كلا المقاطعتين، لتشارك معا في المرتبة الأخيرة.

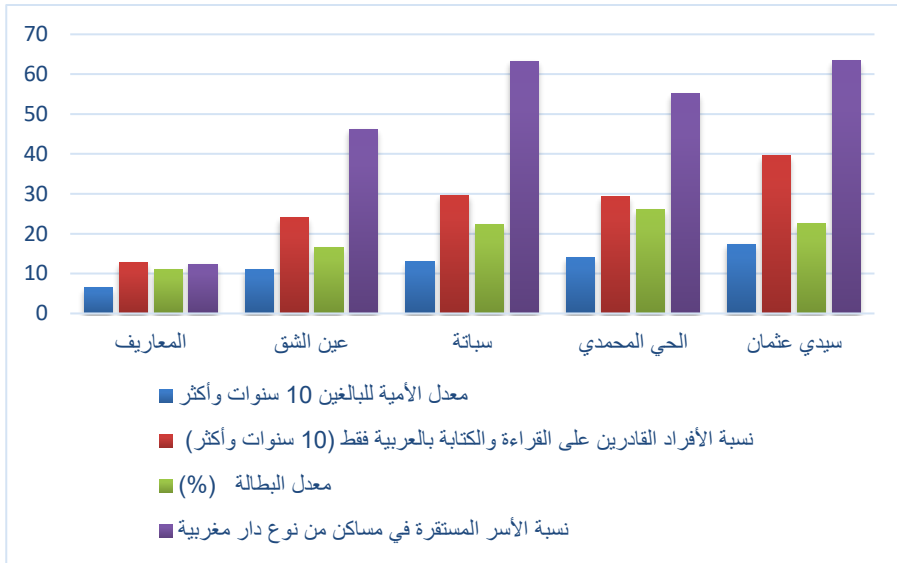
على مستوى مؤشرات السكن وظروف العيش، جاءت مقاطعة سيدي عثمان وسبابة في المرتبة الأخيرة في مؤشر نسبة الأسر المقيمة في مساكن من نوع فيلا، وذلك بنسبة 0.10% من مجموع الأسر المستقرة داخل كل مقاطعة منها (حوالي 56 أسرة في سيدي عثمان، و 26 أسرة في سبابة). أما مقاطعة الحلي المحمدي التي جاءت في المرتبة ما قبل الأخيرة، فالنسبة فيها لم تتجاوز 0.60% من مجموع الأسر المستقرة داخلها (حوالي 170 أسرة). ومن ضمن الخمس مقاطعات، حرزت مقاطعة سيدي عثمان على أعلى متوسط لعدد الأفراد في الغرفة بمعدل 1,6 فرد، وأعلى نسبة أسر مستقرة في مساكن من نوع دار مغربية (63,50%). تلتها مقاطعة الحلي المحمدي بمعدل 1,5 فرد بالنسبة لمؤشر متوسط عدد الأفراد في الغرفة، ونسبة 63,30% فيما يرتبط بمؤشر الأسر المستقرة في مساكن من نوع دار مغربية.

جدول 4: ترتيب المقاطعات الخمس محل المقارنة في مدينة الدار البيضاء

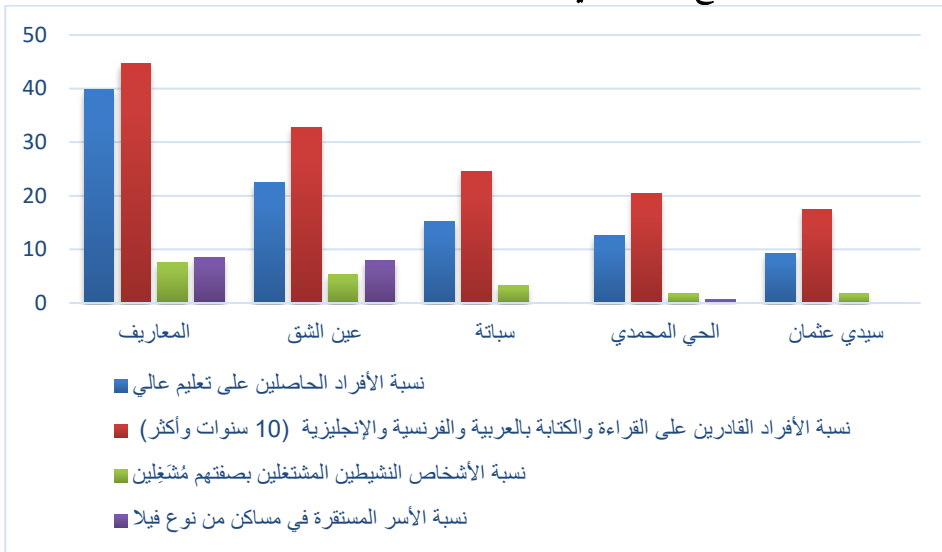
المرتبة	التعليم واللغات		الشغل		السكن وظروف العيش	
	نسبة الأفراد الحاصلين على تعليم عالي	نسبة الأفراد القادرين على القراءة والكتابة بالعربية والفرنسية والإنجليزية	معدل البطالة (من الأقل إلى الأعلى)	نسبة الأشخاص النشيطين المشتغلين بصفتهم مُشغّلين	نسبة الأسر المستقرة التي تعيش في فيلا	نسبة الأسر المستقرة في دار مغربية (من الأقل إلى الأعلى)
الأولى	المعاريف	المعاريف	المعاريف	المعاريف	المعاريف	المعاريف
الثانية	عين الشق	عين الشق	عين الشق	عين الشق	عين الشق	عين الشق
الثالثة	سبابة	سبابة	سبابة	سبابة	الحلي المحمدي	سبابة
الرابعة	الحلي المحمدي	الحلي المحمدي	سيدي عثمان	سيدي عثمان / الحلي المحمدي	سبابة / سيدي عثمان	الحلي المحمدي
الخامسة	سيدي عثمان	سيدي عثمان	الحلي المحمدي	-	-	سيدي عثمان

وكما هو الشأن بمدینتی سلا والرباط، تظهر نتائج الإحصاء بأن كل مقاطعة من المقاطعات التي تمت المقارنة بينها في مدينة الدار البيضاء، تستقطب فئات اجتماعية محددة ذات خصائص وسمات اجتماعية وثقافية واقتصادية متشابهة. وهو ما يدعم بدوره طرح الفصل المجالي كما أورده رواد مدرسة شيكاغو، وخصوصا روبرت بارك.

يوضحا المبيانان أدناه، الاختلاف الموجود بين المقاطعات التي تمت المقارنة بينها:



مبيان 3: نتائج المؤشرات التي يعكس ارتفاعها وجود تحديات اجتماعية واقتصادية



مبيان 4 : نتائج المؤشرات التي يعكس ارتفاعها تطورا اجتماعيا واقتصاديا

وبذلك يمكننا أن نقول، بأن توزيع الأفراد داخل المجال الحضري المغربي يعكس فضلا اجتماعيا، وعملية انتقاء واستقطاب واضحة؛ فكل مقاطعة تضم أفرادا أغلبهم متشابهون من حيث الخصائص الاجتماعية

والاقتصادية والثقافية. وهو ما يتوافق مع ما أكده روبرت بارك؛ إذ اعتبر بأن: "المدينة تنمو من خلال الامتداد والانساع، ولكنها تحتفظ دوما بطابع **الانتقاء والتمييز** بين سكانها، بحيث أن كل واحد ينتهي في آخر المطاف إلى إيجاد المكان الذي يمكن أن يعيش فيه، أو الذي يجب أن يعيش فيه"¹.

خاتمة:

حاولنا من خلال هذا المقال، تقديم قراءة في الكيفية التي يظهر عليها توزيع الأفراد داخل المجال الحضري، وذلك في مقاطعات من مدينتي سلا والرباط ومدينة الدار البيضاء. وبعد عرضنا لنتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024 على مستوى 9 مؤشرات تعبر كل منها عن أبعاد سوسيواقتصادية وسوسيوثقافية مهمة، توصلنا إلى طرح مفاده أن توزيع الأفراد داخل المجال الحضري يخضع لمنطق الفصل المجالي والتمييز بين الفئات الاجتماعية، وأن نمو المدينة في المغرب يدعم اللاتجانس بين الفئات الاجتماعية المختلفة؛ إذ ظهرت مناطق تتكون في المجمل من ساكنة تتمتع بوضعية داعمة للتطور الاقتصادي والاجتماعي (مستوى تعليمي عالي، وتنوع لغوي، وظروف سكنية مريحة..)، وبرزت مناطق أخرى أغلب سكانها تعترضهم وضعية معيقة للتطور الاجتماعي والاقتصادي (انتشار معدلات الأمية والبطالة، وضعف التكوين اللغوي...). وبدا بذلك واضحاً أننا أمام فضاءات عيش مختلفة وليس فضاء حضرياً واحداً، ينتقي كل منها ساكنته وفق معايير محددة، وهو ما يدفع الأفراد بشكل مباشر وغير مباشر إلى السكن في أماكن تتلاءم ومستوياتهم التعليمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والتجاور مع أفراد مشابهين لهم.

وإذا كنا من خلال هذا المقال قد ركزنا على إبراز الفصل المجالي السائد بين الفئات الاجتماعية داخل المجال الحضري المغربي، وتوضيح الفروقات القائمة بينها، فإننا لم نتوسع أكثر في سؤال **الأسباب العميقة** وراء إنتاج وإعادة إنتاج هذا التمايز الاجتماعي والمجالي في المغرب بما يأخذ بعين الاعتبار خصوصياته الذاتية والمتفردة. لكننا سنختم بقولة للسوسيولوجي قيس مرزوق ورياشي، لعلها تفتح باباً لتفكير أوسع في هذا الموضوع؛ إذ يقول: "المجال ينتج، يستهلك، ويتحول. وهذه العمليات الثلاثة تتم من خلال تدخل الإنسان والمجتمع وبالتالي نفس الرهانات السياسية والاجتماعية التي تخضع لها مناطق أخرى من النشاط البشري. هذه الرهانات تدفع البشر، انطلاقاً من مواقعهم الاجتماعية، إلى امتلاك المجال وتمثله حسب تراتبات *hiérarchiques* ذات علاقة وطيدة بالتراتبات الاجتماعية السائدة"².

1 روبرت بارك، المدينة كمختبر اجتماعي، نشره عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو، ص 186

2 قيس مرزوق ورياشي، التراتبات الاجتماعية والتراتبات المجالية، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 16 عدد 4 (1988)، ص 220

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2005؛
- روبرت بارك، المدينة كمختبر اجتماعي، نشره عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2016؛
- عبد اللطيف أعميرو، دور الدولة في إنتاج المجال الحضري، حالة مدينة تاوريرت (شمال المغرب)، مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل، المجلد الخامس، العدد 9، مارس 2023؛
- قيس مرزوق ورياشي، التراتبات الاجتماعية والتراتبات المحلية، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 16 عدد 4 (1988)
- نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى 2024.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Enquête nationale sur la demande en habitat, Rapport de synthèse, Ministère de l'habitat et de la politique de la ville, 2016 ;
- Ernest w. Burhess, The Growth of the City An Introduction to a Research Project, in R.E. Park et al., the city , the university of chicago press 1925 ;
- H.Lefebvre, Espace et politique : le droit à la ville II, Paris, Anthropos, 2000 ;
- P.H.Chombart de Lauwe, Fin des villes mythe ou réalité, calmann-lévy, 1982 ;
- R. D. McKenzie, The Ecological Approach to the Study of the Human Community (The city), the university of chicago press 1925 ;
- R.Park ,The City: Suggestions for the Investigation of Human Behavior in the City Environment, American Journal of Sociology, Vol. 20, No. 5 (Mar, 1915) ;
- R.Park, The Concept of Position in Sociology, Papers and Proceedings of the American Sociological Society, 20, 1926,p: 1-14.

المنصات الالكترونية:

- منصة عرض نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2024، موزعة حسب المقاطعات والجماعات
<https://resultats2024.rgphapps.ma>

التدريب الميدانية ودورها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأستاذ(ة) المتدرب(ة): حالة طلبة مسلك التاريخ والجغرافيا

مولاي المصطفى البرجاوي

أستاذ محاضر مؤهل

المدرسة العليا للتربية والتكوين ببرشيد

جامعة الحسن الأول، المغرب

محمد عابي

طالب باحث بسلك الدكتوراه

المدرسة العليا للتربية والتكوين ببرشيد

جامعة الحسن الأول، المغرب

الملخص

في سياق تنمية قدرات الأساتذة(ات) المتدربين(ات) بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، وتطوير كفاياتهم المهنية والتبصرية، يأتي التدريب الميداني كحلقة مفصلة ضمن مسلسل تكوين هذه الفئة من المتدربين(ات)، والذي يهدف بالأساس إلى بلورة القدرات والوسائل البيداغوجية والمعرفية المكتسبة خلال فترة التكوين النظري.

فالتدريب الميداني يشكل نشاطا لاستكشاف الواقع المهني وتطوير الكفايات المنهجية والمهنية لدى المتدربين(ات)؛ باعتباره فترة زمنية تجمع بين عدد من أنشطة التمهين والمهنة المنجزة داخل المؤسسات التعليمية، يتم التحضير لها واستثمارها داخل المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين في إطار التناوب المدمج القائم على أنموذج عملي-نظري-عملي كاستراتيجية تربوية في التكوين والتأهيل.

وعلى هذا الأساس سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على بعض مركبات البرادغم عملي-نظري-عملي في تكوين المتدربين(ات) وأهم الكفايات المهنية والتبصرية التي يتعين أن يمتلكها الأستاذ(ة) المتدرب(ة)، إلى جانب رصد واقع النزول الفعلي للكفاية المنهجية لدى الأساتذة(ات) المتدربين(ات) تخصص مادة الاجتماعيات بجهة مراكش أسفي -المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فرع أسفي؛ واقتراح مقترحات تطويرية لتجويده؛ وذلك من خلال تناول المحاور الكبرى الآتية:

- 1- خصائص ومركبات التدريب الميدانية في تكوين الأساتذة(ات) المتدربين(ات)؛
- 2- أهم الكفايات المنهجية والتبصرية التي يتعين أن يمتلكها الأستاذ(ة) المتدرب(ة)؛
- 3- المصاحبة الميدانية: شروطها وأركانها ودورها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأستاذ(ة) المتدرب(ة)؛
- 4- تشخيص جوانب من المصاحبة الميدانية وإنماء الكفاية المنهجية لدى الأساتذة(ات) المتدربين(ات) بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة مراكش أسفي - الفرع الإقليمي أسفي؛
- 5- مقترحات وظيفية لتطوير المصاحبة الميدانية وإنماء الكفاية المنهجية لدى المتدربين(ات) لرجح رهان تجويد التكوين المهني.

الكلمات المفتاحية:

التدريب الميدانية- الكفايات المهنية- الكفاية المنهجية- الأستاذ(ة) المتدرب(ة).

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عابي، محمد. البرجاوي، مولاي المصطفى. (2025، يوليو). التدريب الميدانية ودورها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأستاذ(ة) المتدرب(ة): حالة طلبة مسلك التاريخ والجغرافيا. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 7، المجلد 2، السنة 2، ص 132-153.

مقدمة

في سياق تنمية قدرات الأساتذة(ات) المتدربين(ات) بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، وتطوير كفاياتهم المهنية والتبصيرية، يأتي التدريب الميداني كحلقة مفصلية ضمن مسلسل تكوين هذه الفئة من المتدربين(ات)، والذي يهدف بالأساس إلى بلورة القدرات والوسائل البيداغوجية والمعرفية المكتسبة خلال فترة التكوين النظري.

فالتدريب الميداني يشكل نشاطا لاستكشاف الواقع المهني وتطوير الكفايات المنهجية والمهنية لدى المتدربين(ات)؛ باعتباره فترة زمنية تجمع بين عدد من أنشطة التمهين والمهنة المنجزة داخل المؤسسات التعليمية، يتم التحضير لها واستثمارها داخل المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين في إطار التناوب المدمج القائم على نموذج عملي-نظري-عملي كاستراتيجية تربوية في التكوين والتأهيل.

وعليه، سنحاول من خلال هذه المساهمة البحثية، تسليط الضوء على بعض مرتكزات البرادغم عملي-نظري-عملي في تكوين المتدربين(ات) وأهم الكفايات المهنية والتبصيرية التي يتعين أن يمتلكها الأستاذ(ة) المتدرب(ة)، إلى جانب رصد واقع النزول الفعلي للكفاية المنهجية لدى الأساتذة(ات) المتدربين(ات) لمادة الاجتماعيات بجهة مراكش أسفي -المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين فرع أسفي؛ واقتراح مقتضيات تطويرية لتجويده.

أولا- الإطار المنهجي للدراسي

1- مشكلة الدراسة وأسئلتها الفرعية:

تكتسي التدريبات الميدانية أهمية بالغة في مرحلة تكوين الطلبة الأساتذة/ات المتدربين/ات من خلال كونها تمكن المتدرب(ة) من الانتقال من مرحلة التكوين النظري في المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، إلى مرحلة النزول إلى الميدان للوقوف عن كثب على مهام المدرس(ة) والإكراهات التي تكتنفها والبحث عن حلول واقعية لتجاوزها، أي الانتقال من النظري إلى الواقع الملموس للمهنة. بالإضافة إلى أهمية الميدان في تكوين المتدربين(ات) في معالجة وتناول بعض القضايا التربوية، كما يشكل التدريب الميداني قيمة مضافة نوعية في المسار التكويني للطالب(ة) الأستاذ(ة) المتدرب(ة) ومحكا حقيقيا لقياس جودة رصيده(ا) المعرفي النظري والتدبري والعلائقي، ومدى قدرته(ا) على استثمار هذا الرصيد فيما يخدم الواقع التربوي بكل تعقيداته، إنه الوضعية المثلى لتنمية كفاياته المهنية وصقل تجربته.

إن فترات التدريب الميداني التي يقضيها المتدرب(ة) في الميدان تشكل منعطفات مفصلية في سيرورة التمهين الميداني التي يقوم عليها التكوين بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين والفروع التابعة لها؛ حيث يتمكن المتدرب(ة) من الاستئناس بمهام وأدوار الأستاذ(ة) والمربي(ة) والإداري من خلال تداريب ميدانية تستهدف التحسيس والمحاكاة، لتضعه أيضا في صميم وعمق الممارسة الحقيقية من خلال وضعيات تدريبية يتحمل فيها الطالب المتدرب(ة) المسؤولية كاملة عبر الانخراط المباشر في الإشراف على تأطير وتتبع ومراقبة العمل التدريسي والإداري في المؤسسة التعليمية بشكل فردي حيناً وضمن فريق حيناً آخر، وتحت إشراف أستاذ(ة) مستقبل(ة) مرافق من ذوي الخبرة .

وبما أن الكفاية تكمن في قدرة الذات على تعبئة موارد ملائمة (معرفية ووجدانية وسياقية) لمعالجة وضعية ما بشكل فعال وملائم، ونظام من المعارف الذهنية والمهاراتية أي العلمية التي تنتظم في سياقات متعددة مشابهة، والتمكن من حلها بكل نشاط وحيوية وفعالية بما يتطلب ذلك من مجهود ذهني عبر البحث والتقصي (الصادق العامري، 2015، ص 151)، ولأن الكفاية المنهجية إحدى الكفايات المهنية التي يكتسبها المتدرب(ة) بشكل صريح وموازي لباقي الكفايات المهنية الأخرى، فقد كان لزاما الوقوف على بعض جوانب تميّتها في الفعل التربوي لدى المتدرب(ة) عبر سياقات ومدخلات عديدة؛ كالتوثيق والتخطيط التربويين، وتدير الوقت داخل الفصل وخارجه، وإنماء المشروع الشخصي للمتدرب(ة) وملفه التراكمي، وإدكاء أسلوب التفكير في عدد من القضايا والظواهر التربوية. فالكفايات المنهجية تحول المتعلمين إلى أفراد متمكنين من طرائق التفكير المنطقي وممارسة الاستدلال والارتقاء بمدرج النشاط العقلي، كما تجعلهم يكتسبون منهجية للعمل والتنظيم وتدير التكوين الذاتي والمشاريع الشخصية (الصادق العامري، 2015، ص 155-156).

وعلى هذا الأساس نصوغ إشكالية الدراسة وفق الآتي:

إلى أي حد تسهم التداريب الميدانية في إدكاء وإنماء الكفاية المنهجية لدى أساتذة/ات مادة الاجتماعيات المتدربين(ات)؟

للإجابة على هذا السؤال المركزي تم تقسيمه إلى التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما خصائص ومرتكزات التداريب الميدانية في تكوين الأساتذة(ات) المتدربين(ات)؟
- ما أهم الكفايات المنهجية والتبصيرية التي يتعين أن يمتلكها الأستاذ(ة) المتدرب(ة)؟
- ما شروط وأركان المصاحبة الميدانية ودورها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأستاذ(ة) المتدرب(ة)؟

- ما واقع حال المصاحبة الميدانية وإسهامها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأساتذة(ات) المتدربين(ات) لمادة الاجتماعيات بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة مراكش أسفي- الفرع الإقليمي أسفي؟
- ما بعض المقترحات الوظيفية لتطوير المصاحبة الميدانية وإنماء الكفاية المنهجية لدى المتدربين(ات) لربح رهان تجويد التكوين المهني؟

2- فرضيات الدراسة:

إن الفرضيات تحاول تفسير حالات وظواهر لا زالت في حكم المجهول، لأن صحتها لم تثبت بعد، بل تبقى رهينة بما سيسفر عنه البحث الميداني من نتائج، ولكن صياغتها في نسق من العلاقات المترابطة والمتكاملة، تجعلها ذات أهمية بالنسبة للبحث، وباعتبار الفرضية أيضا جوابا مؤقتا عن سؤال، وعلى ضوء مشكلة الدراسة وأسئلتها الفرعية، وبالاحتكام إلى المجالات والمسلكيات التي يمكن ضمنها الإجابة عنها، نضع الفرضيتين الآتيتين لأجل التحقق منها:

- تقوم التدريبات الميدانية للمتدربين(ات) على عدد من المرتكزات تهدف بالأساس إلى بلورة القدرات والوسائل البيداغوجية والمعرفية والمنهجية المكتسبة لديهم/ن خلال فترة التكوين النظري.
- توجد فروق وتباينات في مستويات تملك أساتذة/ات مادة الاجتماعيات المتدربين(ات) للكفاية المنهجية ومستويات تيمتها من لدنهم/ن في التدريبات الميدانية بالمؤسسات التعليمية تخطيطا وتديرا، وينعكس ذلك على واقع تنمية باقي الكفايات المهنية لديهم/ن.

3- أهداف الدراسة وأهميتها:

إن القيمة الحقيقية لكل بحث تتضح أكثر حين يتم الاطلاع على الأهداف التي يعلن عنها، كما أن القيمة الحقيقية لكل بحث تتضح أكثر حين يتم الاطلاع على الأهداف التي يعلن عنها؛ وعلى هذا الأساس فإن أهمية هذه الدراسة تنبع من الأهداف الآتية التي تسعى إلى تحقيقها:

- رصد خصائص ومرتكزات التدريبات الميدانية في تكوين الأساتذة(ات) المتدربين(ات)؛
- الوقوف على أهم الكفايات المنهجية والتبصرية التي يتعين أن يمتلكها الأستاذ(ة) المتدرب(ة)؛
- استجلاء بعض شروط وأركان المصاحبة الميدانية ودورها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأستاذ(ة) المتدرب(ة)؛

- تشخيص واقع حال المصاحبة الميدانية وإسهامها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأساتذة(ات) المتدربين(ات) لمادة الاجتماعيات بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة مراكش أسفي- الفرع الإقليمي أسفي؛
- صياغة مقترحات وظيفية لتطوير المصاحبة الميدانية وإنماء الكفاية المنهجية لدى المتدربين(ات) لربح رهان تجويد التكوين المهن.

4- منهجية الدراسة:

- للإجابة على إشكالية الدراسة والتساؤلات المتفرعة عنها، سنتبع المنهج الوصفي التحليلي من خلال:
- عمل بيبليوغرافي نظري تأسيسي من خلال مناقشة وتحليل الأدبيات التي قارت موضوع التداريب الميدانية والكفايات المهنية لدى المتدربين(ات)؛
- مناقشة وتحليل بعض الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة ومختلف المتدخلين في الشأن التربوي بالمغرب وما مدى عرضها لمسألة أسس التداريب الميدانية والكفايات المهنية لدى الأساتذة/ات المتدربين(ات)؛
- اعتماد استمارة ميدانية لتشخيص واقع حال المصاحبة الميدانية وإسهامها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأساتذة(ات) المتدربين(ات) لمادة الاجتماعيات بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة مراكش أسفي- الفرع الإقليمي أسفي؛
- محاولة اقتراح مقترحات ومقتضيات وظيفية لتطوير المصاحبة الميدانية وإنماء الكفاية المنهجية لدى المتدربين(ات) لربح رهان تجويد التكوين المهن؛

5- مجتمع الدراسة وعينها:

تكون مجتمع الدراسة وعينها من جميع الطلبة الأساتذة/ات المتدربين/ات لتخصص مادة الاجتماعيات بالسلكين الثانوي التأهيلي والثانوي الإعدادي، الذين يتلقون تدريباً ميدانياً ونظرياً بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة مراكش أسفي، الفرع الإقليمي أسفي، خلال الموسم الجامعي 2024-2025، والبالغ عددهم (115) طالب(ة) أستاذ(ة).

6- أداة الدراسة:

استخدم الاستبيان الإلكتروني الموجه للطلبة/ات الأساتذة/ات المتدربين(ات) لتقييم مدى استفادتهم من التداريب الميدانية، وتنمية الكفاية المنهجية لديهم. كأداة لجمع البيانات. ويتكون من 12 سؤال.

ثانيا- الفرش النظري للدراسة:

1. تحديدات مفاهيمية:

التدريب الميداني: هو العملية المخططة والمنظمة التي تستهدف إكساب المعارف والمهارات وتغيير الاتجاهات لأداء عمل، أو لتحقيق هدف معين (سناء بنت عبد العزيز الطوق، 2018، ص 31)، وهي أيضا عبارة عن نشاط تعليمي ولكنه يتم من خلال الممارسة الواقعية في الميدان، فلا تعلم دون تدريب. فهو عملية إكساب الطالب الخبرة العملية تحت إشراف مهني مباشر. ويعتبر التدريب الميداني (أو الترتية العملية كما يسمى في بعض الجامعات) الجانب العملي من برنامج الإعداد المهني لمعلم الترتية الخاصة، وفيه يتم تطبيق جميع ما تعلمه الطالب من مساقات نظرية تخصصية وتزويده بالاتجاهات الإيجابية نحو المهنة من جهة ونحو مهارات التعليم الخاصة بالفئة التي سوف يتعامل معها من جهة أخرى، إن التدريب الميداني للطالب المعلم في مجال الترتية الخاصة يعتبر فرصة محممة تؤثر بشكل كبير على نجاحه المستقبلي في المهن (Leko, Melinda M.; Brownell, Mary T. 2012.p16).

ويعرفها الباحث إجرائيا بأنها فرصة فريدة ومرحلة هامة وأسلوبا فعالا في مجال الربط بين التكوين النظري والتكوين التطبيقي الميداني، كما أنه طريقة لتأهيل الأستاذ(ة) المتدرب(ة) وتحضيره للحياة العملية المهنية من أجل أداء مهامه التدريسية والتربوية وذلك تحت إشراف مشرف التدريب الميداني من ذوي الخبرة المهنية.

الكفاية المنهجية: تضم الكفاية مجموعة من المعارف المهنية والقدرات والمواقف المتعددة والتي تستثمر أثناء الفعل، ويبرز خلالها الدور الأساسي لنشاط المتكون في الوضعيات المهنية التي تسع معنى على التعلمات وتتوفر بموجبها علاقة نشطة نفعية للمعارف (وزارة الترتية، الإدارة العامة للبرامج والتكوين المستمر. (أكتوبر 2017). ص 02) ويعرف الكتاب الأيض في جزئه الأول الكفايات المنهجية على النحو الآتي: "تستهدف إكساب منهجية التفكير وتطوير مدارجه العقلية ومنهجية العمل في الفصل وخارجه، ومنهجية تنظيم ذات المتعلم(ة) وشؤون ووقته، وتدبير تكوينه الذاتي ومشاريعه الشخصية (وزارة الترتية الوطنية، لجنة الاختيارات والتوجهات التربوية، 2001، ص 5-6)، وتستهدف إكساب منهجيات التفكير والعمل وتنظيم الذات والوقت وتدبير التكوين الذاتي (علي أيت أوشان، 2016، ص 44).

ويعرفها الباحث إجرائيا على أنها مجموعة من الأداءات المنهجية وتظهر في الممارسة المهنية ولها صلة بالقدرة والمهارة على تدبير الوضعيات المهنية وبناء وتخطيط التعلمات والوضعيات التقويمية، ومنهجية أعمال الفكر وتطويره بما يتماشى وتعميق التخصص المعرفي للمادة المدرسة.

الأستاذ(ة) المتدرب(ة): هو الطالب(ة) الأستاذ(ة) المسجل في المركز الجهوي لمهن الترتية والتكوين بعد أن حصل على شهادة الإجازة أو الإجازة المهنية وما فوقها ونجح في الاختبارات الكتابية والشفوية لتوظيف

أطر هيئة التدريس، والتحق بمساق التدريب الميداني والتكوين النظري اللذان تشرف عليهما المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين.

الكفايات المهنية: الكفاية المهنية هي المعارف موصولة بالفعل والتفكير والمقدرة على الاستخدام الوجيه المتفكر في مختلف القدرات والمعلومات والموارد الشخصية والاجتماعية في وضعية من الوضعيات (وزارة التربية، الإدارة العامة للبرامج والتكوين المستمر. (أكتوبر 2017). ص 02). وتتأسس كفايات المدرس/ة على القدرة على التعامل النسقي واليقظ مع المعطيات الوضعياتية للمدرسة بمداولها العام، وذلك من خلال تحليل رموز المدخلات والعمليات والمخرجات، ويتمثل ذلك في الوعي بالإمكانات الذاتية الكامنة والقدرة على التعامل مع مؤشرات الاستعداد من أجل تميمتها في سبيل اكتساب مهارات متفاعلة مع طبيعة الوضعيات التي يجدها المدرس/ة أمامه كل صباح وهو أمام مجموعة من المتعلمين/ات (عبد الرحيم الضاقية، 2021، ص 13)، وهي أيضا مجموعة من المعارف والمهارات والاتجاهات التي يجب أن يمتلكها المتدرب لأداء عمله بمستوى معين من الإتقان، ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها المتدرب على الأداة المستخدمة لكفايات التدريب اللازمة (سنة بنت عبد العزيز الطوق. (2018). ص 28).

ويعرفها الباحث إجرائيا على أنها مجموعة من القدرات والمهارات التي يكتسبها الطالب(ة) المتدرب(ة) وتحقق نماء الوظيفي المهني وهي متعددة الجوانب والأوجه؛ القدرة على التخطيط، القدرة المعرفية التخصصية، القدرة المنهجية، مهارة التواصل، مهارة إدارة الفصل، مهارة التقويم والقياس...

2. رصد خصائص ومراكز التداريب الميدانية في تكوين الأساتذة(ات) المتدربين(ات)؛

ينظر إلى التدريب الميداني على أنه التطبيق العملي للمعلومات والأطر النظرية التي درسها الطالب(ة)... ويتوقع بعد إتمام عملية التدريب الميداني أن يمتلك المتدرب مهارات الإرشاد الفردي والجمعي والوقائي، وتطبيق مهارات المقابلة على اختلاف أنواعها في مجالات مختلفة (محمد نزيه حمدي، يحي مبارك خطاطبة، 2014، ص 220).

يتم التكوين الميداني في شكل مجموعات بمؤسسات تعليمية داخل مجال الأكاديميات الجهوية للتربية والتكوين، ويعمل المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين على تنظيمها وتأطيرها وتتبعها بتنسيق مع هذه الأكاديميات والمديريات الإقليمية التابعة لها، وتنظم الأنشطة الميدانية بمعدل ست ساعات (06) أسبوعيا بالمؤسسات التعليمية على مدى عشرين (20) أسبوعا تكوينيا، يتم تنظيمها وفق جدولة زمنية محددة وبرامج تكوينية محكمة، وفي احترام للنظام الداخلي لهذه المؤسسات (وزارة التربية الوطنية والتعلم الأولي والرياضة، دليل التداريب الميدانية، 2024-2025، ص 2).

كما يقوم الطلبة/ات المتدربين/ات خلال التكوين الميداني بتطوير كفاياتهم المهنية بشكل تدريجي، انطلاقاً من اكتشاف بنى الاستقبال إلى التحمل الجزئي وصولاً إلى التحمل الكلي لمسؤولية القسم، ويتطلب هذا الأمر منهم جهداً كبيراً فيما يتعلق بالاحتكاك بالممارسة المهنية والتكيف مع ظروف الاندماج داخل المحيط المدرسي، ويتم تأطير هذه العمليات بمصاحبة عدد من الفاعلين في مجال التكوين (المكونون، المفتشون، الأساتذة المستقبليون، رؤساء المؤسسات التعليمية) (وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة، دليل التدريب الميدانية، 2024-2025، ص 1).

ومن هذا كله، نخلص إلى أن التدريب الميدانية تركز على الخاصيات الآتية:

- تطبيقي عملي خلال فترات زمنية محددة لمرتكزات نظرية سابقة؛
- تحمل جزئي يفضي إلى تحمل كلي للمسؤولية والتفاعل مع وضعيات حقيقية في الميدان؛
- يتدخل فيه عدد من الفاعلين التربويين وبنات الاستقبال وبالتالي تنمية القدرة على الفعل؛
- تفضي الأنشطة الميدانية إلى بلورة عدد من الكفايات المهنية لدى المتدربين(ات).

3. أهم الكفايات المهنية التبصيرية والمنهجية التي يتعين أن يمتلكها الأستاذ(ة) المتدرب(ة)؛

في مجال التكوين المهني للممارسات التدريسية، لم تعد التطبيقات المتكررة كافية، بل يتعين التمكن من مهارات وكفايات مهنية، عوض التقليد والاشتغال على أنشطة تعليمية مهنية جاهزة ومعلبة (مولاي المصطفى البرجاوي، 2025، ص 81)،

إن النشاط المهني للمدرسين هو نتاج الممارسة المهنية الحقيقية والواعية والمعرفة المهنية الوظيفية؛ بمعنى من الكفايات الأساس عملياً إلى العناصر القائمة على الخبرة والتجربة، وفي محاولة لتجاوز الطابع التقني والخطي للديكتيك التخصصية في عمل المدرس نحو الفعل الوظيفي من خلال عدد من الكفايات كما أوردها البرجاوي مولاي المصطفى (مولاي المصطفى البرجاوي، 2025، ص 80):

- الكفايات الأكاديمية: التكوين الأساس الجامعي من خلال المعارف النظرية والمعارف المهنية؛
- الكفايات المهنية: التأهيل المهني بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين عبر النشاط المهني والاحتكاك بالميدان؛
- كفايات الديكتيك المهني: الممارسة المهنية في المؤسسات التعليمية.

إن الممارسة التبصيرية سمة من سمات الفكر العلمي والفكر الأخلاقي، ويتطلب هذا النموذج اعتبار المبتا- معرفة تشكل شرطاً لإمكانية تكوين عمل خبير في التدريس، ويعرف بيرينو Perrenoud الموقف التبصري بأنه ممارسة ردود الفعل التحليلي والنقدي على ما يدرس (الديدكتيك التخصصية) وعلى الأفعال المهنية للمدرس (الديدكتيك المهنية) (مولاي المصطفى البرجاوي، 2025، ص 84)،

وإذا كان تكوين الأستاذ(ة) واستكمال تكوينه(ا) من العناصر الأساسية التي ينبغي التركيز عليها في مجال المهنة، وباعتبار الأستاذ(ة) المتدرب(ة) اليوم هو أستاذ(ة) الغد؛ فيتعين في هذا الأخير أن يكون متشبعاً بالكفايات المهنية والمنهجية الآتية:

جدول 01: أهم جوانب الكفاية المنهجية والكفايات المهنية

الكفايات المهنية	الكفايات المنهجية
- كفاية الانخراط في مهنية المدرس؛	- كفاية التخطيط التربوي المنهجي؛
- كفاية تملك الجوانب المعرفية والاجتماعية التخصصية؛	- كفاية التوثيق التربوي ووظيفته؛
- كفاية التواصل بلغة تدريس المادة شفها وكتابة؛	- كفاية التقويم التربوي وبناء الوضعيات التقويمية؛
- كفاية التربية على المهارات الحياتية؛	- كفاية تدبير الوقت والحصص الزمني للحصص الدراسية لتحقيق الأهداف الوظيفية؛
- كفاية المشاركة والتواصل؛	- كفاية التحكم في تنظيم وإدارة الفصل الدراسي ومختلف أشكال الحوار الأفقية والعمودية؛
- كفاية التصرف بطريقة أخلاقية مسؤولة؛	- كفاية التفكير المنهجي لبناء التعلّات الصفية وهيكلتها وفق أسناد وقوالب متنوعة؛
- كفاية إرساء مشاريع وتطويرها؛	- كفاية التواصل الأفقي والعمودي داخل فضاء المؤسسة؛
- كفاية التحكم في المعارف وإدارة الصف؛	
- كفاية مواكبة المستجدات في حقل التربية والتكوين (أستاذ(ة) مجدد(ة))؛	

4. أهم شروط وأركان المصاحبة الميدانية ودورها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأستاذ(ة) المتدرب(ة)

تم تصور آلية للمصاحبة الميدانية لفائدة المتدربين/ات من الأساتذة/ات أثناء مزاولة محامهم التدريبية، قصد تعزيز الاندماج المهني للمتدربين/ات الجدد من المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، والرفع من مستوى

أدائهم داخل الأقسام الدراسية، وتطوير الممارسات الصفية، واستثمار التجديدات التربوية من قبل الأساتذات والأساتذة الممارسين، في أفق الارتقاء بدنامية التجديد التربوي بالمؤسسات التعليمية، مع إرساء فضاءات لتقاسم الخبرات، وتبادل التجارب الناجحة، بين المدرسين/ات الرسميين/ات والمتدربين/ات من الأساتذة/ات.

يعتبر لوبوترف (1993) Guy LE BOTERF أن للمصاحبة وظيفة بيداغوجية تستهدف أساسا:

- مساعدة المستفيد(ة) من المصاحبة على التعبير عن أفعاله (ا) (verbaliser ses actions) وتحديد الصعوبات التي تواجهه خلال ممارسته؛

- توجيه المستفيد(ة) من المصاحبة إلى الموارد التي من شأنها أن تساعد على تجاوز صعوباته؛

- مساعدته على إجراء تقييم ذاتي من خلال مساءلة منهجية عمله، ومدى تطوره المهني.

وتعتبر كل من لافورتين ودودلان ((L. LAFORTUNE et C. DEAUDELIN (2002) أن المصاحبة، من منظور سوسيو بنائي، ممارسة تحدث بين طرفين (المصاحب(ة) والمستفيد(ة) من المصاحبة)، في إطار سيرورة بناء مشتركة للمعارف.

وتعرف كل من لوسي أرين ولويز كبرا ((ARPIN Lucie & CAPRA Louise (2008) المصاحبة بكونها "دعما بيداغوجيا للتطور المهني المستمر للمدرسين، يركز على فعل تعلم المدرس، وعلى تطور كفاياته المهنية، ارتباطا بممارسته".

استنادا إلى ما سبق، تتمثل المصاحبة في قيام أستاذ(ة)، مشهود له(ها) بالخبرة في التدريس، وبحسن الإنصات والتواصل، بمواكبة زميلاته(ها) وزملائه(ها) من أساتذة/ات الغد المتدربين/ات، خلال الممارسة، بهدف مساعدتهم على حصر الصعوبات التي يصادفونها أثناء مزاولة مهامهم، ومراقبتهم في بلورة استراتيجيات ملائمة لتجاوزها.

ومن أهم مواصفات وشروط الأستاذ(ة) المصاحب(ة) للمتدرب(ة) أن يكون:

- الأستاذ(ة) المصاحب(ة) مدرس(ة) مشهود له(ها) بالخبرة في التدريس، وحسن الإنصات والتواصل مع الزملاء في الميدان، وروح المبادرة؛ يساعدهم، في منأى عن أية علاقة تراتبية، على تحديد طبيعة المشاكل التي يصادفونها في عملهم،

- مستعد(ة) عن طوعية، وعن رغبة ذاتية، لمساعدة زميلاته وزملائه الأساتذات والأساتذة على تجاوز الصعوبات المهنية التي تواجههم، واقتسام خبراته(ها) معهم، وقادر(ة) على التفاعل الإيجابي مع تجاربهم؛

- مستعد(ة) بدنيا ونفسيا لمزاولة مهام المصاحبة؛

• له(ها) قابلية للتغيير، وتجديد الممارسات، ومواكبة المستجدات التربوية والتكنولوجية، والعمل في إطار شبكات للممارسات المهنية بين المصاحبين(ات) والمستفيدين(ات)، وفي إطار مقارنة تشاركية على إيصال هذا التغيير إلى الآخرين؛

• ملم(ة) بمنهجية البحث والتخطيط والتدبير.

ثالثا- الشق الميداني التطبيقي للدراسة

من خلال هذا المحور سنحاول الإجابة على السؤال المحوري الآتي:

• ما واقع حال المصاحبة الميدانية وإسهامها في إنماء الكفاية المنهجية لدى الأساتذة(ات) المتدربين(ات) لمادة الاجتماعيات بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة مراكش أسفي- الفرع الإقليمي أسفي؟

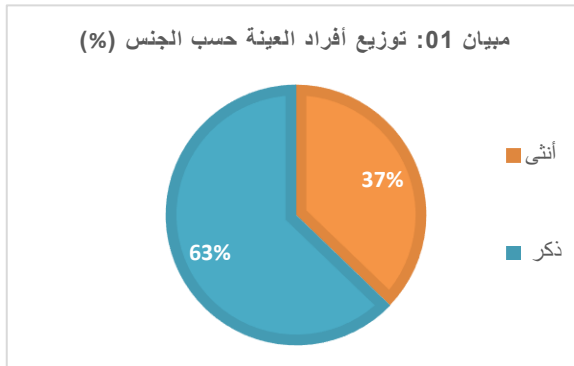
للإجابة على هذا، تم اعتماد الاستمارة الميدانية الإليكترونية، التي تم إرسالها عبر تقنية الواتساب إلى الطلبة/ات المتدربين/ات بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين- الفرع الإقليمي لأسفي، تخصص مادة الاجتماعيات (تاريخ وجغرافيا) وذلك بمساعدة من أستاذ مكون ورئيس شعبة الاجتماعيات بذات المركز، وقد تم إرسالها يوم الأربعاء 07 ماي 2025 على الساعة العاشرة صباحا، واستمر تلقي ردود وأجوبة أفراد العينة على مدى أربعة أيام؛ حيث تم إيقاف تلقي الردود ذات الصلة بها يوم السبت 10 ماي 2025 على الساعة الواحدة زوالا.

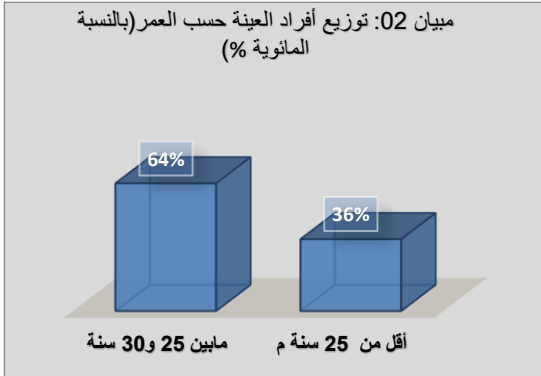
بلغ مجموع الردود (تعبئة الاستمارة) 90 ردا، أي أنه قام بتعبئة الاستمارة 90 أستاذ(ة) متدرب/ة من أصل 115 أستاذ(ة) متدرب(ة) بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الفرع الإقليمي لأسفي، أي ما يمثل 78% من أفراد المجتمع الإحصائي المعني، وهي عينة مقبولة حيث تجاوزت أكثر من نصف المجتمع الإحصائي.

وعليه، يمكن تحليل وتبين أجوبة عناصر العينة على النحو التالي:

1. توزيع أفراد العينة حسب الجنس والعمر والشواهد الجامعية:

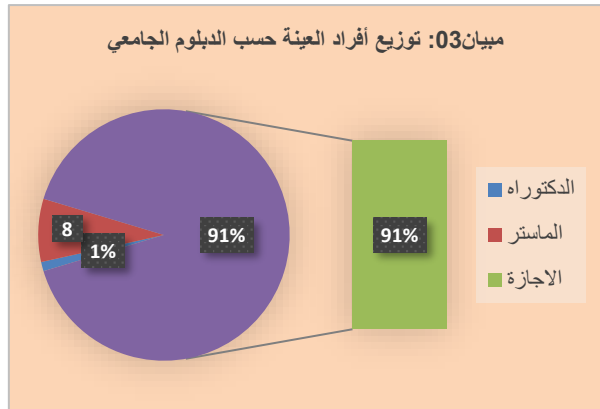
توزيع أفراد العينة حسب الجنس: عينة الدراسة مهيمن عليها الذكور بنسبة 63% مقابل 37% لفئة الإناث.



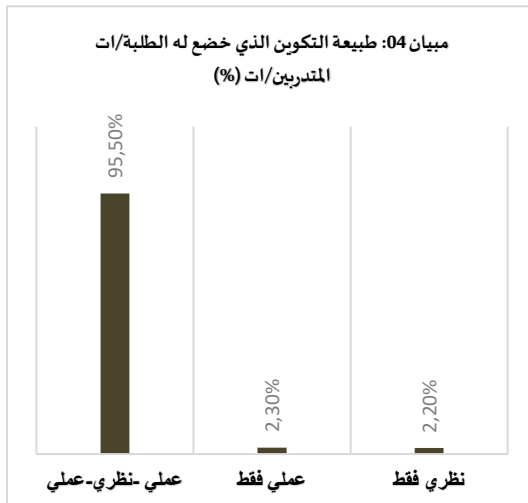


توزيع أفراد العينة حسب العمر: متوسط عمر أفراد العينة يندرج ضمن فئة 25 و 30 سنة بما نسبته 64% مقابل 36% لفئة أقل من 25

من خلال معطيات المبيان، يلاحظ أن معظم أفراد العينة حاصلين على شهادة الإجازة الجامعية فقط بما نسبته 91% منهم/ن، مقابل 8% لشهادة الماستر أو الماستر المتخصص، و1% لشهادة الدكتوراه.

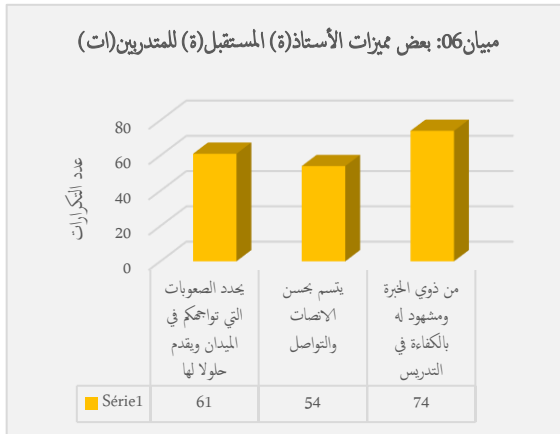
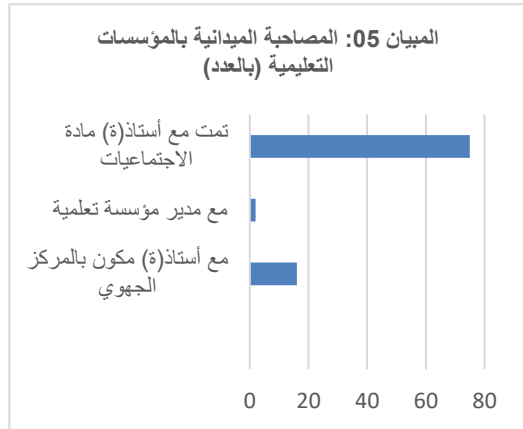


2. الأستاذ(ة) المستقبل/ة والتدريبات الميدانية من وجهة نظر المتدربين(ات).



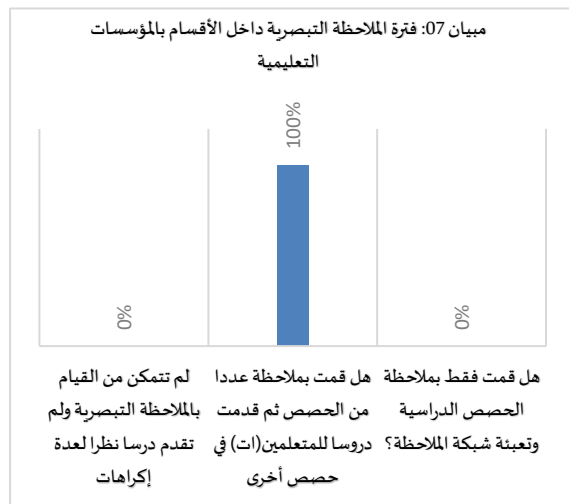
من خلال المبيان 04، وحسب طبيعة التكوين الذي خضع له الأستاذ(ة) المتدرب(ة)، يتبين بأنه تقريبا جل أفراد العينة خضعوا/ن لتكوين وفق باراديعم عملي-نظري-عملي أي ما بما نسبته تقريبا 95.5% من أفراد العينة.

من خلال تحليل معطيات المبيان 05 يتبين أن 75 طالب(ة) متدرب(ة) من أفراد العينة أنجزوا التدريبات الميدانية تحت إشراف أستاذ(ة) مادة الاجتماعيات، بينما 16 منهم/ن أكدوا أن التدريبات الميدانية أجريت تحت إشراف أستاذ(ة) مكون/ة بالمركز الجهوي، بما 02 منهم/ن أكدوا أنها تمت مع مدير مؤسسة تعليمية.



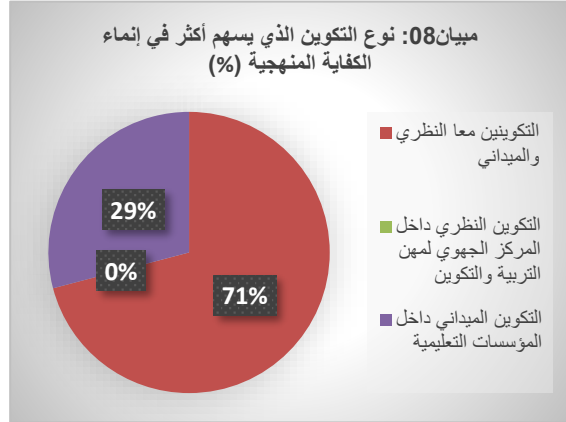
من خلال المبيان 06، يتبين أن الأستاذ(ة) المستقبل(ة) للمتدربين(ات) من ذوي الخبرة حسب تصريح 74 فرد من أفراد العينة، ويحدد صعوبات المتدربين ويقدم حلولاً لها حسب رأي 61 فرد من أفراد العينة، ويتسم بحسن الإنصات حسب رأي 54 فرد من أفراد العينة.

من خلال المبيان 07: يتبين أن كل أفراد العينة (100%) قاموا بملاحظة تبصيرية لحصص دراسية وقدموا دروساً في الفصل الدراسي للمتعلمين(ات) في حصص دراسية أخرى.

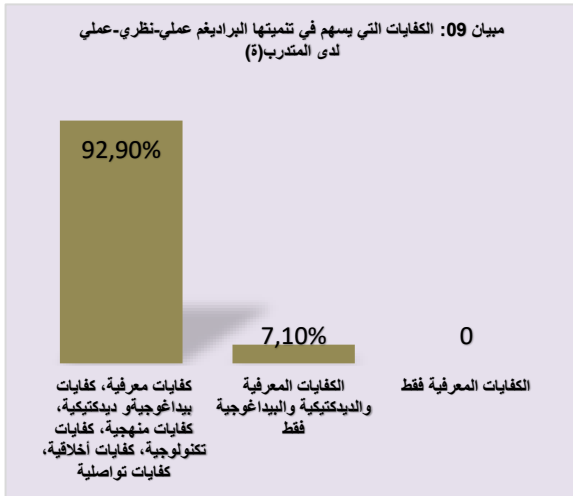


3. في حاجة المتدرب/ة لإثراء الكفايات المنهجية والمهنية خلال فترة التدريب

من خلال المبيان 08: يتبين أن 71 % من أفراد العينة صرحوا بأن التكوينين النظري والميداني يساهمان في إثراء الكفاية المنهجية لديهم/ن في حين يرى 29 % من أفراد العينة أن التكوين الميداني بالمؤسسات التعليمية هو الذي يساهم وحده في إثراء الكفاية المنهجية لديهم/ن.

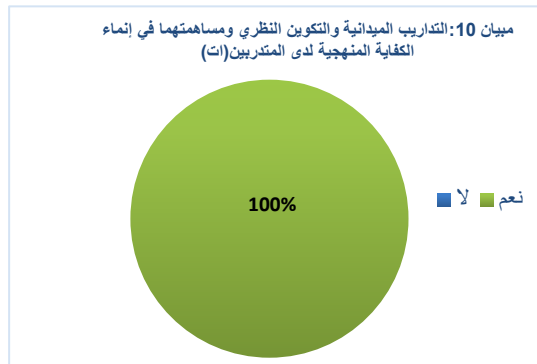


مبيان 09: الكفايات التي يساهم في ترميتها البراديعم عملي-نظري-عملي لدى المتدرب(ة)

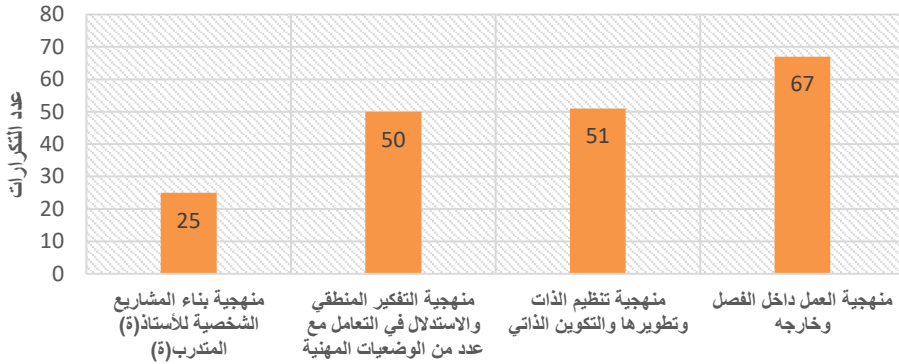


من خلال المبيان 09: يتبين أن 92,92 % من أفراد العينة صرحوا بأن البراديعم عملي-نظري-عملي يساهم في إثراء كفايات معرفية، بيداغوجية، تواصلية، منهجية، ديدكتيكية، أخلاقية وتكنولوجية لدى المتدربين(ات)، في حين يرى 7.1 % من أفراد العينة أن هذا البراديعم يساهم فقط في إثراء الكفايات المعرفية والبيداغوجية والديداكتيكية لديهم/ن.

يتبين من خلال المبيان 10 أن 100 % من أفراد العينة صرحوا بأن التدريب الميدانية تساهم في إثراء الكفاية المنهجية لدى المتدربين(ات)، وبالتالي استحسانها من قبلهم/ن في تطوير قدراتهم/ن وخبراتهم ذات الصلة بهذه الكفاية.

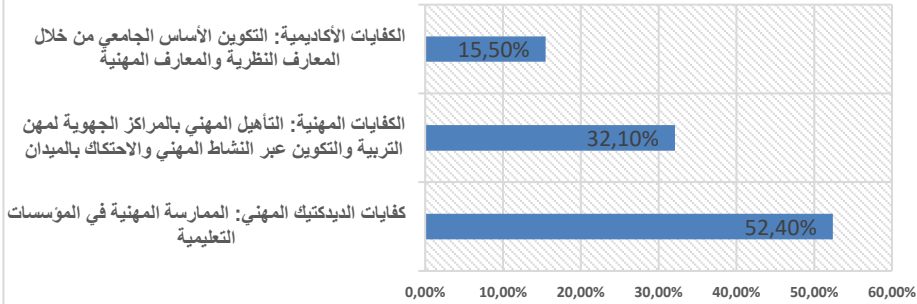


مبيان 11: مدى تمكين التدرييب الميدانية من إنماء الكفاية المنهجية لدى المتدربين(ات)

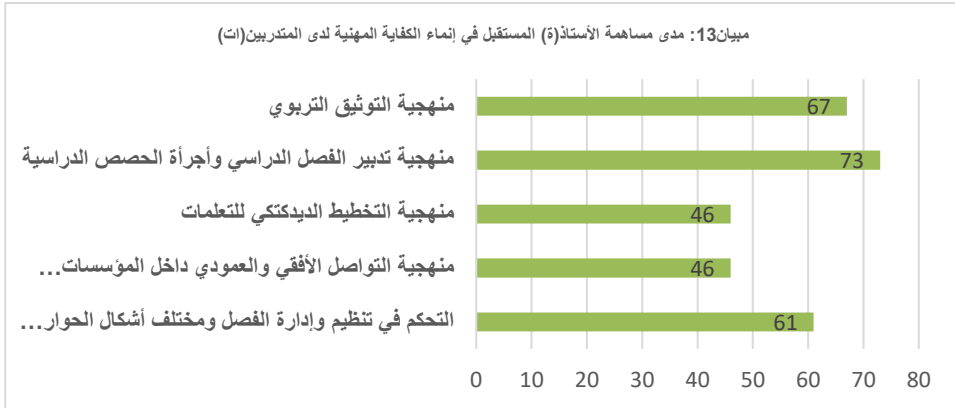


يتبن من معطيات المبيان 11، أن التدرييب الميدانية تسهم في تنمية عدة جوانب ذات الصلة بالكفاية المنهجية لدى المتدربين(ات)، في مقدمتها منهجية العمل داخل الفصل وخارجه (67 تكرار)، ثم منهجية تنظيم الذات وتطويرها (51 تكرار)، ومنهجية التفكير المنطقي والاستدلال في التعامل مع عدد من الوضعيات المهنية (50 تكرار)، وأخيرا منهجية بناء المشاريع الشخصية للأستاذ(ة) المتدرب(ة) (25 تكرار).

مبيان 12: الكفايات التي يرى المتدرب(ة) أنه في أمس الحاجة إلى تطويرها



حسب معطيات المبيان 12، نلاحظ بأن أكثر من نصف أفراد العينة (52,40%) يرون أنهم/ن في أمس الحاجة إلى تطوير كفايات الديكتيك المهني ذات الصلة بالممارسات المهنية في المؤسسات التعليمية أي الديكتيك التخصصي والممارسة الفضلية، في حين يرى ما نسبته (32,10%) منهم/ن أنهم في أمس الحاجة إلى تطوير الكفايات المهنية عبر التأهيل بالمراكز الجهوية، أما ما نسبته (15,50%) منهم/ن فيرون أنهم في أمس الحاجة لتطوير كفاياتهم الأكاديمية من خلال المعارف النظرية والمعارف المهنية.



يتبن من معطيات المبيان 13، أن الأستاذ(ة) المستقبل(ة) يسهم في تنمية عدة جوانب ذات الصلة بالكفاية المهنية لدى المتدربين(ات)، في مقدمتها منهجية تدبير الفصل الدراسي (73 تكرار)، ثم منهجية التوثيق التربوي (67 تكرار)، والتحكم في إدارة وتنظيم الفصل (61 تكرار)، وأخيراً منهجية التخطيط الديدكتيكي ومنهجية التواصل الأفقي والعمودي داخل المؤسسات التعليمية (46 تكرار لكل واحدة منهما).

4. بعض المشاكل والصعوبات ذات الصلة بأجراًة التدريب الميداني:

الجدول 02: بعض مقترحات المتدربين(ات) بشأن الصعوبات التي تواجههم في التدريب الميداني

أهم الصعوبات	التكرارات	النسبة المئوية
صعوبات تدبير زمن الحصص الدراسية؛	36	36,73%
مشكل ضبط الفصل الدراسي وشغب المتعلمين(ات) بسبب غياب الحافزية لدى البعض؛	27	27,55%
مشكل تخطيط التعليمات وبنائها ديدكتيكياً؛	21	21,42%
مشكل بعد مؤسسة التدريب الميداني؛	07	07,14%
مشاكل مع الأستاذ(ة) المستقبل؛	04	04,08%
مشاكل ذات صلة بتزامن بعض حصص التدريب مع حصص التكوين النظري بالمركز؛	03	03,06%
مجموع تكرارات الردود	98	100%

يتبين من خلال الجدول 02، فقد جاءت أجوبة أفراد العينة على السؤال المفتوح، ما قبل الأخير المفتوح في الاستمارة بعد جمع تكراراته، وذو الصلة بمشاكلهم/ن وصعوباتهم في التدريب الميداني، فالمتدربين(ات) تواجههم/ن عدة مشاكل في التدريبات الميدانية وفي مقدمتها صعوبات تدبير زمن الحصص الدراسية الذي صرح

به 36,73%؛ يليه مشكل ضبط الفصل الدراسي وشغب المتعلمين(ات) بسبب غياب الحافزية لدى البعض الذي صرح به 27,55% من أفراد العينة؛ ثم مشكل تخطيط التعليمات وبناءها ديدكتيكيا الذي صرح به 21,42% من أفراد العينة؛

1- على مستوى بعض الحلول المقترحة من طرف المتدربين(ات) لتجويد وإنماء الكفاية المهنية لديهم/ن:

الجدول 03: مقترحات المتدربين(ات) لإنماء الكفاية المهنية

النسبة المئوية	التكرارات	المقترحات
51,09%	47	الرفع من الحصيصة الزمنية للتدريب الميدانية؛
16,30%	15	المزيد من الربط بين التكوين النظري بالمركز والتكوين في الميدان؛
13,04%	12	تنظيم جلسات تحليل الممارسات في إطار ورشات تشاركية تقاسمية بين المتدربين(ات)؛
09,78%	09	تقليص عدد الطلبة/ات المتدربين/ات ضمن مجموعات التدريب بالمؤسسات التعليمية؛
09,78%	09	مضاعفة عدد حصص تقديم الدروس داخل الأقسام مع الأستاذ(ة) المستقبل؛
100%	92	مجموع تكرارات الردود

من خلال الجدول 03، فإن السؤال الأخير المفتوح في الاستمارة بعد جمع تكراراته الذي وجه للمتدربين(ات) بشأن اقتراح حلول لتطوير الكفاية المهنية لديهم/ن، فإن نصف (51,09%) أفراد العينة أكدوا/ن على ضرورة الرفع من الحصيصة الزمنية للتدريب الميدانية؛ بينما تقترح ما نسبته 16,30% من أفراد العينة المزيد من الربط بين التكوين النظري بالمركز والتكوين في الميدان؛ و 13,04% منهم/ن اقترحوا/ن تنظيم جلسات تحليل الممارسات في إطار ورشات تشاركية تقاسمية بين المتدربين(ات)؛ في حين ترى ما نسبته 09,78% من أفراد العينة تقليص عدد الطلبة/ات المتدربين/ات ضمن مجموعات التدريب بالمؤسسات التعليمية؛

خلاصات واستنتاجات:

من خلال معطيات الفرش النظري والعمل الميداني للدراسة، نخلص إلى ما يلي:

- التدريب الميدانية تشكل حلقة أساس في تكوين الطلبة/ات المتدربين/ات وصقل مهاراتهم/ن المهنية؛
- الكفاية المهنية من أهم الكفايات الأساس في عمل الأستاذ(ة) المتدرب(ة) لارتباطها بالتخطيط الديدكتيكي وتدبير الفصل الدراسي وتدبير وبناء التعليمات وكذا بالتوثيق التربوي ووظيفيته في عمل الأستاذ(ة) المتدرب(ة)؛

- عينة الدراسة الميدانية يغلب عليها فئة الذكور على فئة الإناث، ويغلب عليها من حصل على شهادة الإجازة فقط على من حصل على الماستر أو الدكتوراه؛
- تتباين آراء المستجوبين بشأن مساهمة التدريبات الميدانية في إتمام الكفايات المهنية والمنهجية لديهم/ن؛
- تتباين آراء المستجوبين بشأن الجوانب ذات الصلة بالكفاية المنهجية التي أسهمت كل من التدريبات الميدانية-النظرية والأستاذ(ة) المستقبل في إتمامها لديهم/ن.
- المتدربين(ات) في أمس الحاجة إلى تنمية كفايات متنوعة بدرجات متفاوتة؛ خاصة كفايات الديدكتيك المهني ذات الصلة بالممارسات المهنية في المؤسسات التعليمية أي الديدكتيك التخصصي والممارسة الفصلية، الكفايات المهنية عبر التأهيل بالمراكز الجهوية، ثم الكفايات الأكاديمية من خلال المعارف النظرية والمعارف المهنية.
- تطلب منا العمل البنائي تهيئ فرش نظري حول التدريبات الميدانية والكفايات المهنية والمنهجية، عبر تحليل خطاب عدد من الوثائق والأدبيات النظرية، خلصنا من خلاله إلى تأكيد الفرضية الأولى للدراسة والتي مفادها: تقوم التدريبات الميدانية للمتدربين(ات) على عدد من المراكز تهدف بالأساس إلى بلورة القدرات والوسائل البيداغوجية والمعرفية والمنهجية المكتسبة لديهم/ن خلال فترة التكوين النظري.
- وضعنا فرشا ميدانيا تطبيقيا توقفنا من خلاله على تشخيص واقع التدريبات الميدانية لدى عينة مكونة من 90 طالب/ة أستاذ/ة متدرب/ة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بأسفي، وعرض مدى مساهمتها في إتمام الكفاية المنهجية لدى المتدربين(ات)، وخلصنا من خلاله إلى تزكية الفرضية الثانية لموضوع الدراسة والتي مفادها: توجد فروق وتباينات في مستويات تملك أساتذة/ات مادة الاجتماعيات المتدربين(ات) للكفاية المنهجية ومستويات تميزها من لديهم/ن في التدريبات الميدانية بالمؤسسات التعليمية تخطيطا وتديرا، وينعكس ذلك على واقع تنمية باقي الكفايات المهنية لديهم/ن.

توصيات الدراسة:

- من خلال معطيات الإطارين النظري والميداني للدراسة نوصي بما يلي:
- تدقيق مكونات الكفايات المهنية والكفايات المنهجية على وجه الخصوص ضمن الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية ببلادنا من خلال وضع مصفوفة إجرائية تشكل إطارا مرجعيا لكل كفاية عبر تحديد: نوع الكفاية، مكونات الكفاية، مؤشرات الكفاية، المحكات، تقويم التحقق.

- عقد لقاءات دورية بين الأساتذة/ات المكونين/ات بالمراكز الجهوية والأساتذة/ات المستقبليين/ات بالمؤسسات التعليمية للوقوف على خصائص الطلبة/ات المتدربين/ات في الميدان والاشكالات التي يتعين الاشتغال عليها؛
- أهمية الانفتاح على بعض التجارب الدولية في إطار شراكة مع مؤسسات جامعية دولية أو التعاون مع بعض المسالك الدولية لتنمية صقل الكفايات المهنية للمتدربين(ات) وجعل التدريب الميدانية مزدوجة الإسهاد؛
- استحضار بعد المهنة في مختلف التكوينات التي تسهم في تكوين أستاذ(ة) الغد بالمؤسسات ذات الصلة (المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، المؤسسات الجامعية، المدارس العليا للتربية والتكوين، المدارس العليا للأساتذة...) وخلق تكامل بين تكوينات هذه المؤسسات التربوية والعلمية في ظل تعدد المتدخلين المؤسساتيين؛
- جعل التدريب الميداني للمتدربين/ات يستحضر الاشتغال على مشاريع تربوية شخصية للمتدربين/ات ومواكبتها وتقييمها؛

خاتمة:

إن الممارسة المهنية تتبلور من خلال التلاحم والتفاعل بين المعرفة والفهم النظري للمعلومات والتطبيق الحقيقي لها في الواقع لحظة التدريب الميداني، لذلك فإن عملية نقلها للمتدربين (ات) من الطلبة الأساتذة/ات يتطلب عملية مستمرة من الإشراف على تدريبهم/ن في المؤسسات وذلك لإكسابهم القدرة على تطبيق المعارف والمبادئ والقيم المهنية التي تم استيعابها في الدراسة الأكاديمية في المواقف المختلفة داخل المؤسسات التعليمية، لاكتساب المهارات المهنية المنهجية بطريقة علمية وعملية منظمة من خلال آلية المصاحبة الميدانية للمتدربين/ات؛ حيث يشكل إدكاء مدخل الكفاية المنهجية لدى المتدربين/ات حجر الزاوية في التكوين العملي لهم/ن ومحاكاة حقيقيا في التعامل مع مختلف الوضعيات المهنية المستجدة.

وعليه، تعد المصاحبة الميدانية والتكوين عبر الممارسة مكونا من مكونات عملية المهنة لأطر هيئة التدريس، أحد مشاريع الرؤية الاستراتيجية لإصلاح المدرسة المغربية 2015-2030، الذي يتوخى الارتقاء بالتكوين الأساس والتكوين المستمر، ويسعى إلى الرقي بالعلاقات البينية بين المدرسين/ات المستقبليين/ات والمتدربين/ات من الأساتذة/ات، وجعلها تنفتح على آفاق من التعاون والعمل المشترك، لتجاوز المشاكل التي تعترضهم خلال إنجاز مهامهم/ن. وتسعى هذه آلية إلى تثمين الممارسات الجيدة، وخلق جو من تبادل الخبرات، وزرع الروح الإيجابية في أوساط المدرسات والمدرسين، ليتعاونوا على التنافس في إدخال التجديد التربوي إلى الأقسام الدراسية، وجعل الإصلاح والتغيير حقيقة ملموسة، وليس مجرد كلام نظري، عبر صقل مختلف الكفايات المهنية والمنهجية لديهم/ن.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- التوفيق التضمين. (2007). في تدريس وتعلم الكفايات. دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرباط-المغرب.
- سعيد جاسم الأسدي وآخرون. (2016). التنمية المهنية القائمة على الكفاءات والكفايات التعليمية (المعلم-المدير-المشرف). الدار المنهجية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن.
- سناء بنت عبد العزيز الطوق. (2018). الكفايات المهنية اللازمة للتدريب لدى المدرسين في معهد الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية، بحث ميداني. مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- الصديق الصادي العاري. (2015). التربية والتنمية وتحديات المستقبل. دار أفريقيا الشرق، المغرب.
- عبد الرحيم الضافية. (2021). كفايات المدرس/ة المهنية مقاربات تطويرية لمهنة التدريس. مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، الطبعة الأولى، المغرب.
- علي أيت أوشان. (2016). بيداغوجيا الكفايات وتدرسية اللغة. دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، حسان-الرباط.
- ليلي عبد الحليم قشيطات. (2014). الكفايات المهنية في المؤسسات التربوية. مركز الكتاب الأكاديمي، الطبعة الأولى، عمان-الأردن.
- محمد نزيه حمدي، يحيى مبارك خطاطبة. (2014). أثر التدريب الميداني في تحسين الكفاءة الذاتية والمهارات الإرشادية لدى طلبة الإرشاد النفسي في جامعتي اليرموك والأردنية. مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث في التعليم العالي، المجلد 33، العدد (4)، الأردن، الصفحات 217-234.
- مولاي المصطفى البرجاوي. (2025). علوم التربية وديكتيك العلوم الاجتماعية، التعليم والمهنة بين القيم والرقمنة. دار أفريقيا الشرق، المغرب.
- وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة. (2024-2025). دليل التدريبات الميدانية سلك تأهيل أطر التدريس. مديرية التكوين وتنمية الكفاءات. حسان-الرباط.
- وزارة التربية الوطنية، لجنة الاختيارات والتوجهات التربوية، 2001، الوثيقة الإطار لمراجعة المناهج التربوية وبرامج تكوين الأطر، المغرب.
- وزارة التربية، الإدارة العامة للبرامج والتكوين المستمر. (أكتوبر 2017). الإطار المرجعي التونسي لكفايات المدرسين، المركز الدولي للدراسات البيداغوجية، تونس.

المراجع باللغة الأجنبية:

- ARPIN, L., et CAPRA, L. (2008), Accompagner l'enseignant dans son parcours professionnel. Montréal : Chenelière Education.
- LAFORTUNE, L et DEAUDELIN, C. (2002), Accompagnement socioconstructiviste : Pour s'approprier une réforme en éducation, Sainte-Foy, Presses de l'Université du Québec, collection Éducation Intervention.
- LE BOTERF, G. (1993), L'ingénierie et l'évaluation de la formation, Paris, Les éditions d'organisation.
- Leko, Melinda M.; Brownell, Mary T.; Sindelar, Paul T.; et al. 2012. Promoting Special Education Preservice Teacher Expertise. Focus on Exceptional Children, Vol. 44 Issue 7, p1-16, 16p.

التغيرات المناخية وأثرها على المنظومة الواحية؛ بين ندرة الموارد المائية وتزايد التحديات البيئية واحاحات درعة الوسطى نموذجا

د. أبوبكر صابري

أستاذ التعليم العالي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس، الرباط

المغرب

يوسف بغدادى

طالب باحث بسلك الدكتوراه

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس، الرباط

المغرب

الملخص

تصنف واحاحات درعة ضمن النظم البيئية الهشة التي تتأثر بحدة بالتغيرات المناخية، لا سيما من حيث التفاوت الكبير في كميات التساقطات المطرية على المستويين الفصلي والسنوي. ونظرا لمحدودية مساهمة هذه التساقطات في توفير الموارد المائية السطحية، خصوصا في منطقة درعة الوسطى، باستثناء بعض الفترات الاستثنائية التي تشهد زخات مطرية شديدة ومركزة زمائيا ومكانيا، والتي غالبا ما تسفر عن فيضانات سيلية، فإن تلبية الحاجيات المائية للمنطقة يتم بالاعتماد على واردات مائية قادمة من درعة العليا، التي تستفيد من تساقطات مطرية وثلجية أكثر انتظاما وغزارة. في المقابل، تشهد المنطقة ارتفاعا ملحوظا في درجات الحرارة، تتميز معدلاتها بتفاوتات شهرية وفصلية كبيرة، مما يؤدي إلى مجز دائم في الحصيلة الهيدرولوجية، ويكرس حالة من الجفاف البيئي المزمن. وقد دفع هذا الواقع المناخي والبيئي الساكنة المحلية، منذ مراحل استقرارها الأولى واستغلالها للمجال، إلى ابتكار مجموعة من الأدوات والتقنيات التقليدية التي مكنتها من التكيف مع خصوصيات هذا الوسط البيئي الهش والتعامل مع محدودية موارده .

في ظل هذه الدينامية المناخية المتقلبة، أصبحت المجالات الواحية تشهد تكرارا متزايدا للظواهر المناخية القصوى، التي تجسد السيات الصحراوية للمناخ المحلي، والمتمثلة في الجفاف المستمر من جهة، والفيضانات المفاجئة والعنيفة من جهة أخرى. وتسجل تزايد ملحوظ في حدة هذه الظواهر خلال السنوات الأخيرة، نتيجة التأثيرات المباشرة للتغيرات المناخية العالمية، التي أدت إلى تفاقم اختلال التوازنات الإيكولوجية والهيدرولوجية بهذه المجالات الهشة. وقد انعكس ذلك بشكل واضح على المنظومات الواحية، التي أصبحت أكثر عرضة للتدهور بفعل تعاضل التغيرات المناخية، وتراجع قدرة النظم البيئية والزراعية على التكيف.

الكلمات المفتاحية:

التغيرات المناخية -المنظومة الواحية -واحاحات درعة الوسطى -ندرة الموارد المائية -التحديات البيئية.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بغدادى، يوسف. صابري، إشراف أبوبكر. (2025، يوليو). التغيرات المناخية وأثرها على المنظومة الواحية: بين ندرة الموارد المائية وتزايد التحديات البيئية، واحاحات درعة الوسطى نموذجا. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 7، المجلد 2، السنة 2، ص 154-167.

مقدمة

يعد موضوع الماء من القضايا الحساسة التي تثير اهتمام شعوب العالم وتستقطب الباحثين والمختصين نظراً لأهميته البالغة في حياة الإنسان، خاصة في الواحات والمناطق الجافة وشبه الجافة. فالماء يمثل أساساً للاستقرار البشري وتنظيم المجال بشكل عام، وله دور كبير في تشكيل المجتمع إلى درجة أصبح فيها أحد العناصر الرئيسية في بناء المجتمعات. كما يعتبر محورياً في التنمية المستدامة التي تهدف إلى تحقيق استقرار الإنسان وتوازنه. لذلك، ليس من المستغرب أن يحظى هذا المورد الحيوي بمثل هذه الأهمية الكبيرة.

في ظل التغيرات المناخية التي يشهدها العالم، وخاصة المغرب، أصبحت الموارد المائية في واحات درعة الوسطى أكثر تأثراً بالتداعيات السلبية لهذه التحولات. فقد باتت بعض الظواهر الطبيعية، مثل الفيضانات والجفاف، أكثر شيوعاً، وإن كانت موجودة سابقاً، إلا أن حدتها ازدادت بوتيرة متسارعة. ونظراً لأهمية الماء، بوصفه مورداً لا يمكن تعويضه في العديد من وظائفه واستعمالاته الحيوية، يتحكم الماء في أغلب التحولات الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية في هذه المناطق. فقد ارتبطت غالبية أنشطة السكان بالقطاع الفلاحي، الذي يعتمد بشكل أساسي على الموارد المائية لضمان استمراره.

بناءً على هذه المعطيات، شهدت الساحة العلمية العالمية تنظيم العديد من اللقاءات الوطنية والإقليمية والدولية، بهدف معالجة مسألة الحفاظ على هذه الثروة الطبيعية وحمايتها من الاستغلال غير العقلاني الذي تعاني منه في العقود الأخيرة. كما تم البحث عن حلول للتخفيف من آثار التغيرات المناخية على الموارد المائية في واحات درعة الوسطى.

الإشكالية

إن التغيرات المناخية التي يشهدها العالم، وخاصة المغرب، تؤثر بشكل كبير على المناطق الواحية نظراً لموقعها الجغرافي في المناطق الجافة وشبه الجافة، التي تتميز بندرة الموارد المائية. واحات درعة الوسطى تقع ضمن هذا النطاق المناخي المتقلب، والذي أدى إلى تسارع بعض الظواهر الطبيعية المتطرفة، مما أخل بالتوازنات الطبيعية في هذه المناطق الهشة. كما ساهمت التدخلات البشرية غير العقلانية، المترامنة مع عملية العصرية، في الإخلال بالتقاليد الموروثة التي كانت تحافظ، إلى حد ما، على الموارد الطبيعية، وخاصة المائية. يتجلى هذا في نزوب بعض الينابيع وتزايد عمق الطبقات الجوفية للمياه.

تعاني المنطقة من تفاوت مطري كبير على المستويات الفصلية والسنوية، مما لا يساهم في توفير المياه بشكل كبير، باستثناء بعض الحالات الخاصة مثل الأمطار الغزيرة والمركزة زمانياً ومكانياً، والتي تؤدي إلى فيضانات. إلى جانب ذلك، ترتفع درجات الحرارة بشكل ملحوظ، مع اختلافات شهرية وفصلية تؤدي إلى

زيادة معدلات التبخر والنتح، مما يزيد من عجز الموارد المائية طوال العام. كل هذه العوامل تؤدي إلى نتائج سلبية على واحات درعة الوسطى، حيث يتفاقم الطلب على المياه الصالحة للشرب نتيجة للنمو السكاني المتزايد. وهذا سيؤدي إلى ظهور بؤر توتر اجتماعي خلال السنوات القادمة، بالإضافة إلى تراجع الإنتاج الزراعي في هذه الواحات.

المنهجية

تم اعتماد المنهج الجغرافي كإطار تحليلي رئيس، يركز على مقارنة مزدوجة تجمع بين البعدين الكمي والكمي، وذلك من خلال توظيف أدوات تحليل كمية لرصد التغيرات المناخية، إلى جانب مقارنة نوعية تهدف إلى فهم السياق البيئي والاجتماعي المرتبط بهذه التحولات. وقد تم دعم هذه المنهجية بدراسة ميدانية ارتكزت على رصد وتحليل المعطيات المناخية والبيئية، مع التركيز على بيانات درجات الحرارة والتساقطات المطرية المسجلة بمحطة أسير (زاكورة) خلال الفترة المرجعية الممتدة من 1989 إلى 2023، فضلا عن الاستئناس ببعض الدراسات المناخية الحديثة التي تناولت حوض درعة بصفة عامة.

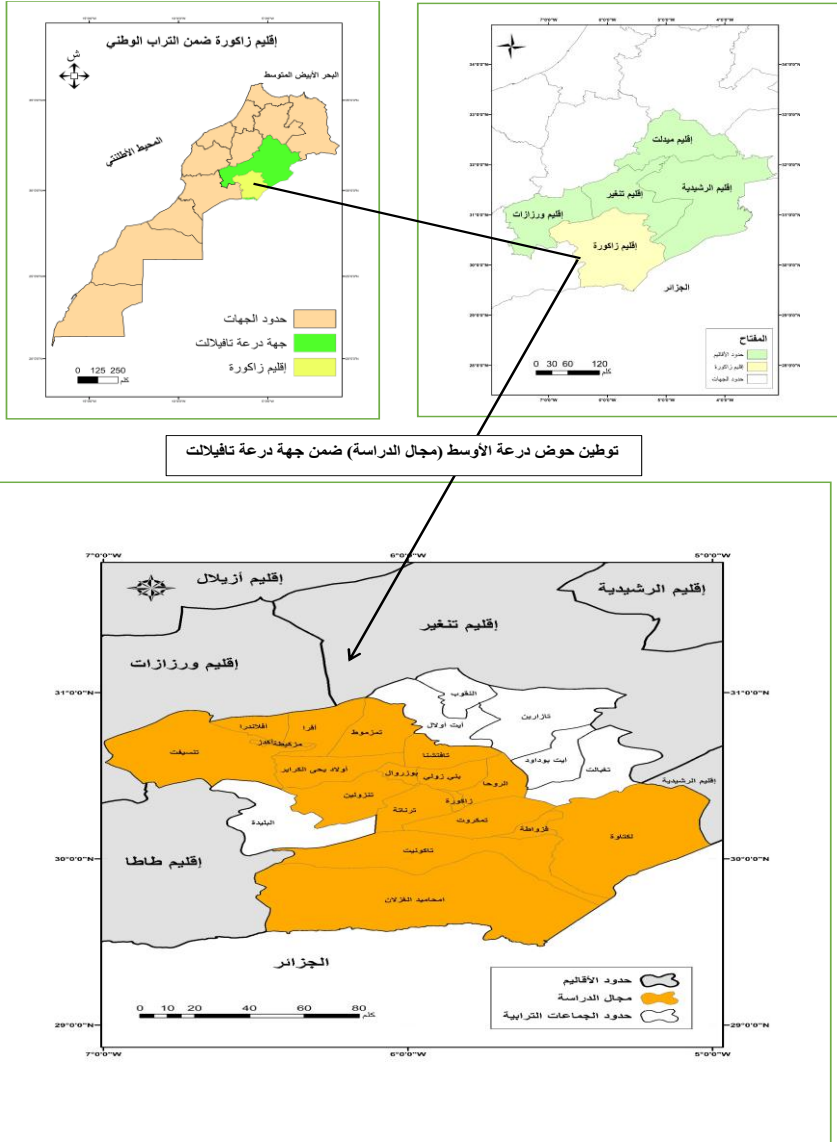
الأهداف

تهدف هذه الورقة العلمية إلى تحليل مظاهر تأثير التغيرات المناخية على توازن مكونات المنظومة الواحية، من خلال رصد انعكاساتها على مجموعة من الموارد والعناصر الحيوية، وفي مقدمتها الموارد المائية باعتبارها مكونًا بنيويًا ومحوريًا، إلى جانب التربة، والإنسان، والمجال، والتراث المحلي. ويسعى هذا التحليل إلى إبراز مدى تعمق أثر الاختلالات المناخية في إضعاف قدرة هذه الواحات وسابقتها على التكيف والصمود، في سياق بيئي يتسم بتحولات متسارعة، ما أدى إلى تراجع ملحوظ في مرونة النظم الطبيعية والاجتماعية ضمن هذا الوسط الهش.

توطین منطقة البحث

تقع واحات درعة الوسطى في الجنوب الشرقي المغربي، ما بين خطي عرض $29^{\circ}30'$ و 31° شمال خط الاستواء، وما بين خطي طول 95° و 7° غرب خط غرينيتش. تنتمي إلى جهة درعة تافيلالت حسب التقسيم الجديد 2015. يحدها شمالا إقليم ورزازات، وغربا إقليم طاطا، أما من الناحية الشرقية فيحدها إقليم الرشيدية وجنوبا الحدود المغربية الجزائرية. تتكون درعة الوسطى من 6 واحات تمتد من شمال الحوض إلى جنوبه وهي على التوالي (مزيطة، تنزولين، ترناتة، فزواطة، لكناوة، والمحاميد الغزلان) تفصل بينها خنادق طبيعية تعرف

محليا ب "م". يمتد حوض درعة الوسطى من سد المنصور الذهبي، بزاوية النور باز جنوب مدينة ورزازات إلى واحة المحاميد الغزلان على مسافة تناهز 200 كلم، وبمساحة تقدر ب 37209 هكتار.¹



المصدر: عمل شخصي، 2024

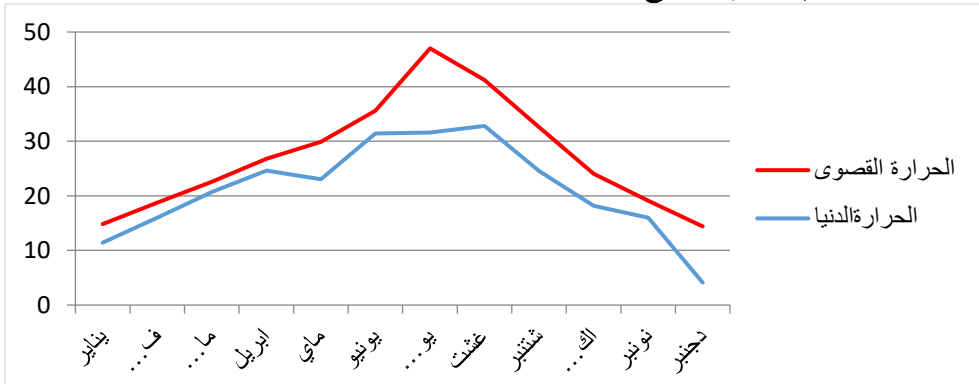
¹ ORMVAO 2022

1. عرفت درجات الحرارة والتساقطات في مجال الدراسة عدة تغيرات

1.1. تباينات حرارية هامة تزيد من حدة التبخر

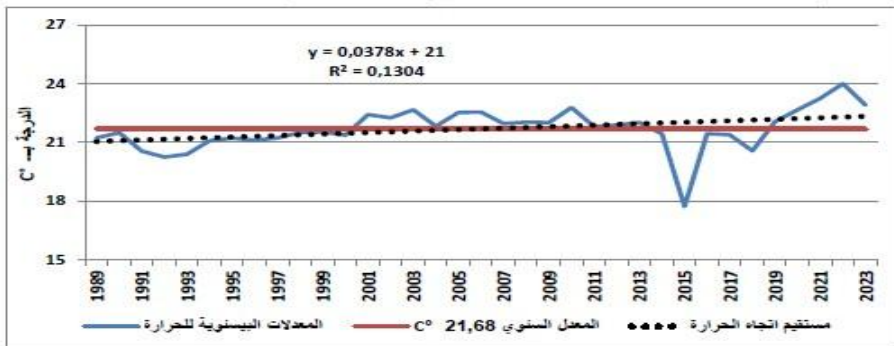
تشهد المنطقة تباينات حرارية سنوية وفصلية جد مهمة، حيث ترتفع درجة الحرارة خلال فصل الصيف لتصل إلى أكثر من 40 درجة في شهر يوليوز، نتيجة لتأثير التيارات الصحراوية الجافة القادمة من الجنوب. أما في الفصل البارد، فهي تنخفض إلى مستويات دنيا، ويعزى هذا إلى تأثير عامل القارية. وهذا يؤثر سلبا على الميزانية المائية في الواحة، حيث أن ارتفاع درجة الحرارة يزيد من كمية التبخر. ومما لا شك فيه أن ذلك سيؤثر سلبا على النشاط الفلاحي بالمنطقة.

رسم بياني رقم 1: التوزيع السنوي لدرجة الحرارة الشهرية القصوى والدنيا بمحطة زاكورة



المصدر: مركز الاستئثار الفلاحي بزاكورة، 2023

رسم بياني رقم 2: التطورات الزمنية لدرجات الحرارة البيسنوية بمحطة زاكورة واتجاهها العام



المصدر: الفائدة عبد اللطيف «تأثير التغيرات المناخية على عناصر المنظومات الهشة في المجال الواحي المغربي: حالة واحات درعة الاوسط

يعكس الشكل البياني (رقم 2) التذبذب الحراري الذي يميز التوزيع البيسنوي لمعدلات درجات الحرارة بمحطة زاكورة حيث تُظهر المعطيات تقارباً نسبياً في القيم المسجلة خلال أغلب الفترات، باستثناء سنة 2015 التي انخفض خلالها المعدل الحراري بشكل ملحوظ مقارنة بالمعدل السنوي المرجعي. ويمكن تمييز فترتين حراريتين متباينتين:

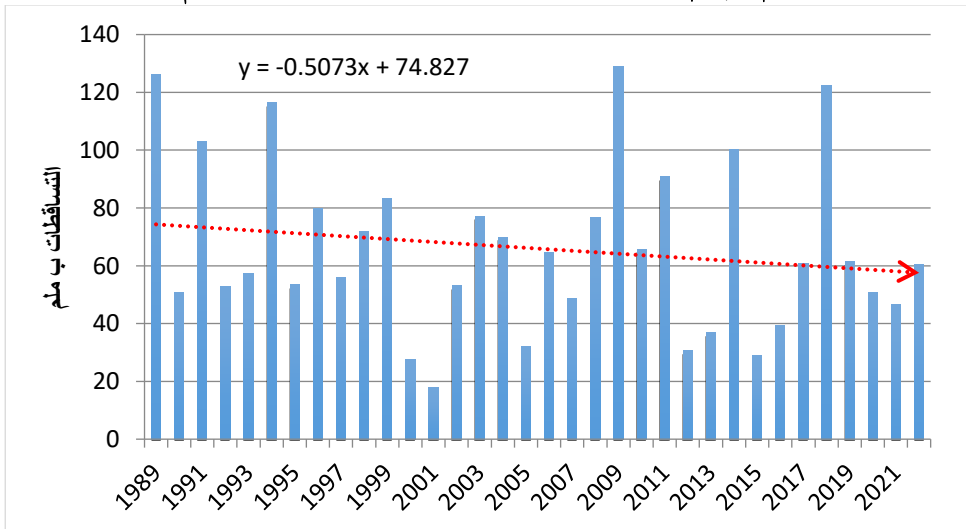
- الأولى، تم خلالها تسجيل معدلات حرارة دون المتوسط السنوي، وتشمل الفترتين الممتدتين من 1989 إلى 1999، ومن 2014 إلى 2018.
- الثانية، تميزت بارتفاع ملحوظ في القيم الحرارية مقارنة بالمعدل العام، وتشمل الفترة ما بين 2000 و2013، إضافة إلى المرحلة التي انطلقت منذ سنة 2019.

تؤشر هذه التغيرات على وجود تغيرية حرارية زمنية تعكس التحولات المناخية التي تعرفها المنطقة، وهو ما يُبرز دينامية النظام الحراري وتأثره بعوامل مناخية محلية وإقليمية. هذا التذبذب يبين التغيرية الزمنية للحرارة بهذه المحطة الشيء الذي يزيد من حدة التبخر وبالتالي التأثير على الموارد المائية خاصة السطحية.

1.2. دراسة التساقطات المطرية والتبخر بدرعة الوسطى

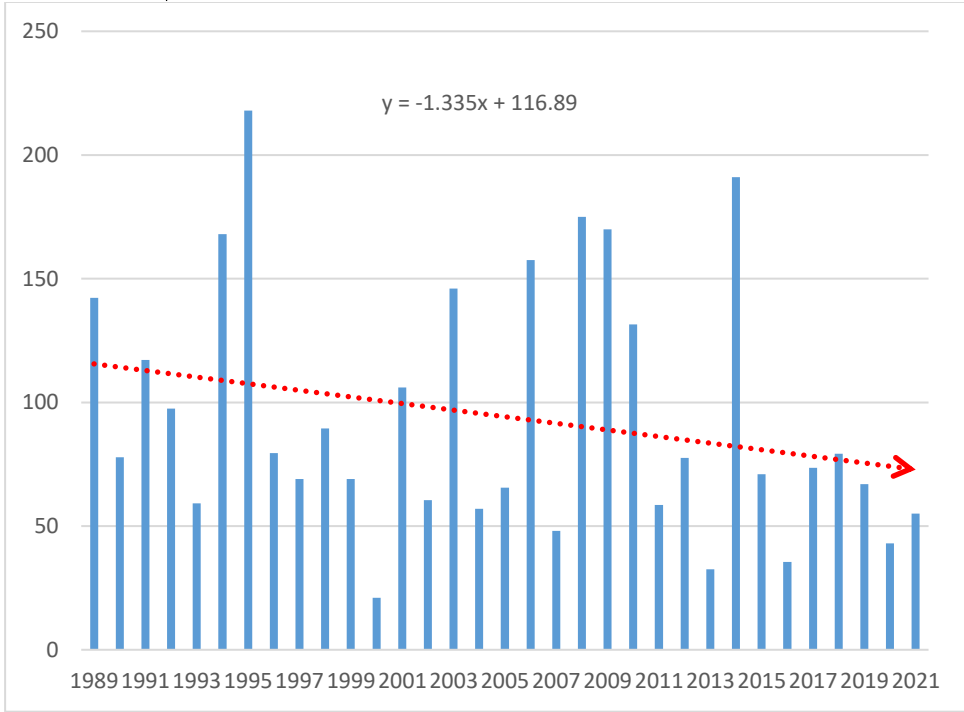
1.2.1. تساقطات مطرية سنوية ضعيفة وغير منتظمة:

رسم بياني رقم 3: التساقطات المطرية بمحطة أسير زاكورة (1989-2022) بمل



مصدر المعطيات الإحصائية: المقاطعة الفلاحية أسير زاكورة، 2023

رسم بياني رقم 4: التساقطات المطرية السنوية بمحطة أكذز (1989-2021) ب ملم



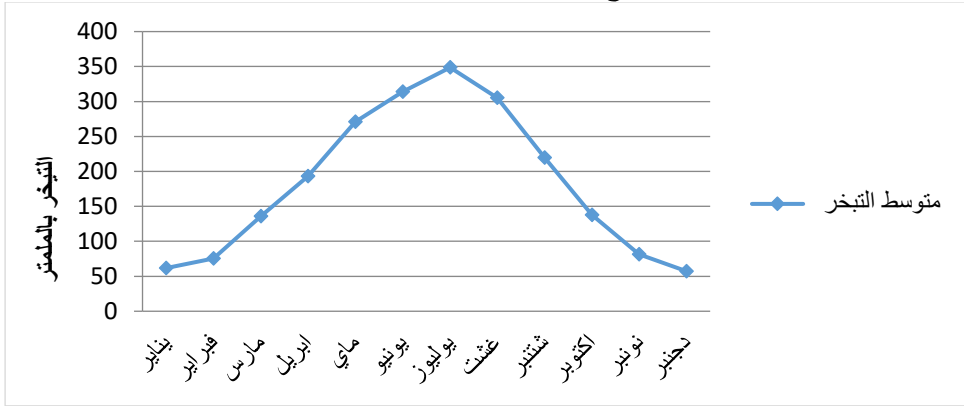
مصدر المعطيات الإحصائية: المكتب الفلاحي بأكذز، 2023

تظهر المعطيات المناخية المسجلة بالمحطات المدرسة تذبذباً واضحاً وتفاوتاً كبيراً في كميات التساقطات وتوزيعها الزمني من سنة إلى أخرى. وتُشير السلسلة الزمنية إلى هيمنة السنوات الجافة على السنوات المطيرة، رغم أن الأخيرة تتجاوز في بعض الحالات المعدل السنوي المعتمد خلال فترة الدراسة. كما توضح الاتجاهات المناخية المسجلة منذ نهاية عام 1999 وجود ميل سلبي في كميات الأمطار، بمعدل تراجع يُقدَّر بـ 0.50 ملم سنوياً بمحطة زاكورة وتراجع بمعدل 1.33 بمحطة أكذز، ما يعكس انخفاضاً تدريجياً في الموارد الهيدرولوجية بالمنطقة، ويُسجل كذلك ارتباط طردي إيجابي متوسط القوة بين كميات التساقط وتوزيعها الزمني.

1.2.2. يساهم التبخر في الزيادة من ندرة الموارد المائية

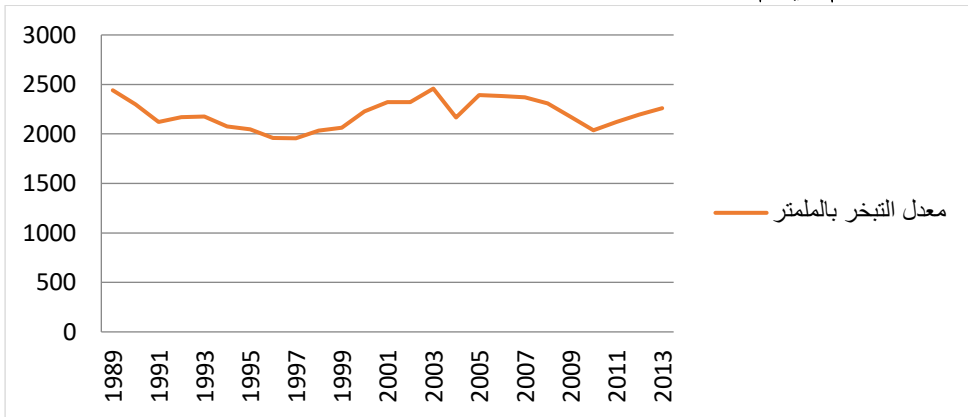
إضافة إلى الظواهر المناخية السالفة الذكر من حرارة وتساقطات، فظاهرة التبخر لا تقل أهمية فقد ساهم الوضع التضاريسي للواحة في الرفع من قيم التشميس التي تتعرض لها المنطقة. وهو ما ينعكس بالدرجة الأولى على نسبة التبخر بالمنطقة، إلا أن الإشكال الذي وجهنا لتقييم ودراسة نسب التبخر هو شح المعطيات المتوفرة التي تهتم بهذه القياسات.

رسم بياني رقم 5: توزيع متوسط التبخر الشهري بمحطة زاكورة 1989/2013



المصدر: مركز الاستثمار الفلاحي بزاكورة، 2023

رسم بياني رقم 6: تذبذب وتطور المعدل السنوي للتبخر بمحطة زاكورة ما بين 1989 - 2013



المصدر: مركز الاستثمار الفلاحي بزاكورة، 2023

توضح من الرسم البياني (رقم 5) أن المتوسط الشهري للتبخر بمحطة زاكورة يُظهر تبايناً واضحاً على مدار السنة، حيث بلغ أقصى مستوى له خلال شهر يوليو بمعدل قدره 350 ملم، في حين سُجلت أدنى القيم خلال أشهر الشتاء، وتحديدًا يناير وفبراير وديسمبر، بأقل من 100 ملم. ويُعزى هذا التفاوت الموسمي إلى تأثير العوامل المناخية المحلية، وعلى رأسها درجات الحرارة والإشعاع الشمسي، مما ساهم في تقليص ملحوظ للموارد المائية المتاحة بالواحة. أما فيما يتعلق بتطور وتذبذب المعدل السنوي للتبخر (الرسم البياني رقم 6)، فقد سُجل أعلى معدل سنوي سنة 2003 بواقع 2458 ملم، قبل أن يتراجع إلى 2260 ملم سنة 2013، مما يعكس تقلباً في التبخر السنوي ناتجاً عن تغيرات مناخية محتملة أثّرت على التوازن المائي المحلي.

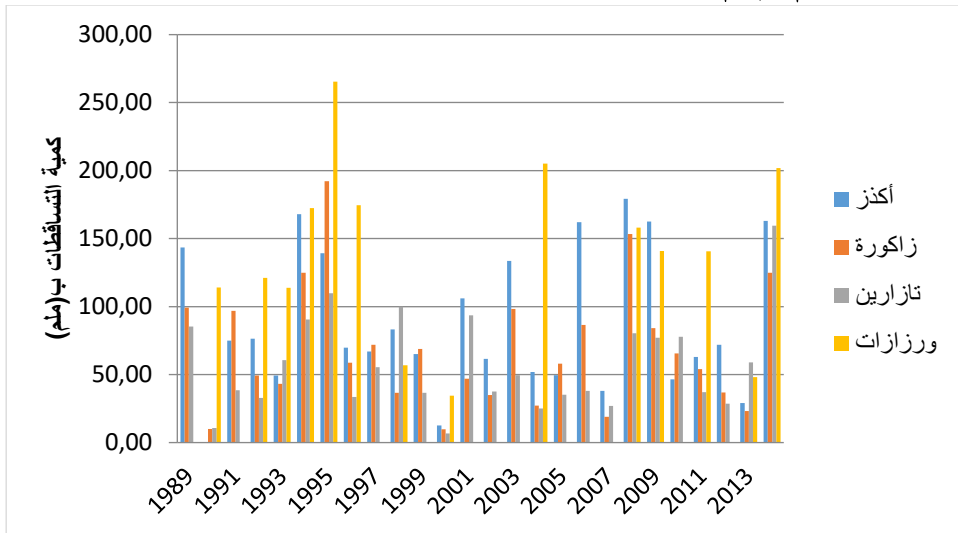
2. مظاهر التغيرات المناخية بواحات درعة الوسطى

تُعد وحات درعة الوسطى من المناطق التي تأثرت بشكل ملحوظ بالتغيرات المناخية، حيث تجلّت أبرز مظاهر هذا التحول في توالي سنوات الجفاف، تتخللها فترات محدودة من الفيضانات. وتجدر الإشارة إلى أن الجفاف ليس ظاهرة جديدة بالمنطقة، إلا أن ما يثير الانتباه في العقود الأخيرة هو الامتداد الزمني لسنوات الجفاف وشدته المتزايدة، ما أفرز آثارًا بيئية واقتصادية واضحة، تمثلت في تراجع مردودية الأنشطة الفلاحية، وتدهور النظم الواحية، وظهور مؤشرات التصحر، وزحف الرمال على المناطق الزراعية. وقد ساهمت هذه الأوضاع في تنامي الهجرة القروية، خاصة في صفوف الشباب والفلاحين، نحو المراكز الحضرية بحثًا عن فرص بديلة للعيش.

2.1. خطر الجفاف

يُعد الجفاف من أبرز التحديات التي تواجه الإنتاج الفلاحي بواحات درعة الوسطى، وإن كانت حدة تأثيره متفاوتة بين الواحات الست. فقد سجلت عدة فترات جفاف متواترة، من أبرزها: 1944-1945، 1980-1985، 1990-1995، 1998-2000، و 2011-2013. وقد كان لهذه الفترات الجافة أثر بالغ في استنزاف الموارد المائية وتراجع الإنتاجية الفلاحية، ما ساهم في تقويض التوازن البيئي والاقتصادي المحلي.

رسم بياني رقم 7: كمية التساقطات المطرية ببعض المحطات الجوية ما بين 1989 و 2014



المصدر: مركز الاستثمار الفلاحي بزاكورة، 2023

يُبرز الرسم البياني (رقم 7) تباينًا واضحًا في توزيع التساقطات المطرية بين المحطات الأربع المدروسة خلال فترة زمنية امتدت لـ 25 سنة. ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل رئيسية وفق الخصائص المناخية التي طبعت كل مرحلة:

الفترة الأولى: 1989 – 1999

تُظهر المعطيات المناخية خلال هذه المرحلة توازنًا نسبيًا بين عدد السنوات الجافة والممطرة بمحطتي أكدر وزاكورة، في حين تتباين الوضعية بشكل ملحوظ في المحطتين الآخرين. غير أن التساؤل المطروح هنا يرتبط بإمكانية تصنيف بعض السنوات كمطرة في سياق مناخي شبه جاف إلى جاف، حيث لا يتجاوز المعدل السنوي للتساقطات 70 ملم بمحطة زاكورة و110 ملم بمحطة ورزازات. ما يعني أن "السنوات المطيرة" في هذه المناطق تظل نسبية ومحدودة من حيث القيمة المطلقة لكمية التساقطات.

الفترة الثانية: 2000 – 2009

شهدت هذه المرحلة استمرار النمط الجاف، مع درجات متفاوتة من الشدة بين المحطات. فقد سجلت محطة ورزازات 7 سنوات جافة، مقابل 6 سنوات في محطة زاكورة، بينما عرفت محطات أخرى وضعيات مناخية مماثلة. أما السنوات المطيرة خلال هذه المرحلة فبلغت ثلاث سنوات بورزازات وأربع سنوات بزاكورة، ما يعكس استمرار هيمنة الظروف الجافة مع بعض الفترات المحدودة من التساقط فوق المعدل.

الفترة الثالثة: 2010 – 2014

تميزت هذه المرحلة بتزايد حدة الجفاف، حيث بلغ عدد السنوات الجافة ثلاث سنوات بمحطة ورزازات، وأربع سنوات بمحطة زاكورة، في مقابل تسجيل ثلاث سنوات مطيرة فقط في ورزازات وسنة واحدة في زاكورة. وتُظهر هذه المرحلة تقلبًا حادًا في التوزيع السنوي للتساقطات، ما يعكس تغيرًا مناخيًا تدريجيًا في نمط الهطول.

بناءً على ما سبق، يمكن القول إن السنوات التي تجاوزت فيها التساقطات المعدل السنوي تزامنت غالبًا مع حدوث فيضانات أو تساقطات مطرية غير منتظمة، سواء من حيث التوزيع الفصلي أو عدد الأيام. ومن المعلوم أن ذروة التساقطات تتركز عادة في أشهر فبراير، أكتوبر ودجنبر، في حين تنخفض بشكل ملحوظ أو تنعدم في باقي شهور السنة، مما يُعقد من تدبير الموارد المائية ويزيد من هشاشة الأنظمة البيئية والزراعية بالمنطقة.

2.2. خطر الفيضانات

عرفت المنطقة فترة فيضانات كثيرة، كان آخرها الفيضان الذي ضرب المنطقة سنة 2014، على فترتين مختلفتين: الفترة الأولى كانت في شهر شتنبر ورغم أن المياه خرجت عن مجراها الطبيعي إلا أنه لم يخلف خسائر فلاحية كبيرة كما حصل في الفترة الثانية. الفيضان الثاني كان في أواخر شهر شتنبر ويعتبر من أخطر الفيضانات التي ضربت المنطقة حسب الساكنة المحلية، إذ ارتفع منسوب مياه واد درعة بشكل غير عادي: حيث عرفت جبال الأطلس الكبير المغذية لسد المنصور الذهبي تساقطات مطرية قوية وعنيفة لم يستطع معها سد المنصور الذهبي تحملها، الشيء الذي نتج عنه إفراغ حمولتها في الواد. تنضاف إلى روافد درعة العليا، الروافد المحلية التي تلقت بدورها تساقطات مطرية مهمة، ارتفع معها منسوب مياه وادي درعة وخرج عن مجراه الطبيعي لتغمر المياه مساحات كبيرة من المجال الزراعي. فنتج عنه خسائر فادحة داخل المجال الزراعي للواحة. وبالمقابل مع ذلك فقد أدى الفيضان إلى عزل ساكنة القصور المتواجدة على الضفة اليسرى من الوادي، أكثر من أسبوع. وحسب الساكنة المحلية فمنذ ستينيات القرن الماضي لم تشهد المنطقة مثل هذه الفيضانات.

الصورة رقم 1: الفيضانات التي عرفتها واحة مزكطة بدرعة الوسطى



المصدر: عبد الجليل ايت علي احمد، شتنبر 2014

2.3. مرض البيوض:

يعتبر مرض البيوض من الأخطار البيولوجية التي تواجه النخيل داخل الواحة، وقد قدر عدد النخيل المصاب داخل واحة مزكيطة على سبيل المثال حسب إحصائيات المكتب الوطني للاستثمار الفلاحي في الموسم الفلاحي 2006/2005 بـ 19460 نخلة من أصل 177645 نخلة، أي ما يقارب 11 % من نخيل الواحة مصاب بالمرض. وقد ظهر هذا المرض لأول مرة في منطقة درعة سنة 1890م¹. وهو مرض سريع الانتشار لم تتوصل البشرية بعد إلى دواء له، بقدر ما تقوم الساكنة ببعض الطرق التقليدية لمحاربته (حرق النخيل المصاب). وينتقل بين النخل عن طريق الجذور أو تبادل الشتائل فيما بين الفلاحين.

ومن الأعراض الخارجية المميزة لهذا المرض إصابة السعف الأوسط قبل أن يعم تدريجياً النخلة بكاملها. ويبدأ التيبس على أحد جوانب السعف الجديد، ويتقدم نحو الأعلى حتى قمة السعفة ثم ينحدر نحو الأسفل في الجانب المعاكس. وينجم عن ذلك موت السعفة وتلون وريقاتها باللون الشبيه بالأبيض، ومن هنا جاء اسم " البيوض "². وبالإضافة إلى مرض البيوض نجد أمراض بيولوجية أخرى تصيب النخيل، نذكر منها على سبيل المثال: مرض الخمج تعفن التمار. والرتيلة أو عنكبوت الغبار ...

الصورة رقم 2: اشجار النخيل مصابة بمرض البيوض



المصدر: إبراهيم الميموني، 2018

¹ - البنية بالمغرب: معطيات تاريخية وأفاق تنمية منطقة درعة نموذجاً. سلسلة الندوات والمناظرات رقم (9) ص 117.

² - ورقة تقنية: حول زراعة نخيل التمر - طبعة 2010-

خلاصة القول فواحاح درعة الوسطى لا تنجو من الانعكاسات السلبية والمحتملة للتغيرات المناخية. فأزمة الواحة بشكل عام، وخاصة تراجع الموارد المائية لا يمكن إرجاعه فقط للتغير المناخي، بل هناك عامل أساسي وأكثر حدة هو التدخل البشري نفسه.

وفي ظل كل ما سبق، أصبحت واحاح درعة الوسطى مهددة بتراجع مواردها المائية بنسبة كبيرة، تندر حتما بزوال هذا المجال. وفي ظل استمرارية الوضع على ما هو عليه، سينجم عليه بالضرورة خلق مجال طرد للسكان، وبالتالي سيشكل بؤرة تيارات للهجرة نحو مجالات أفضل.

لائحة المصادر والمراجع

- أغير مصطفى وبورية عبد الواحد وبربول رضوان وصابري أبوبكر، 2019: حمة درة تافيلالت بين المؤهلات الواعدة والإكراهات المتنوعة، كتاب جماعي "الجهوية والحكمة والتنمية الترابية بالمغرب: إشكالية التصور وتحديات التنزيل"، منشورات كلية اللغات والفنون والعلوم الإنسانية، القطب الجامعي أيت ملول، جامعة ابن زهر أكادير.
- الميموني إبراهيم والسلوى عبد المالك، 2021: إشكالية تدبير مياه الري بواحات الجنوب الشرقي المغربي في ظل التحولات السوسيواقتصادية حالة واحات درة الوسطى، كتاب جماعي "الموارد الطبيعية بالمغرب: سياسات التدبير ورهانات التنمية"، الطبعة الأولى، الناشر مختبر البحث في التدبير الترابي والتواصل والنمذجة، الكلية متعددة التخصصات خريكة، جامعة السلطان مولاي سليمان-بني ملال.
- الميموني إبراهيم، 2012: أثر التغيرات المناخية والتحولات السوسيوإقليمية على تدبير الموارد المائية بواحات درة الوسطى، أطروحة في الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء.
- الفائدة عبد اللطيف، 2024: تغيرات التساقطات ودورها في تحديد النزعة المناخية بدرة الأوسط، مجلة قراءات علمية في الأبحاث والدراسات، العدد 38، المغرب.
- الفائدة عبد اللطيف، 2025: تأثير التغيرات المناخية على عناصر المنظومات الهشة في المجال المغربي: حالة واحات درة الأوسط، مجلة المقالات الدولية، العدد 3، يونيو 2025.

التعبيرات الفنية داخل الوسط السجني بين المباح والمحظور -الراب السجني وبناء التمثلات الاجتماعية عند الشباب نموذجاً-

رعمون نجات

طالبة باحثة في سلك الدكتوراه

مختبر الدكتوراه: الإنسان والمجال بالعالم المتوسطي

بنية البحث: التغير الاجتماعي والتنمية المحلية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس

المغرب

الملخص

يعتبر الراب السجني شكلاً من أشكال موسيقى الراب الذي يعرف إقبالاً من طرف الشباب حيث يساهم في تشكيل صور وبناء تمثلات اجتماعية حول المؤسسة السجنية بمكوناتها والعلاقات الاجتماعية السائدة بين عناصرها والتفاعلات الاجتماعية بين هذه الأخيرة، حيث تطفئ على أغانيه كلمات، رموز وتعايير تندرج ضمن الثقافة السجنية مما يساهم في تسريبها إلى المجتمع وتشكيل صور وتمثلات لدى الشباب. وانتشار هذا الثقافة في المجتمع يساهم في ترويب بعض من الشباب من السجن وبالتالي تجنب ارتكاب الجرائم والمخالفات وفي تكيف وتعود ومواجهة الوصم الاجتماعي بالنسبة لفئة أخرى.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

رعمون، نجات. (2025، يوليو). التعبيرات الفنية داخل الوسط السجني بين المباح والمحظور - الراب السجني وبناء التمثلات الاجتماعية عند الشباب نموذجاً -. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، العدد 7، المجلد 2، السنة 2، ص 168-200.

مقدمة:

ترجع أهمية دراسة التمثلات الاجتماعية إلى تأثيرها على الأفراد والمجتمع ويعتبر دينيس جودلي "إن التمثلات تمكننا من طريقة تسمية وتعريف مختلف مكونات الواقع المعيشي اليومي وطريقة فهمها واتخاذ القرارات وإذا اقتضى الأمر التوقع منها والتصدي لها"¹

وقد حدد جون كلود ابريك وظيفة للتمثلات الاجتماعية أسأها " توجيه السلوكات والتصرفات " بل واعتبرها مجموعة منظمة من المعلومات والمواقف والمعتقدات والاتجاهات حول موضوع ما، أنتجت وبلورت اجتماعيا، تحمل كل قيم النظام الاجتماعي والإيديولوجي وتاريخ المجموعة التي تتبناها والتي تمثل جزء أساسيا من رؤيتها للعالم. إن هذه الوظيفة تمكننا من تحديد وتعريف الواقع وتجعلنا في حالة بحث عن شيء يطابق تمثلا له.

وتلعب التمثلات الاجتماعية دور الإطار والمعايير التي يتعين اعتمادها في حالة ما وهو ما يسميها ابريك بوظيفة "تبرير الممارسات" وبالتالي فإن هذه التصورات نفسها تؤدي إلى سلوكات معينة يمكن أن تعمل لاحقا كمبرر وتفسير لمحتوى هذه السلوكات. فالتمثل يحدد مباشرة نوع النشاط المعرفي المناسب للأفراد والجماعات والطريقة التي يبني بها الاتصال وهذا يكون مستقلا عن الواقع الموضوعي للأداء وباعتبار أن السجن مؤسسة اجتماعية يقضي أفرادها عقوبات سجنية بمدد مختلفة تتعايش عناصرها ضمن مجتمع مغلق مصغر تجمعهم علاقات وتفاعلات اجتماعية ويكونون ثقافة خاصة بهم تسمى الثقافة السجنية. هذه الثقافة يتم تسريبها إلى المجتمع الخارجي بطرق مختلفة من بينها موسيقى الراب السجني الذي يصور الواقع والحياة السجنية والتجارب وغيرها من المواضيع الاجتماعية وتختلف ردود أفعال المتلقي حسب التمثلات التي بناها.

إن الدراسات السابقة سواء في مجال سوسيولوجيا السجن، هذا الميدان التخصصي الذي يعاني من قلة الدراسات في المغرب أو سوسيولوجيا الفن لم تنبها إلى العلاقة القائمة بين موسيقى الراب الذي اتسعت قاعدته الجماهيرية بشكل كبير، والمؤسسة السجنية كمجتمع ضمن المجتمع الكبير يعمل على التأهيل وإعادة الإدماج. لنقوم بمحاولة للإجابة عن العلاقة بين موسيقى الراب والثقافة السجنية السائدة في السجن والتمثلات الاجتماعية لدى الشباب من خلال طرح السؤال الإشكالي:

كيف تساهم موسيقى الراب السجني في بناء تمثلات اجتماعية حول المؤسسة السجنية لدى الشباب وتسريب الثقافة السجنية للمجتمع؟

¹ Denise Jodelet : les représentations sociales, sous la direction de Denise Jodelet, Presses universitaires de France, Paris 1989, p : 31

ويمكننا أن نفرع هذه الإشكالية العامة إلى تساؤلات فرعية :

- 1 - كيف يفسر الشباب ميلهم إلى هذه النوع الموسيقي ؟
- 2- كيف تحضر صورة السجن في هذه الأغاني ؟
- 3 -كيف يساهم هذا النوع من الموسيقى ايجابيا أو سلبيا على سلوكات الشباب (التخويف أو التشجيع على السجن)؟

المفاهيم

التمثل الاجتماعي - الثقافة السجنية - الراب - الراب السجني - السجن - الشباب

أولا: التمثلات الاجتماعية

1. ظهور مفهوم التمثلات الاجتماعية:

ظهر مصطلح التمثلات منذ تأسيس السوسيولوجيا ك مجال متخصص بمشروع علمي في نهاية القرن 19م، وذلك عندما حاول إميل دوركايم E. Durkheim الدفاع وتوضيح الأهمية العلمية للتمثلات الجمعية في مقال نشر سنة 1898 في مجلة "Revue de Métaphysique et Morale"، حمل عنوان "التمثلات الفردية والتمثلات الجمعية *représentations individuelles et représentations collectives*"، وكما عبر عنه ب: «بما ان الملاحظة تظهر وجود نظام من الظواهر يسمى التمثلات، تميزها مجموعة من الخصائص عن الظواهر الطبيعية، فإن هذا يعارض بالضرورة أي منهج يدعوا الى تجاهلها¹ » .

« ميز إميل دوركايم بين ثلاث حقائق : العمليات الفيزيائية-الكيميائية للدماغ، التمثلات الفردية والتمثلات الجمعية *collectives*. وقد عرف هذه الأخيرة، التمثلات الجمعية، على انها مجموع المعتقدات والقيم المشتركة بين كل أفراد المجتمع، المتميزة جوهريا عن التمثلات التي يكتسبها هؤلاء الأفراد. فعندما كان معاصروه لا ينظرون إلا إلى التمثلات الفردية، كشف دوركايم عن أصلها الاجتماعي واعترض على المقاربات السيكلوجية والطبيعية *naturaliste* السائدة في تلك الفترة. لقد قدم تأويلا للعالم المادي والاجتماعي. واعتبر أن التمثلات الجمعية تضمن وتمكن المجتمع من إحكام سيطرته على الفرد. لقد كان له الفضل الكبير في التفكير في التمثلات

¹ - Emile Durkheim : représentations individuelles et représentations collectives, Revue de Métaphysique et Morale, Presses Universitaires de France, France 1898, P : 275

كحقيقة اجتماعية، عبر مفهومه التمثلات الجمعية، وتحديد هذا الجزء من الحقيقة وأخذها في عين الاعتبار لتفسير الوقائع الاجتماعية 1. les faits sociaux

يمكن القول ان مصطلح التمثلات الجمعية عند إميل دوركايم يشير ببساطة الى «الأفكار والمعتقدات والقيم التي تبلورها الجماعة والتي لا يمكن اختزالها الى مكونات فردية. وتحتل التصورات الجمعية مكانة محورية في سعي دوركايم عن مصادر التضامن الاجتماعي. ويرى في كتابه الأشكال الأولية للحياة الدينية، الذي صدر سنة 1912، أن هذه التصورات تظهر من خلال التفاعل الكثيف للشعائر الدينية، ولأنها أكثر غنى وثراء من الأنشطة الفردية، نجدها تكتسب وجودا مستقلا عن الجماعة التي ظهرت فيها. ولا تساعد التصورات الجمعية على تنظيم العالم وتفسيره فحسب، وهنا تظهر أهميتها عنده، ولكنها أيضا تعبر عن العلاقات الاجتماعية وترمز لها وتفسرها. وقد حل مصطلح التصورات الجمعية محل مصطلح دوركايم السابق الوعي الجمعي، لأنها تعمل على كبح وتحفيز الفعل الاجتماعي في نفس الوقت. ومصدر قوة التصورات الجمعية او سلطتها انها كامنة داخل كل منا وهي في نفس الوقت تقع خارج الفرد. لقد فسر دوركايم التحولات العامة في القيم (مثل دعوة الثورة الفرنسية الى قيم التنوير) بالإشارة الى قوة الحياة المشتركة (او الكثافة الدينامية)، حيث تكمن جذور العالم الديني في الحياة الجمعية، تاركا ما هو علماني للفرد. فالاجتماع الإنساني المكثف يولد التصورات الجمعية التي تتجاوز تفكك الحياة الجمعية العليا باعتبارها شيئا مقدسا. ومن ثم معتقدات وقيما ورموزا ذات قوة أخلاقية قهرية ملزمة. 2. لقد انتصر إميل دوركايم للتمثلات الجمعية أمام التمثلات الفردية، وذلك لأنها أكثر استقرارا وأقل حساسية أمام التغيرات.

ظهر مفهوم التمثل اذن في علم الاجتماع، لكنه عرف كسوبا دام زهاء نصف قرن الى ان تناولته السيكولوجيا في أبحاث كل من بياجي Piagi 1926 وفالون Walon وكلا بريد Claparède. بعد ذلك انتقل الى علم النفس الاجتماعي ليتأسس اطاره النظري اعتمادا على أبحاث موسكوفيتشي Serge Moscovici (1960-1979)، والذي يعتبر المؤسس الفعلي لنظرية التمثلات الاجتماعية التي تحتل اليوم مكانة محورية داخل مختلف ميادين العلوم الإنسانية.

¹-Isabelle Danic : la notion de la représentation pour les sociologues. Premier aperçu, travaux et documentations, espaces et sociétés, RESO-Université Rennes II, ESO-UMR 6590 CNRS, 2006, P :29

- جوردن مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، محمد محيي الدين، عدلي السمري، محمد علي إبراهيم، احمد زايد، محمود عبد الرشيد، محمد عبد الحميد وهناء الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة- المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، المجلد الأول، مصر، 2000، ص:

استخدم العالم الفرنسي موسكوفيتشي عبارة التمثلات الاجتماعية أول مرة في أطروحة الدكتوراه التي تناول فيها دراسة تمثلات التحليل النفسي la représentation de la psychanalyse لدى مجموعة كبيرة من الفرنسيين. وكان هذا بمثابة رد على طرح إميل دوركايم، حيث يعتبر موسكوفيتشي أن «التمثلات ليست فقط جمعية collectives تتكون عبر الأجيال وغير قابلة للتغير بل وأيضا اجتماعية sociales قابلة للمراجعة والرسكلة وإعادة البناء من طرف المجموعات التي تكون المجتمع الواحد لتنتج بعد ذلك "معارف الحس المشترك savoir de sens commun" أو التفكير الاجتماعي حسب تعبير Guimelli. يتكوّن الحس

العام، كما يّين موسكوفيتشي، من " نسق من القيم والمفاهيم والسلوكيات المرتبطة بسبات ومواضيع يحدد معالمها الوسط الاجتماعي تمكن من استقرار حياة الأفراد والجماعات ومن توجيه وصياغة السلوكات وردود الفعل المناسبة "وهي أيضا "وسائط بين الشخص والوضعية المتواجد فيها. «التمثلات الاجتماعية تتغير وتختلف في معناها ومحتواها بحسب اللغة والسياق الثقافي والإيديولوجي وبحسب اهتمامات وعلاقات التواصل والتخاطب بين أفراد المجموعة. مثلا: إذا أبدى الفرد أو المجموعة رأيا يتعلق بموضوع ما (مادي او اجتماعي: فكرة، شيء أو شخص) فإن، هذا الرأي هو بطريقة ما جزء من تكوينه، لأنه يحدد ماهية هذا الموضوع.¹ »

انطلق موسكوفيتشي من فرضيات ثلاث ليفسر كيفية اختلاف أفراد المجتمع الواحد في تمثلاتهم لموضوع ما. تتعلق الفرضية الأولى بانتشار المعلومة بين أفراد المجتمع حول موضوع التمثل بحيث يصعب فرزها وتمييزها عن المعتقدات والمعارف السابقة، أما الفرضية الثانية فتتعلق بالاهتمام الذي يوليه أفراد مجموعة معينة لجانب من موضوع التمثل، في حين تتعلق الفرضية الثالثة بتطوير المعلومات المستقاة تحت "ضغط البحث عن دلالة" (la pression de l'inférence)، كما يعبر عن ذلك موسكوفيتشي، كل حسب ثقافته واهتمامه، لتلاني النقص في المعلومات التي سببتها عمليات التواصل الاجتماعي. عند توفر كل هذه الظروف تتكون معارف ساذجة (savoir naïf) مختلفة لدى فئات المجتمع الواحد، هذه المعارف مختلفة تماما عن معارف الخبراء (savoir des experts) صناع المعرفة الأولى. إذن يرجع هذا الاختلاف الى المستوى الفكري للأفراد والى مدى مساهمتهم للنسق الاجتماعي والثقافي الذي هم فيه والى انتمائهم الإيديولوجي. مكنت نتائج دراسة موسكوفيتشي في الأخير من تأسيس مقارنة علمية أطلق عليها اسم "نظرية التمثلات الاجتماعية".²

قام موسكوفيتشي بتجديد الدراسة حول التمثلات وأكد على خصوصية هذه الظواهر في المجتمعات المعاصرة التي تتميز بحجوية وسلاسة التبادلات والتواصل، تطور العلم، التعددية والتنقلات الاجتماعية». ان

¹- كوتر السويسي: التمثلات الاجتماعية: مقارنة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية، المجلة العربية لعلم النفس، المجلد 1، العدد 1، ص 49، 2016.

²- المرجع نفسه، ص: 50

دراسة التمثلات الاجتماعية يجب أن تتمحور حول العناصر العاطفية، العقلية والاجتماعية، وإدماهما إلى جانب الإدراك، اللغة والتواصل، والأخذ بعين الاعتبار العلاقات الاجتماعية التي تؤثر على التمثلات والحقيقة المادية، الاجتماعية والمثالية التي على أساسها تحدث الاستجابة¹. لقد أغنى موسكوفيتشي ورسم حدود مفهوم التمثلات الاجتماعية باعتبارها «عقلية واجتماعية في نفس الوقت، وهي مبنية من أجل وبفعل الممارسة، بعبارة أخرى مفهوم التمثلات يعني العناصر العقلية التي تتشكل من خلال أفعالنا وتشكل أفعالنا والحس المشترك. التمثلات الاجتماعية تتصف عبر عملية بنائية ووظيفية تميزها عن الطرق الأخرى للتفكير وتأويل الواقع اليومي على غرار العلم، الدين، الأسطورة، وهذا ما يجعلها مختلفة عن التمثلات الجمعية التي تتضمن طريقة التفكير العلمية والدينية والأسطورية²».

ان اهتمام موسكوفيتشي بمفهوم التمثلات الاجتماعية وتطويره جعل منه «من بين أكثر المفاهيم الغنية³»، والعبارة للعديد من التخصصات، والتي يجعل تعريفها مسألة صعبة. «إثر موسكوفيتشي، نهج الباحثون الى دراسة التمثلات الاجتماعية، كل بحسب زاوية النظر التي اتخذها. ركر Doise (1990) اهتمامه على الإطار العام الذي تنشأ فيه التمثلات، أي المجتمع ككل، أينتفاعل المجموعات والفئات الاجتماعية مع بعضها البعض حول موضوع التمثل. بين أيضا ان التمثلات المختلفة التي تنتشر في المجتمع الواحد هي وليدة التعارض أو التوافق في المصالح إزاء موضوع التمثل وحتى التقارب السوسيولوجي بين المجموعات. مثلا، في مجموعات فرعية نوعية من كلا الجنسين أو مجموعات اجتماعية واقتصادية أو مهنية تتفاعل الأفراد باستمرار حول موضوع التمثل. وانطلاقا من هذه التفاعلات وحسب منطق المصلحة والقيم والمعايير الاجتماعية لكل مجموعة يتحدد معنى الصورة الذهنية أي التمثل الاجتماعي. اما مدرسة Aix-en-Provence الفرنسية التي من أشهر أعلامها Abric (1976,1987)، Flament (1987, 1989)، Moliner (1988)، Vergès (1992)، Rouquette (1998)، فإنها عكفت على دراسة البنية الداخلية للتمثلات الاجتماعية ووجهها التوافقي المتناسق (Consensus). بينما درست Jodelet (1989) عملية التمثل في علاقتها بالكلام والتواصل بين

¹-DENISE JODELET: Les représentations sociales, sous la direction de DENISE JODELET, PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE, France 1989, P: 41

²-Isabelle Danic : la notion de la représentation pour les sociologues, Premier aperçu, travaux et documentations, espaces et sociétés, RESO-Université Rennes II, ESO-UMR 6590 CNRS2006, P :29

³- Sandrine Depeau : de la représentation sociale a la cognition spatiale et environnementale, travaux et documentations, espaces et sociétés, RESO-Université Rennes II, ESO-UMR 6590 CNRS2006, P :7

الأفراد والمجموعات، كما قام Guimelli و Deschamps (2002)، Rimé و Guimelli (2009) بدراسة الجانب العاطفي والبعد الوجداني (Deschamps ; Moliner, 2008)¹

2. وظيفة التمثلات الاجتماعية:

ترجع أهمية دراسة التمثلات الاجتماعية إلى تأثيرها على الأفراد والمجتمع، وتعبير دينيس جودلي Denise Jodelet، «لأنها تمكننا من طريقة تسمية وتعريف مختلف مكونات الواقع المعيشي اليومي وطريقة فهمها، اتخاذ القرارات، وإذا اقتضى الأمر التوقع منها والتصدي لها»².

وانطلاقاً من ذلك حدد جون كلود أبريك Abrik للتمثلات الاجتماعية وظيفة أسأها "توجيه السلوكات والتصرفات"، بل واعتبرها «مجموعة منظمة من المعلومات والمواقف والمعتقدات والاتجاهات حول موضوع ما. أنتجت وبلورت اجتماعياً، تحمل كل قيم النظام الاجتماعي والأيدولوجي وتاريخ المجموعة التي تتبناها والتي تمثل جزءاً أساسياً من رؤيتها للعالم»³. إن هذه الوظيفة تمكننا من تحديد وتعريف الواقع. وتجعلنا في حالة بحث عن شيء يطابق تمثلنا له، وذلك بفضل آلية الفرز واختيار المعلومات المقدمة، وهذا له تأثير، بطبيعة الحال، على سلوكنا. وكذلك تلعب التمثلات الاجتماعية دور الإطار، والمعايير التي يتعين اعتمادها في حالة ما. وهذا التفسير الأخير هو ما يسميه أبريك بوظيفة "تبرير الممارسات": وبالتالي فإن هذه التصورات نفسها التي تؤدي إلى سلوكيات معينة يمكن أن تعمل لاحقاً كمبرر وتفسير لمحتوى هذه السلوكيات. «التمثل يحدد مباشرة نوع النشاط المعرفي المناسب للأفراد والمجماعات والطريقة التي يبنى بها الاتصال وهذا يكون مستقلاً عن الواقع الموضوعي للأداء»⁴. من هنا يمكن القول إن التمثل الاجتماعي للشباب حول المؤسسة السجنية يمكن أن يحدد مستقبلاً سلوك هؤلاء الشباب إزاء هذه المؤسسة وكذلك موقفهم منها).

3. خصائص التمثلات الاجتماعية:

لخصت الباحثة الفرنسية دينيس جودلي خصائص للتمثلات الاجتماعية⁵ ويمكن أن نستعرضها على

¹ - كوتر السويسي: التمثلات الاجتماعية: مقارنة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية، المجلة العربية لعلم النفس، المجلد 1، العدد 1، صيف 2016، ص: 50-51

² - Denise Jodelet: Les représentations sociales, sous la direction de DENISE JODELET, PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE, Paris 1989, P: 31

³ - Jean-Claude Abrik : Méthodes d'étude des représentations sociales, Edition ères : Ramonville Saint-Agnet, 2003, P :59

⁴ - Jean-Claude Abrik : Pratiques sociales et représentations, Presse Universitaire de France, Paris 1994, P :13

⁵ -Denise Jodelet : Les représentations sociales, sous la direction de DENISE JODELET, PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE, Paris 1989, P : 42-43-44

الشكل التالي:

- التمثلات الاجتماعية هي دائما تمثل فاعل لموضوع معين بمعنى لا يوجد تمثل بدون موضوع كان تجريديا أو مشخصنا كما هناك تفاعل دائم ومتبادل بينهما.
 - أن لكل تمثل معنى ولكل معنى تمثل، إذ أن لكل بنية التمثل جانبين جانب تمثلي وجانب رمزي. الأول رمزي والثاني دلالي. فالجانب الرمزي يرتبط ويتناسب مع صورة التمثل. أما الجانب الدلالي فيتعلق بمعنى التمثل.
 - للتمثلات الاجتماعية خاصية بنوية نتيجة عملية التركيب والبناء الذهني مما يجعلها بناء مستقلا. بلغة أخرى، أن الفاعل يربط بين الموضوع الخارجي والمواضيع الموجودة في الدائرة الفكرية بحيث يضيف ويجذف بعض خصائص الموضوع نتيجة التركيب والبناء الذهني
 - لها ميزة الاستقلالية والإبداع، تأثر بشكل مباشر على سلوكيات الأفراد الفاعلين وهذا حسب معادلة سيرجوسكوفيتشي التي تعتبر أن التمثل يساهم في سيرورات تكوين السلوكيات.
- أبعاد التمثلات الاجتماعية:

حدد ريني كايس René Kaes في دراسته حول صورة الثقافة عند العمال Image de la culture chez les ouvriers سنة 1968، ثلاثة أبعاد للتمثلات الاجتماعية:

البعد الأول: « التمثل هو عملية بناء للواقع من طرف الفرد الذي يبني ويشكل تمثلاته انطلاقا من المعلومات الموجودة التي يوفرها الواقع. (يمكن أن يكون الراب من بين مصادر المعلومات حول المؤسسة السجنية من أجل بناء وإعادة بناء التمثل الاجتماعي حولها).

البعد الثاني: التمثل هو نتاج ثقافي معبر عنه تاريخيا واجتماعيا، حيث يسجل دوما في سياق تاريخي تابع لوضعية اجتماعية متولدة عن طبيعة المشروع السياسي والاجتماعي، وتطور العلاقات الاجتماعية والأيدولوجية لمختلف الطبقات المكونة للمجتمع وذلك في إطار زمني محدد»¹.

البعد الثالث: «إن التمثل يتحقق داخل النسيج الاجتماعي وهو مركب من جملة العلاقات والتفاعلات اللفظية وغير اللفظية التي تسهل عملية التواصل بين أفراد المجتمع، لا توجد تمثلات خارج النسيج العلائقي»².

¹ - René Kaes : Image de la culture chez les ouvriers, T4 Traité des sciences pédagogique TE, Paris1968, P :83

² - Ibid, P : 118

إن التمثلات الاجتماعية «هي رؤى وظيفية للعالم، تمكن الفرد أو الجماعة من إعطاء معنى لتصرفاته، وفهم الواقع من خلال نظامه المرجعي الخاص به، وبالتالي التكيف معه، وتحديد موقعه منه»¹. فهي تلعب دور الوسيط بين الفرد ومحيطه بل وتحدد طريقة تصرف الفرد. «التمثل شكل من أشكال المعرفة التطبيقية، تربط الفاعل بالموضوع»². وهو أيضا «مجموع المعارف، الاتجاهات والمعتقدات المرتبطة بموضوع معين محددا بذلك العلاقات الاجتماعية»³ والتي يمكن ان تكون علاقات بين الأفراد فيما بينهم أو علاقات بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية (كالمؤسسة السجنية موضوع بحثنا). وهو ما عبر عنه الأب الروحي لنظرية التمثلات الاجتماعية سيرج موسكوفيتشي عندما قال: «تتيح التمثلات الاجتماعية للأفراد القدرة على تنظيم وترتيب الإدراكات ليتمكنوا من توجيه تصرفاتهم داخل المحيط، كما لها القدرة على وضع الضوابط مع أفراد الجماعة بهدف التحكم بها، مشكلة بذلك نظاما من الانتظارات مبرمجة مسبقا أشكال العلاقات بين الأفراد والجماعات»⁴. «إن تحليل وظائف التمثلات الاجتماعية يكشف لنا عن أهميتها في فهم ديناميكية المجتمع، فالتمثلات تزودنا بالمعلومات والتفاسير حول نوعية الارتباطات الاجتماعية الموجودة بين الجماعات وعلاقات الأفراد مع محيطهم الاجتماعي، كما تحدد السلوكيات والممارسات الاجتماعية من خلال تكوين المعنى العام وتشكيل الهوية الاجتماعية من خلال الانتظارات والتوقعات، أنها أصل الممارسات الاجتماعية»⁵

ثانيا: موسيقى الراب

1. الراب نشأته وبداياته

الراب شكل موسيقي يعتمد على القافية والخطاب الإيقاعي وعامية الشارع التي تؤدي أو تغنى بشكل فضفاض على أنغام موسيقى تصويرية، وهو مكون من مكونات ثقافة الهيب هوب HIP HOP «⁶. هذه الثقافة التي ظهرت خلال السبعينيات كحركة تحررية، اتخذت شكلا ثقافيا متنوعا، نتاج للانتشار الإفريقي AFRICAN DIASPORA الذي يمزج بين الموسيقى، الرقص، الفن التصويري والخطابي.

¹ Jean-Claude Abric: Pratiques sociales et représentations, Presse Universitaire de France, Paris 1994, P :13

² Denise Jodelet : Les représentations sociales, sous la direction de DENISE JODELET, PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE, Paris 1989, P : 43

³ FlamentC : Approche structurales et aspects normatifs des représentations sociales, Psychologie et société, Presses Universitaires de Grenoble, Grenoble 2001, P : 13-14

⁴ Jean-Claude Abric : Pratiques sociales et représentations, Presse Universitaire de France, Paris 1994, P :17

⁵ Ibid, P : 18

⁶ Cheryl I. Keyes, Rap music and street consciousness, University of Illinois Press Urbana and Chicago, 2002, P:1

جاء الهيب هوب HIP HOP منذ بداياته «كأداة ووسيلة لتمثيل المجموعات الحضرية والقروية وسكان الضواحي والمجموعات الدولية من مختلف الأعمار والأجناس والأديان والطبقات الاقتصادية والأعراق»². وتضم ثقافة الهيب هوب خمسة عناصر أساسية: "الديجج" Djing و "الإمسين" Mcing و "البريك دانس" Break dance و "الغرافيتي" Graffiti و "البيت بوكسينغ" beatboxing، ومن بين العناصر كلها يشكل الراب أو "إمسين" Mcing الشكل الموسيقي المميز لهذه الثقافة.

بدأ الهيب هوب في الأول عن طريق (Parades Blocks)، هي أشكال احتفالية يقيمها الأمريكيون السود بنيويورك وتحديدا بمنطقة "ذا برونكس" The bronks، بدأ ينتشر إلى المناطق الأخرى بنيويورك على شاكلة "عروض الشارع" Street Shows. كان منسق الإيقاع (DJ⁵) العنصر الأبرز في هذه الحفلات وجمعية المغني (MC) أو (Master of Ceremony)، والذي يقدم "الديجي" إلى الحضور ويلقي مجموعة من النصوص المفقاة على الإيقاع الموسيقي Rythme، وهذا ما سمي بعد 1970 بفن الراب Rap.

انطلق الهيب هوب كحركة من داخل الدفاع عن الفضاء العام والمطالبة بالمكانة داخل الشارع "Rose 1994" و هما سمتين أساسيتين لضمان الهوية داخل شوارع نيويورك، وقد اعتمدت في ذلك مجموعة من أساليب الهيب هوب و من بينها "معارك الراب" "Rap Battles" التي كانت تتنافس فيها مجموعات الهيب هوب لفرض ذواتهم و السيطرة على بعض الأحياء بنيويورك⁶. كما شكل «الهيب هوب للفاعلين داخلية

¹، باللغة العامية الأمريكية السوداء، لتسمية HIP أتت حركة الهيب هوب - الثقافية، الموسيقية والفنية - من الولايات المتحدة. يستخدم مصطلح "قفزة" باللغة الإنجليزية. ويعكس الهيب هوب الرغبة في الانفجار Hop "أولئك الذين داخل اللعبة"، وبالتالي يتشاركون ثقافة الشارع وقوانينها ورموزها. والحياة والطاقة. الهيب هوب جزء من السياق الاجتماعي والحضري المدمر الذي يتسم بالعنف والتدمير في السبعينيات - تدهور الظروف المعيشية، والبيروقراطية الجديدة لرونالد ريغان، وتقليل الجالية الأمريكية - السوداء. يحاول من خلال التعبير الفني (الراب والجرافيتي والرقص...) محاربة العنف في الأحياء الهامشية. Claudine MOÏSE. « HIP-HOP (danse) », Encyclopædia Universalis [en ligne],

URL : <http://www.universalis.fr/encyclopedie/hip-hop-danse/> (consulté le 20 mai 2020)

² -Emmet, G, Price III. Library of congress cataloging-in-publication data, Santa Barbara, California, USA 2006, P:1

³ -الكتابة أو الرسم على الحائط أو الجدار وما إلى ذلك في المكان العام.

-Oxford Learner's Dictionaries, Graffiti, retrieved from

URL: <https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/graffiti?q=graffiti> (last accessed May 20, 2024)

⁴ -عندما تصنع إيقاعا موسيقيا بقمك

- Urban Dictionary. Beatboxing, retrieved from

URL: <https://www.urbandictionary.com/define.php?term=Beatboxing> (last accessed May 15, 2024)

⁵ -شخص مهمته تقديم وتشغيل الموسيقى الشعبية المسجلة، على الراديو أو التلفزيون أو في النادي أو الحفلة، وما إلى ذلك (اختصار "فارس الأسطوانة" disc-jockey)

-Oxford Learner's Dictionaries, DJ, retrieved from:

URL: https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/dj_1 (last accessed May 20, 2024)

⁶ - NIELSON, ERIK. Can't C Me: Surveillance and Rap Music, Journal of Black Studies, 40 (6), 2010, P1256

شكلًا فعالًا للتواصل باستعمال التجارب اليومية كقاعدة لبناء نمط جديد من النقد الاجتماعي¹، «و قد تجلّى ذلك في أسلوب اللباس و اللغة و الجسد و مجموع القواعد المحددة لثقافة الهيب هوب، و كان لمعنى الراب Afrika Bambaataa الدور الأكبر في ترسيخ "أيدولوجيا الهيب هوب" بعيدا عن العنف الذي كانت تنسم به مجموعات الهيب هوب آنذاك. وشكل " منظمة الزولو The Zulu nation " ووضع قواعد هذه الحركة ولخصها في ثلاث مبادئ أساسية وهي "السلام، الحب والوحدة"².

وجد الشباب السود من خلال الهيب هوب طرقا جديدة للتسلية، لكنهم ظلوا أقل تمثيلا وظلت وضعياتهم ضحية سياسات التهميش³. «مما جعل الأسلوب التعبيري للموسيقى داخل الهيب هوب يتخذ شكلا خاصا و موقفا معارضا للثقافة الرسمية، و بدأت أغاني الراب تحيد عن القيم الثقافية و الاجتماعية لمحددات "الثقافة الشرعية" لكن هذا الطابع المعارض لم يكن وليد اللحظة حيث تقترن الأصول الأولى للموسيقى الهيب هوب ارتباطا وثيقا بالتعاير الموجودة في التقاليد الشفوية لأفريقيا الغربية و تشير كيز Keyes في تحليلها للراب و الموسيقى الشعبية أن «الهيب هوب حركة ثقافية تعود جذورها إلى القارة الإفريقية، انتقلت إلى جامايكا ثم بعدها إلى جنوب زابرونكس بالولايات المتحدة الأمريكية»⁴ كما تعتبر Osumare أن الراب يستمد أسلوبه من موسيقى العبيد بمنطقة دلتا DELTA بالمسييسي الأمريكية و كذلك بموسيقى (Dance Hall) بالكاريبي «5غير أن موجة "الهيب هوب" بالولايات المتحدة تميزت عن شاكلتها السابقة بأفريقيا و مواطن انطلاقها. ففي سنة 1970 بدأت موسيقى الراب بالظهور في حفلات كليف كامبل Clef Campbell الذي سيعرف لاحقا باسم Koolherc حيث سيتمكن من تطوير تقنية الإيقاع المقتطع (Break beat) والتي أتاحت للحاضر، من الجمهور، الغناء والارتجال بشكل حر والتعبير بشكل تلقائي مباشر.

تبين معظم الدراسات حول موضوع الراب على انه «شكل من التعبير والكلام الذي يتوجب عليه امتلاك القدرة على نقل القيم السائدة داخل الوسط الحضري داخل وتحديدًا وسط الشباب»⁶. منذ بداياته وبدء تطوره، كان إقصاء الأمريكيين السود من المجال الموسيقي والرياضي أمرا بارزا لا يمكن إغفاله، وتشير هيل كولنز Hill Collins أن «تجمع الفقراء والعاملين الأفارقة الأمريكيين في الغيتوهات جعلهم غير مرئيين

¹- Morant, Keshia M. Language in Action: Funk as the Critical Voice of a Post-Civil Rights Movement Counterculture, Journal of Black Studies, 2011, P: 72

²-Emmet G, Price III. Library of congress cataloging-in-publication data, Santa Barbara, California, USA 2006, P.13

³-Chang, Jeff. Can't Stop Won't Stop: A History of the Hip-Hop Generation. New York: St. Martin's Press.2005

⁴- Cheryl I. Keyes. Rap music and street consciousness, University of Illinois Press Urbana and Chicago, 2002, P:3

¹²-Halifu osumare, the African. an esthetic in global Hip hop, power moves, New York, Palgrave Macmillan, USA, 2007

⁶Boucher Manuel. Rap Expressions des lascars, Paris, L'Harmattan. 1998.P: 23

داخل الأسواق التجارية للضواحي وداخل مجال كرة القدم وداخل المدارس العمومية الجديدة¹». وبذلك شكل البحث عن الهوية السمة البارزة والدافع الرئيسي وراء انخراط الشباب الأسود بأمريكا في موسيقى الراب واعتقاد باقي أشكال الهيب هوب للبحث عنها، أي الهوية، بداخلها. إضافة إلى كونه ثقافة مضادة، الراب والهيب هوب مثلوا لهم أسلوب عيش ولبوا لهم مجموعة من المطالب الروحية والفكرية والجمالية، وكان للوضعية السوسيو اقتصادية المتردية لجنوب "ذا برونكس" من حيث ارتفاع السكان، ارتفاع البطالة، الفقر ونسب الجريمة، الدور الأكبر في تحديد التوجه العام للمواضيع التي تناولتها أغاني الراب، فكانت نصوص أغاني الراب سردا لظروف العيش والتمييز المجحف وأيضا اثباتا لمدى وعي هذه الفئة بوظائف المجتمع وقواعده، وبالتالي إثبات توقعها داخله.

ومع هذا الحيز الجديد أصبحت ثقافة الهيب الهوب «نموذجا يتيح تعبيرا أكثر لأولئك الذين يرون أنفسهم محمشين داخل المجتمع²»، وبذلك يضعون في موسيقاهم روابط أكثر بين العرق والثقافة والوضعية داخل المجتمع.

«وباعتباره منذ بدايته "ثقافة السود"، شكل الهيب الهوب وباقي عناصر هذه الثقافة شكلا من أشكال المقاومة³» ومنبرا لأسع أصوات السود الذين يعيشون بهوامش أمريكا، يمكّنهم من إبداء نوع من عدم الرضا والمعارضة عن مجموعة من القضايا الاجتماعية والسياسية. ولم ينحصر التعبير الشفوي لموسيقى الراب والهيب هوب داخل مجال الجغرافي فقط بل تعداه إلى خارج موطنه "ذا برونكس" إلى باقي أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وإلى خارجها. ويشير D.ABE أن «ما يميز ثقافة الهيب الهوب هو قدرتها على ترجمة معانيها خارج الحدود الثقافية والعرقية والجيلية⁴» وتضيف مورغان Morgan أن «محتوى موسيقى الهيب الهوب يحمل القدرة على تجاوز ليس فقط الحدود الوطنية بل الحدود اللغوية⁵» ومن خلال هذه الموسيقى يظهر كل فرد منضو تحت لواء هذه الثقافة تعبيرا خاصا عن المقاومة والرفض وعدم الرضا. كان يعتمد في انتشاره على هذه النقط بالخصوص، إعطاء الفرصة لسكانة الأحياء الهامشية من أجل التعبير عن الرفض والتمييز وكل مظاهر الإقصاء الاجتماعي دون الحاجة إلى تلك القيود التي تفرضها الأنواع الموسيقية الأخرى على من يريد أن يصبح

¹Hill Collins, P. From Black power to Hip-hop. Philadelphia: Temple University Press.2006. P:34

²Rose, T. Black Noise: Rap Music and Black Culture in Contemporary America London: Wesleyan University Press.1994. P: 2

³Ibrahim, A. E. K. M. Becoming black: Rap and hip-hop, race, gender, identity and the politics of ESL learning. TESOL Quarterly, 33(3), 1999. P: 355

⁴Abe, Daudi. Hip-hop and the academic canon. Education, Citizenship and Social Justice, 4(3). 2009. P:264

⁵- Morgan, Marcyliena. "Nuthin'" but a G thang: Grammar and ideology in hip hop identity. In S. Lanehart (Ed.), Sociocultural and historical contexts of African American English, Philadelphia: John Benjamins. 2001, P : 187

فنانا منتميا لها. فكيف إذن وصل هذا الفن إلى المغرب؟ وما هو المسار الذي عرفه قبل أن يصبح الراب على الشكل الذي نشهده اليوم؟ وكيف ساهمت الظروف الاجتماعية في تطوره؟

2. الهيب هوب بالمغرب: نشأته وتطوره

ظهرت ثقافة الهيب هوب بالمغرب العربي في أواخر القرن العشرين و «قد مكن ذلك شباب المناطق الحضرية من توظيفه كأداة يعبرون من خلالها على نقدهم للوضع السياسي والاجتماعي»¹. ومن خلاله حاول الشباب المغاربي الهروب من قبضة الدين والنظام السياسي وترى E. Cestor أن «الانضمام لمجال الهيب الهوب يعد بديلا للنقص عند الشباب وهذا الانفتاح عن ما هو أجنبي رمز عن الرغبة في أن يصبحوا مواطني العالم»². «أما في المغرب، فلم يكن للراب مكانته داخل الإعلام العام والرسمي في منتصف التسعينات فقد كان الراب يعد نوعا غريبا يدل على الامبريالية الثقافية الأمريكية»³. ومنذ سنة 1994 بدأت بوادر موسيقى الراب تتسلل إلى بعض الشباب المغربي حيث بدأ "أمين أوفيس Amine office" بسلاو "مسلم Muslim" بطبعة كتابه أعاني الراب. وفي سنة 1996 أنشأ مسلم مجموعته الأولى مع مغني راب آخرين، وفي نفس السنة سيطلق "أمين أوفيس" أول البوم في تاريخ الراب المغربي مع مجموعته «A» «Double بسلا والبوم ثاني سنة 1998. وبعدها بسنتين سيطلق مسلم أول البوم له مع مجموعته الثانية "الزقة فلو" ⁴ ومنذ ذلك الحين بدأت بعض أشكال ثقافة الهيب الهوب بالظهور ولو بشكل خافت وفي حفلات خاصة بالبريك دانس (Breakdance) والديدينج (Djing) التي كانت تنظم بالدار البيضاء والرباط. وفي شمال المغرب كانت الداويز "Dawliz" بطبعة نقطة التقاء "شباب الهيب الهوب". ولعب مغني الراب "مسلم" دورا هاما في الجمع والتنسيق بين مختلف الفرق بجهة الشمال. في الدار البيضاء ساهمت المبادرات التي قام بها الشباب رفقة مدير مسرح محمد الخامس والمبرمج السابق لمهرجان الدار البيضاء "هشام عبكري" بتصوير وتسجيل مقاطع بالحي المحمدي وعرضها وتنظيم حفلات مصغرة لاستقبال شباب الهيب الهوب المغربي. وفي الفترة الممتدة بين 1999 و 2010 بدأت مجموعات أخرى من مناطق مختلفة بالمغرب بالظهور مثل مجموعة "أش كاين

¹- Felix Wieldmam. L'alternative codique dans le rap algérien et tunisien. L'année du Maghreb n° 14, 2016, P: 57

²-Cestor, Elizabeth. Rap and Religion, the case of Maghreb, Barcelona; International sociological Association, 2008, introduction.

³- Cestor, Elizabeth, ABKARI Hicham L'irruption du rap au Maroc : Entretien 21 Octobre 2020 2008, <http://africultures.com/lirruption-du-rap-au-maroc-8120/>(consulté le 21 mai 2024)

⁴-Cristina Moreno Almeida, Rap Beyond Resistance Staging Power in Contemporary Morocco Library of Congress, Palgrave Macmillan, London, UK,2017, P,34

"H-Kayn بمكناس ومجموعة "Fnaire "بمراكش وThug gang ومجموعة "wydadone" لمغنيات الرب بالدار البيضاء ومجموعة "MafiaC " بنفس المدينة.

تطوره

« بعد ظهوره بالمغرب منذ بدايات التسعينات على شكل underground أي على شكل موسيقى تخلق خارج الحدود أو الغاية التجارية وهي تتميز باحتوائها لمجموعة من المواضيع ويتشكل الجمهور فيها من الأصدقاء العائلة والأقارب »¹ لكن مع ذلك « يهدف "الرابور" من خلالها لإساع صوته ووضع اسم له داخل الصناعة الموسيقية² »

وقد انطبق ذلك على شباب المناطق الحضرية بالمغرب الذي انخرط ضمن حركة الهيب هوب آنذاك. ففي سنة 1999 وبعد تولي الملك محمد السادس العرش، بدأت أولى بوادر القطيعة مع العهد القديم والشروع في بناء جسور التواصل مع باقي فئات المجتمع بهدف إحداث تغيير رمزي على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية كذلك، حيث تم إنشاء محطات خاصة لراديو الشباب وموسيقاهم، يعالجون فيها مواضيع كانت ترى على أنها طابوهات من قبيل الرشوة، الجنس، اللامساواة الاجتماعية وقد منحت لهم حرية أكبر للتعبير عن آرائهم واحباطاتهم. وتوج ذلك بانطلاق مهرجانات الموسيقى منذ سنة 2000 وتم إحياء أول حفل لموسيقى الهيب هوب سنة 1999 للجمع بين أعضاء هذه الثقافة، وفي سنة 2002 شهدت القاعة المغطاة محمد الخامس حضور العديد من مجموعات الرب وكان هذا الحدث سببا في التعريف بموسيقى الرب بالمغرب خارج حدوده الجغرافية.

« غير انه في سنة 2003 تم كسر هذه الروح الجديدة نحو التغيير ببروز حدثين مهمين، الأول هو اعتقال 14 فردا من مغني Heavy metal بالدار البيضاء، في مهرجان الموسيقى الحضرية "البولفار" ومتابعتهم بتهمة "عبادة الشيطان"، مما أجج الشباب الموسيقي وجعله يتساءل عن موقع الفن داخل المنظومة الإصلاحية

¹ - Harrison, Anthony Kwame "Cheaper than a CD, plus we really Mean IT: Bay Area Underground Hip Hop tapes as subcultural artifacts popular music, Cambridge University Press, 2006, P: 283

² - Oware, Matthew "unconscious (popular) underground restricted cultural production and underground rap music 42, December 2013.P: 62

³ تحول مشهد الرب المغربي، الذي كانت تُجمن عليه في البداية اللغة الانجليزية، مع انطلاق مهرجان البولفار السنوي، وهو مهرجان للأغنية الحضرية انطلق في عام 1999 ليتنافس فيه الفنانون في ثلاث فئات: الرب/ الهيب هوب، والروك/الميتال، والفوجن. وبحسب نرجس "في المنافسات، يتوجب عليك غناء الرب بالدراجة". وأضافت "وضع هذا أسس الرب العربي في المغرب. فرق مثل آتش كاين وفرقة عود ليل عناصر أساسية أيضاً، ومن أوائل المشاركين في الحركة". وأيضاً كما تقول نرجس، فقد استفاد مشهد الرب في البلاد من الحرية التي بدأت بعد وفاة الملك الحسن الثاني عام 1999.

- نرجس بهار، صحيفة تعمل في مجال الإذاعة ومديرة مشروع الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لمنصة البث الموسيقي Deezer، مقتطف من حوار لها مع مؤسسة الفنك الإعلامية الالكترونية، موسيقى الرب في المغرب مشهد مزدهر وديناميكي، <https://fanack.com/ar/music/moroccan-rap> (تحقق منه 21 ماي 2024)

الجديدة وبعدها بفترة قليلة وقع الهجوم الإرهابي على الدار البيضاء في 16 ماي من نفس السنة مما زاد من تعقيد وضعية المغرب داخليا وخارجيا. لكن بالمقابل صرقت الأنظار عن "البولفار" والموسيقى الشبابية وفتح الباب لحركة "نايضة" التي لم تكن وليدة الفترة بل تمتد جذورها إلى التسعينات إلا أن هذه الأحداث جعلتها ترى النور وإعادتها للواجهة، وجعلت منها حركة فنية مقاومة للإيديولوجية الإسلامية المتطرفة. ساهمت في الكشف عن الساحة الفنية الجديدة التي تميزت بظهور موجة جديدة من أغاني الراب وكانت هذه الأغاني ذات طابع وطني Patriotic Rap¹ تدعو إلى الحفاظ على الوحدة والأمن وسلامة البلاد والوقوف ضد الإرهاب الذي يهدد استقرارها وبرز في ذلك مجموعة من مغني الراب مثل مجموعة "اشكاين" و"فناير" "مسلم" "بيغ" وآخرون. وتشير Almeida إن "الراب الوطني" فتح الباب لمغني الراب لمزيد من التعبير والإبداع والدخول بثقافة الهيب الهوب إلى الإعلام الرسمي المغربي ليصبح مقبولا اجتماعيا ويعتبر جزءا لا يتجزأ من ثقافة الشباب المغربي المعاصر² وتضيف أن «المجموعات التي نجحت في ترويج الصورة الايجابية عن المغرب كمجموعة "فناير" و"اشكاين" لقوا دعما من الدولة، وستنتج أغاني الراب بعد ذلك نحو الطابع الموضوعاتي thématique الذي يحمل رسائل ويعالج مواضيع اجتماعية راهنة»³.

« وفي سنة 2005 تم تأسيس مهرجان الفن بالدار البيضاء، والذي كان أول مهرجان وطني يستضيف مغني الراب، وقد شهدت ساحة "نيفادا" آنذاك أكبر تجمع لجمهور الهيب الهوب في المغرب 4 وبذلك كانت انطلاقا للراب المغربي نحو المنابر الإعلامية الرسمية وبدا ما يسمى بالراب "التجاري commercial" حيث تعاقدت مجموعة من الشركات الإنتاجية مع مجموعات مختلفة من ضمنها مجموعة "اشكاين" ومجموعة "فناير" بغرض الترويج لأغانيها. كما بدأ "الراب التوعوي Conscious Rap" كذلك بالظهور بقوة في هذه الفترة، حيث بدأ بعض مغني الراب بالتنسيق فيما بينهم بهدف الرفع من مستوى محتوى أغاني الراب كتنسيقية "بيرانا لابو Pirannha Labo"، التي تضم مغنيين من مختلف مدن المغرب .

في سنة 2011 وعقب الربيع العربي دخل الراب منحى سياسي، حيث عملت هذه المرحلة على توفير الظروف الملائمة للمزيد من الانتاجات خاصة من الراب السياسي وأصبح الراب قناة للتعبير الآراء السياسية

¹ - Cristina Moreno Almeida. Rap Beyond Resistance Staging Power in Contemporary Morocco Library of Congress, Palgrave Macmillan, London, 2017, P: 51

² - Ibid. P : 52

³ - Ibid. P : 52

⁴ -Cestor, Elizabeth, ABKARI Hicham L'irruption du rap au Maroc : Entretien 21 Octobre 2008, <http://africultures.com/lirruption-du-rap-au-maroc-8120/> (consulté le 21 mai 2020)

إلى المسؤولين والمجتمع والمطالبة بالفضاء السياسي، وكان من الممكن اعتبار الراب الوسيلة المثلى لتغيير الياكولوجيا السياسية والاجتماعية للبلاد، لولا اختلاف الآراء بين مغني الراب أنفسهم وبعد سنة 2014، عرف الراب المغربي تحولا جذريا لا زال أثره جليا إلى حدود الساعة حيث بدأت ملامح المدرسة الجديدة بالظهور و ظهر معها مجموعة من الشباب كمجموعة "شايفين Shayfeen" و "حليوة 7liwa" و "لفردة Lferda"، "طوطو toto" وآخرون. وظهرت موجة "التراب TRAP" مميزة لموسيقى الراب في هذه الفترة حيث "لم يعد ذاك الاهتمام بتدوير الرسائل من خلال أغاني الراب يحظى بالأولوية، بقدر ما تم الاهتمام بالإيقاع الموسيقي واعتماد الطابع الكوميدي والمرح"¹.

3. مفهوم الراب السجني Rap carcéral

لا يشكل الراب السجني شكلا مستقلا داخل الراب بل هو نوع يعبر عن كل الأشكال الأخرى. حيث يمكن أن نجد داخل ألبوم راب ينتمي الى الراب underground أغاني تتحدث عن السجن وعن التجربة السجنية مثل ألبوم ميستر كريزي "88"، أو داخل الراب السياسي Rap Politique بعض الأغاني التي تتناول معاناة النزلاء داخل المؤسسة السجنية مثل ألبوم معاذ الحاقد Mixtape walou.

ان الغاية من استعمال مفهوم الراب السجني هو الدلالة على تلك الأغاني التي تجعل من السجن والتجربة السجنية موضوعا رئيسيا لها. كما يمكن أن نطلق هذا المفهوم على أغاني راب تحضر داخلها كلمات مكتنفة من المعجم السجني، دون أن يكون الغرض من الأغنية هو الحديث عم التجربة السجنية مثل أغاني Moro، وتكون هذه الكلمات بغرض التباهي وجعل الخطاب أكثر عنفا.

وبين الجدول التالي نماذج لمجموعة من أغاني الراب ونسب مشاهدتها وهو ما يبين مدى جماهيرية هذا النوع الموسيقي:

عدد المشاهدات	اسم الأغنية وسنة إصدارها	اسم المغني
3.1 مليون مشاهدة	Rollo, 2018	Stoor
1.7 مليون	Rollo, 2019	Stoor&skizo
609k	الحبس، 2014	معاذ الحاقد
10k	من وسط الحبس، 2016	Chahtman
5.7 مليون	لبلاد ديال الحبس، 2014	Khatirman

¹- ABDELHAK SENNA "Moroccan Rap, a Booming and Dynamic Scene,« 25 October 2018,[Consulté le 30 mai 2024].https://fanack.com/music/moroccan-rap/?gclid=CjwKCAjw8df2BRA3EiwAvfZWaE7PtIEFeVSkPyZ0V-LK-vHvU4VCC8ckiSngBgf0C1HF6DM3TmxwwBoCBBIQAvD_BwE.

عدد المشاهدات	اسم الأغنية وسنة إصدارها	اسم المغني
27k	حياة عشير، 2018	Khatirman
2.4 مليون	زيارة، 2015	Mr crazy
2.5 مليون	حليت عيني، 2009	عمر
16 مليون	حياة المسجون، 2008	مسلم
18 مليون	30، 2018	أيوب انبوي
36 مليون	2018، Lappel	7-Toun

ثالثا: الثقافة السجنية

1. مفهوم الثقافة السجنية

إن المقاربة السوسيولوجية للثقافة السجنية ستمكننا من الغوص عميقا في الكشف عن طرق واليات بناء وتشكل هذه الثقافة.

يشير مفهوم ثقافة السجن إلى الدليل على توافر شرط الإحساس بالانتماء وإدراك النزول لانتائه إلى جماعة السجن، كما يشير مصطلح الثقافة عند الأنثروبولوجيين إلى أسلوب الحياة الذي يميز مجتمعا عن غيره، فقد أوضحت الدراسات الأنثروبولوجية أن السجن يتميز بأسلوب حياة خاص مختلف عن نظيره في المجتمع المحلي الكبير، حيث أوضحت أن للحياة في مجتمع السجن نمطا خاصا وأن النزلاء قد طوروا ثقافة خاصة تستجيب للظروف التي يعيشونها، بحيث تسود السجن عادات، أعارف، قوانين، قيم، ومعايير متميزة تماما عن تلك السائدة في المجتمع الكبير. إنها نتاجات رمزية ومادية يتم التكيف معها والانضباط إليها¹، تأخذ شكل مجموعة مقررة من العادات التي تحظى بالقبول الضمني في كل سجن من سجون العالم، وتنتقل هذه الثقافة من النزلاء القدامى إلى النزلاء الجدد كنوع من الخبرة اللازمة للتكيف من داخل حياة السجن، وأن أولئك الذين ليس لديهم مثل تلك الخبرات يتعرضون لكثير من المواقف الصعبة والاستغلال، بل وتستحيل عليهم الحياة في السجن. ويعتبر "دونالد كليمير Clemmer أن ثقافة السجن هي نوع من التفاعل داخل السجن، وهي مراحل إدماج القيم التي تظهر من خلال أشكال الحياة الخاصة بعالم السجن من انضباط وتفاعل مع الظروف. هي ثقافة

¹-العطري عبد الرحيم: المؤسسات العقابية وإعادة إنتاج الجنوح، رسالة ماجستير في علوم التربية، كلية علوم التربية، الرباط 2003-2004، ص: 119.

تصنف كعامل استثناء الجريمة بناء على قيمها الخاصة (الولاء للسجناء الآخرين والعداء للموظف الذي ينظر إليه كممثل للمجتمع الكلي)¹.

بالرغم من أن "مصطلح ثقافة السجن أصبح منذ مدة شائع الاستخدام داخل الحس المشترك وكذا داخل الخطاب الأكاديمي للعلوم الاجتماعية"²، إلا أن هناك انقسام داخل السوسيولوجيا بين من يعتبرها ثقافة، أي الثقافة السجنية، وبين من يعتبرها ثقافة فرعية منضوية تحت الثقافة المجتمعية العامة. فريق ذهب إلى اعتبار مجتمع السجن استمرار للمجتمع الكبير بجميع خصائصه الثقافية، في حين ذهب الفريق الآخر إلى اعتبار السجن مجتمعا مستقلا عن المجتمع خارجه له ثقافته الخاصة. دون التفصيل والدخول في هذا النقاش الدائر منذ تأسيس سوسيولوجيا السجن، إن الذي يهمنا نحن هو البحث عن هذه الثقافة داخل موسيقى الراب "المحاسبي" خصوصا ومحدداتها لمعرفة الصورة التي ترسمها في أذهان من يستمع لهذه الأغاني من الشباب.

2. الشباب وثقافة السجن

كلمة ثقافة (culture) تشير إلى أسلوب الحياة الذي يهجه أعضاء مجتمع أو جماعة ما. تشمل الثقافة على هذا الأساس، أسلوب ارتداء الملابس وتقاليد الزواج وأنماط الحياة العائلية وأشكال العمل ونوعية الترفيه والترويح عن النفس، وتتألف الثقافة من جوانب مضمرة مثل المعتقدات والآراء والقيم التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة ومن جوانب مشاهدة وملموسة مثل الأشياء، الرموز أو التقنية التي تجسد هذا المضمون «³. إن الثقافة هي إحدى المفاهيم الأساسية للسوسيولوجيا عامة والأنثروبولوجيا خاصة، ويعرفها إدوارد بيرنيت تايلور ب « ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والأخلاق والعادات والعرف وكافة القدرات والأشياء التي تؤدي من جانب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع »⁴.

تعتبر ثقافة الشباب، ثقافة فرعية أو ثقافة ثانوية. واستخدم مفهوم الثقافة الفرعية لأول مرة في العلوم الاجتماعية من طرف الباحث فريدريك تراشر

¹-Manuela Ivone Cunha: Sociabilité, «société», «culture» carcérales. L'exemple de la prison féminine de Tires (Portugal), Traduit du portugais par Jean-Yves Durand. TERAINE anthropologie et sciences humaines. Edition la fabrication des saints. 1995, P : 120

² - Ibid, P : 119

³Anthony Giddens : sociologie, 4ème édition, 2005, P : 79-82

⁴Taylor E.B: primitive culture, John Murray, London,1871

Frideric Tracher عندما قام بدراسة مجموعة عصابات بمدينة شيكاغو عام 1927، وفيها توصل أن الجماعات الجانحة تتميز بعادات وقيم مشتركة نتيجة تأثرهم بالبيئة التي نشأت فيها، والتي جعلتهم منعزلين عن الوسط الاجتماعي.

إن ثقافة الشباب هي مجموعة من القيم وطرق التحدث وأنماط من السلوك التي تميز الشباب عن غيرهم من أفراد المجتمع. وظهرت في خمسينات القرن الماضي عندما تحرر المراهقون من متطلبات الحياة الاجتماعية وطوروا أنماطاً من اللغة والمظهر وأشكال من الموسيقى كطريقة أو أسلوب حياة¹، وقد كانت أول دراسة عن ثقافة الشباب في المملكة المتحدة لمارك أبرهامز تحت عنوان (المستهلك المراهق في سنة 1959).

شهد النصف الثاني من القرن العشرين تعدد الثقافات الفرعية للشباب مثل جماعات الهيزم والروك والهيب هوب وأصحاب العلامات والشعارات وغيرهم. وقد استحوذت ثقافة الشباب هذه على اهتمام الآباء والسلطات ووسائل الإعلام وكانت محط الاهتمام والدراسة من قبل علماء الاجتماع².

مع بداية القرن الحادي والعشرين، أخذت ثقافات الشباب الفرعية في التحول من التنوع إلى التجانس بفعل تأثيرات العولمة والتوسع الهائل في استخدامات الشبكة العنكبوتية من قبل الشباب حيث ظهر ما يعرف بالجيل الجديد أو جيل الألفية، حيث أصبحت ثقافة الانترنت هي الرابط المشترك بين أعضائه³.

أصبحت ثقافة الشباب تعكس مواقف الشباب نحو بعض قيم المجتمع وطموحاتهم وطرق احتجاجهم على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. يعتبر جون بودون «أن الحياة الاجتماعية لا تعترف بغير الفاعلين في صميم هذه الحياة»، الشيء الذي يجعل الشباب خارج نسق الفعل الاجتماعي، كما أن الشعور بالإقصاء والتهميش وعدم الاعتراف والاعتزاز يحول هذه الفئات لمجتمع مصغر يخلق رابطاً اجتماعياً جديداً. هذا ما يخلق صراعاً ثقافياً خفياً بين العقل الجمعي للمجتمع والتحرر الشبابي، ويفرز ثقافات بديلة تتماشى وانتظارات هذه الفئة من الشباب التي تنخرط بقصد أو بدون قصد. وبالتالي إعادة إنتاج وضعيات جديدة داخل المجتمع مجسدة في ثقافات فرعية تحملها جماعات مثل موسيقيي "الراب" ومتبعيهم، حيث لا حدود للكلمات والألفاظ المستعملة ولا وجود للضبط الاجتماعي داخل المجموعة. وهذا ما عبر عنه هاورد بيكر Haword Becker في كتابه "Outsiders" عن مهن الانحراف⁴ la carrière déviante في دراسته لموسيقيي الجاز، عندما تحدث

¹Muncie: youth and crime, SAGE publications, London 2004, P: 157

²Ferrel and Sanders: cultural criminology, first Edition, northeastern University, 1995, P: 4

³Jones, S., & Fox, S. (2009). Generations Online in 2009. Pew Research Center <http://www.pewinternet.org/Reports/2009/Generations-Online-in-2009>, P:7

⁴Haword. S. Becker : outsiders. Traduit de l'américain par J-P. Briand et J-M. Chapoulie, édition Métailié, 2005, P:126-139

عن المسار الانحرافي أو الهروبي للشباب الذي يبدأ بـ l'étiquetage وينتهي بممارسات يرفضها " الضبط الاجتماعي " أو "الوعي الجمعي " كما يسميها إميل دوركايم¹. هذه الممارسات المرفوضة من طرف المجتمع، نجد أن الشباب يتقبلها ويمارسها بشكل عادي، وبالتالي نتحدث عن إعادة الإنتاج لوضعية اجتماعية جديدة.

فالشباب إذن يعملون على تغيير ثقافتهم الخاصة بما يناسب طموحاتهم واهتمامهم كاستجابة للمتغيرات التي يشهدها البناء الاجتماعي المعاصر، فالتحدث عن الشباب يذهب بنا إلى التحدث على مجتمع شباب يعيش داخل المجتمع الكلي، كما عبر عن ذلك « George Balandier » إن المجتمعات عندما تعي بوجودها وبالصعوبات التي تعترض سعيها إلى الاستمرارية، أي إعادة إنتاج نفسها، فإنها تعيد النظر في نسق التنشئة وتطرح الأسئلة على شبابها وعمها هي فاعلة به، وتتقبل في نفس الوقت الأسئلة التي تطرحها الأجيال الصاعدة التي ترفض ما يقدم لها وتستعد لأخذ مكانها في الوقت المناسب. إن مجرد النقد البسيط بين المراحل العمرية يتحول إلى نقد موسع للمجتمع وأن التفكير في الشباب يعني التفكير في كل شيء (المدرسة، العمل....) إن الشباب بالقدر الذي يخفي فهو يبرأ أيضا... » 2

3. الثقافة السجنية من السجن إلى المجتمع

شكلت العلاقة بين السجن كفضاء اجتماعي يهدف إلى تحقيق الضبط الاجتماعي والتوازن وبين العالم الخارجي إحدى المواضيع الرئيسية في السوسيولوجيا، وإلى تأثير هذا الفضاء على الأفراد سواء بالسلب أو الإيجاب.

يتضح أن للحياة في مجتمع السجن نمطا خاصا وأن السجناء قد طوروا ثقافة خاصة تستجيب للظروف التي يعيشونها وتنقل هذه الثقافة من السجناء القدامى إلى الزلاء الجدد كنوع من الخبرة اللازمة للتكيف مع الحياة داخل السجن، كما يمكن أن تنتقل هذه الثقافة من داخل السجن إلى خارجه أو العكس. ويعتبر السجن على ثقافة السجن من خلال عملية محددة أسماها المتخصصون " التنشئة السجنية " prisonirisation لتشير بذلك إلى الأثر الذي يحدثه السجن على السجين الجديد، حيث يتعلم ثقافة السجن بنفس الطريقة التي يتعلم بها الطفل ثقافة المجتمع. حيث يعود على الإشارة له والمناداة عليه برقم ويتعلم معاني لغة السجن والتأقلم مع الحياة الجديدة. ظلت نظرية "التنشئة السجنية " لكليمر ودراسته للحياة داخل السجن محيطة على الحقل الأكاديمي إلى حدود 1950 وبداية 1960 حيث ظهرت مجموعة من الدراسات السوسيولوجية كان أبرزها "مجتمع السجناء " "the society of captives" 3 لسايكس غريشام "Sykes Gresham" سنة 1958 في

¹ إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود القاسم، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1961، ص: 32 و 35

² Georges Balandier anthropo-logique, PUF, Paris 1974, P: 85

³ Sykes Gresham, the society of captives: A study of a maximum-security prison university press, 1964

دراسة لسجن بولاية نيوجيرزي بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي دراسته يشير غريشام إلى أن نظرية "التنشئة السجنية" لا توضح أصل الثقافة السجنية ومصدرها فالسجن بطبيعته "يفرض ضغوطا وآلاما تؤثر على العلاقة بين السجناء وعلى السجنين التأقلم مع الاحتياجات المختلفة للوسط السجني، ويعتمد غريشام في تحليله على نظريته "المنع" deprivation فالمنع الذي يتعرض له السجنين من ممارسة للحياة الطبيعية ك"الحرمان من الحرية و الخدمات والعلاقة الجنسية الطبيعية و الاستقلال و الأمن " يؤدي إلى الهرمية بين السجناء واعتماد الأنشطة المشبوهة و التعاملات الغير شرعية داخل السجن ومن هنا تتشكل اللبنات الأولى للثقافة السجنية عند السجنين.

كما قارب سايكس مفهوم الثقافة السجنية من حيث لغة السجنين وأضاف مصطلحا جديدا وهو الثقافة المضادة وذلك عند دراسته لـ "argot carcéral" حيث يعتبر أن هذه الثقافة هي تكريس لمبدأ التضامن بين السجناء ويكون السجنين في حيرة بين المواقف الجماعية التضامنية التي تدعوه إلى مواجهة المؤسسة السجنية، وموقفه الفردي الذي يدعوه إلى التنازل والانضباط.

وفيا يتعلق بمسألة تكيف السجناء داخل السجن فيمكن استحضار مساهمة Erving Goffman في كتابه "Asiles" الذي نشره سنة 1961 في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بناء على دراسة ميدانية معمقة لمستشفى الأمراض النفسية. ويرجع له الفضل في تعميم مصطلح "المؤسسة الشاملة" أو التكيف الأولي والثانوي¹.

بالنسبة لغوفمان " المؤسسة الشاملة أو الكلية كمكان إقامة وعمل حيث يوجد عدد كبير من الأشخاص في نفس الوضع، منقطعين عن العالم الخارجي لمدة طويلة نسبيا ويعيشون جاعة في عزلة حسب طريقة مقننة وواضحة ". وقد حدد هذه المؤسسة الكلية في خمسة أنواع من بينها السجن الذي يحمي المجتمع من الأشخاص الذي ينظر إليهم على أنهم يشكلون تهديدا له ولأعضائه وتهتم هذه المؤسسة بحماية الجمهور وإعادة تأهيل أعضائه. أما التكيف الأولي هو الفعل الذي تفرضه المؤسسة على المحبوس من خلال منحه أدوار محددة، وذلك بفضل مختلف الوسائل كزعم الشخصية dépersonnalisation أو الاذلال mortification والهدف منه هو تكيف سلوك المحبوس على احترام القوانين الداخلية للمؤسسة. أما بالنسبة للتكيف الثانوي هو قدرة المحبوس على عدم الامتثال للقوانين الداخلية سواء بمواجهتها بشكل صريح، أو بمحاولة التكيف معها مع المحافظة على هويته الخاصة.

¹ Erving Goffman, Asiles. Etudes sur la condition sociale des malades mentaux et autres reclus, Paris, les éditions de Minuit, 1968, chapitre 3 p :299

بعد عملية الإفراج، يتعرض السجين الحامل لثقافة سجنية خارج أسوار السجن إلى الوصم الاجتماعي من طرف المجتمع ويعتبر غوفمان الوصم في كتابه "الوصم: الاستعمالات الاجتماعية للإعاقة" هو تلك الخاصية التي قد يحملها الفرد في مجتمع سمنحها تقييما ورمزية سلبيتين، إن سلبيتها وسلبية حاملها مرتبطة بشكل وثيق بمسألة اكتشافها في وضعية تفاعلية ما، حيث يصبح حاملها موضوع نظرة دونية ويتحول بذلك إلى منحرف عما ينبغي أن يكون، أي عن قواعد المجتمع المعيارية. وهذا فالفرد يصير موصوما في اللحظة التي يقدم فيها نفسه في وضعية تفاعلية زمكانية حاملا لخاصية ذات رمزية سلبية. وضعية تفاعلية زمكانية، تعني أن الوصم ليس مسألة كونية، فهو غالبا ما يرتبط بزمان معين ومكان معين. فالرمزية السلبية التي تعطى لخاصية ما، مرتبطة بشكل وثيق بهذين المحددين. وهذا يؤكد غوفمان أن الوصم لا يفهم إلا من داخل العلاقة التفاعلية وخصوصياتها. لقد قسم غوفمان الوصم إلى ثلاثة أنواع¹:

- الوصم الجسدي، أي كل الخصائص التي يحملها جسد معين ويتم تقييما ومنحها رمزية سلبية.
- الوصم النفسي، أي خصائص نفسية ذات رمزية سلبية بالنسبة لمجتمع معين فإذا ما تم منحها لشخص معين يصبح موصوما.
- الوصم الجماعي، أي الوصم الذي يخص الجماعات الموصومة نظرا لحملها خصائص ينظر لها من زاوية دونية.

كما يضطر السجين إلى البحث عن رفاق في نفس وضعيته والالتقاء الى مجموعات منحرفة " تقنيات التحييد"²والاستماع إلى نوع موسيقي الذي يصور واقعهم الاجتماعي ومعاناتهم وبالتالي انغماسهم في ثقافة فرعية أو الرغبة إلى العودة الى السجن. ومن خصائص الثقافة الامتداد والانتشار والتأقلم وبالتالي سيتم تسريب هذه الثقافة إلى فئات أخرى خاصة الشباب. ومن أهم الوسائل المساهمة في انتشار الثقافة السجنية في المجتمع هي أغاني الراب حيث أن العديد منها كتب داخل أسوار السجن أو حكايات سجنية من خريجي السجون ويمكن تقسيم هذا النوع الموسيقي إلى قسمين: قسم متمرّد على القيم والمبادئ ويمكن تصنيفه في الثقافة الدونية يحمل معاني وتعايير معادية للحياة المجتمعية ويحاول تصوير الواقع السجني بشكل تشجيعي على الجريمة ودخول السجن، وقسم توجيهي لتفادي الوقوع في الأخطاء من خلال سرد تجارب الآخرين.

¹ Erving Goffman, Stigmatized/les usages sociaux des handicaps, édition de minuit, 1975, traduit de l'anglais par Alain Kihm, P : 14

² Gresham sykes and david matza "Techniques of neutralisation :a theory of delinquency. American sociological review, 22 december 1957, p666-9

أغنية الرابور مسلم بعنوان: حياة المسجون

مسجون، مدفون، مركون

يحسن عوانو مول الكون عالم خبيث بين لحيوط باش الساعة تفوت

خص 60 دقيقة فيها تموت والمسجون يصوط فك وخبل فالحيوط الوقت مات والحبس دخل والقلب مخلوط

الواقع وجهو مقحوط الحياة بلا ملامح والموت مبهوت إبليس مشوكي مشلوط

فبني آدم كيفاش ولى مسخوط سبوعة دالزقة هنايا قطوط

لقليل لي باقي راجل والباقي قوم لوط الصحة والعنف مشروط

باش عتجيب راسك إذا كنتي ضعيف مزلوط؟ البلا نطو فالكبران مربوط

فلان دخل فلان خرج فلان صبح مخبوط الشتوة برودة و الصيف سخوط

حياة المسجون كتابة بلا تقوط حياة المسجون بلا لون في روضة الحي المدفون

بيت 4 دالحيوط مركون مسكين يحسن عونو مول الكون

و قليل لي يعرف يدوز حبسو خلاه فالفشل داخل عليه الوقت جالس مهموم فالقنت يحاسب نفسو

كي يشوف سنين محياتو ضايعة مور لجرية عشيري راك مسجون غير انسى الحرية

ماكان لاش ادوز حبسك نادم ربي عالم راك مظلوم ولا ظالم

غير اتكى على المنتيف ديالك عسكري فشومبري و ميزك خيالك من عديانك

عرف كيفاش تجيب معاهم راسك ، قيس الي قاسك و الي باغي يقيسو اسقيه السم لي في كاسك

كانت الزقة فيها الحقرة هناية ثرييلي و إذا المخزن فالزقة حقار هناية ريجلي

ما تنا غير مسجون و الدولة خاسرة عليك ميزانية فالحبس طويي الحقرانية

ولف وتانس و حبس العقلية الرحمة من عند الرب و العفة برانية.

بعض الكلمات المتداولة في السجن و في موسيقى الراب

العدد	الكلمات	معانيها
01	البانوار	الفقة التي يتوصل بها النزول من عائلته
02	الساطة	الصديقة او الخليفة
03	البلاكة	قطعة حشيش
04	البوجادي	كل جديد مبتدئ قليل الخبرة و الحيلة. في السجن ينادونه على السجناء الجدد الوافدون لأول مرة و تعود أصول هذه الكلمة الى فترة الاحتلال الفرنسي و ظهور نجم سياسي شعبي ساذج و بسيط و قليل الخبرة يسمى PIERRE POUJADE
05	البيدونسي	كل ما هو سجنى (غطاء ، خبز ، لباس سجنى) و ذلك للتفريق بينها و بين الأشياء القادمة من خارج السجن
06	بلاندي	الباب الحديدي للغرفة
07	جاكية	علبة سجائر
08	جروندية	الجرذ
09	بنيكس	الفقر
10	ولد بنيكس	الشخص الذي يفتقر للزيارة في السجن وأيضا الشخص المجهول الهوية
11	بهي /بيليكي	بالجان
12	باطو	الموظف الذي يسرب المنوعات للسجناء
13	بطانة	الضحية الميت
14	بولة حمراء	مهدئات الاعصاب او القرقوي
15	الحب / قافا	الحبوب المهلوسة
16	حامة	ورقة نقدية من فئة 100 درهم
17	الحناش	الشرطة
18	البينكة	النقود
19	التدراج	التزوير
20	الباراطو	رجل المنظم لجلسة القمار
21	بركاسة	مكان وضع القمامة
22	الحناة	الام
23	الخوادي	الاخ
24	الدار الحمراء	مركز الشرطة او الدرك
25	الدمالج	الاصفاد
26	الجانكة	الكحول
27	الدكاكة	نجاح السجناء في خداع الموظفين وإدخال المنوعات

العدد	الكلمات	معانيها
28	تشويننا	اناء الأكل
29	التخطاط	ايداء الذات بالة حادة
30	طاكسي	الموظف الذي يوصل الممنوعات للسجناء بدون مقابل
31	رولو	لفة الاقرشة
32	لاكار	ارضية الغرفة
33	لاركة	الجرب
34	تحنك	ضرب الوجه بالة حادة
35	سيلون	la cellule الغرفة
36	حميدة	الشخص البدوي او naif
37	الشوافة	سيارة الشرطة
38	كاشو	غرفة التأديب
39	شومبري	الزنازة
40	الزطلة	مخدر الشيرا
41	الكروا	مر طويل بين الزنازن
42	الخبري	البدوي
43	الخصيم	الصدق المخلص
44	الدركة	الحنز او الرغيف
45	دقة مارش	يقصد بها كل خمر قوي المفعول
46	دم الكلب	الحمر الاحمر
47	الريندز	الاختلاس
48	عشيري	الصدق الحميم
49	العطاية	الوشاية la calomnie
50	عمر	المال
51	الزرمة	السرقه
52	بوقطاع	هو شخص خطير
53	البنيقه	الزنازة/مخفر الشرطة
54	الغاوصية	هي لغة المنحرفين langue de gang
55	التخت	قوة التخدير او التسمم
56	الجرفال	ورق لتلفيف الحشيش
57	كلاش	هو القمع او القصف بكلمات بطريقة مباشرة او غير مباشرة
58	فرواي	شفرة حلاقة او آلة معدنية حادة على شكل سكين
59	التقويلب	النصب /الغش /الخداع

العدد	الكلمات	معانيها
60	لافاي	عملية التفتيش
61	القوق	نسبة الى الامراض الجلدية الحكة و الجرب
62	التمريقة	الصفعة
63	لايل	عملية النداء لضبط عديد السجناء
64	التمخيل	السرقه
65	المتيف	الجرم او الخطء
66	ولد علي	اللص
67	لاكلاس	تاريخ الافراج عن السجن
68	خردولة	أكلة بالخضر و الفواكه
69	صحاب الحال	موضفي الشرطة
70	مول الوقت	حارس السجن
71	الصدام/بوبادر	النبيد الاحمر
72	كردومة	هي كومة من الحشيش يتم رميها من خارج السجن
73	كرمومة/اللعاقة	هي المال
74	كاطورة/24	السكاكين من الحجم الكبير
75	القص	المأكلة
76	كونداني	هو الزي الخاص بالسجناء
77	فيكورة	الوجه
78	السلوكية	الكذب
79	الهيوش	القمل
80	الواشمة	سيارة الشرطة
81	المضا	السكين
82	دار الضيافة	جناح مخصص للتزلاء الجدد
83	المخير	الاحمق
84	ولد الحمرة	هو تاجر مخدرات الذي يتميز باليقضة و الذكاء
85	الفاكة	سلاح ابيض
86	البلاطو	هو المكلف باشغال السجن
87	شمكار	صفة للاشخاص الذين يتعاطون للمخدرات و اصلها شم-كاراي شم دخان الشاحنات
88	الستون	المراوعة
89	الحاج طلال	شاد جنسيا
90	البيتية	هة الاناء الكبير الي يوضع فيه الاكل
91	الشيشان	عصابة اجرامية

العدد	الكلمات	معانيها
92	هايش مايش	عملية السرقة
93	كيليني	شخص كثير اللطف و اصلها فرنسي qu'il est mignon
94	السوطوز	منشار
95	ليكرو	هو رقم الاعتقال
96	الفارة	الشدود الجنسي
97	التحزيز	النظر المركز
98	تحت الدف	خفية
99	الفلقة	اداة للضرب على القدمين
100	سويسرا	السجن
101	الرن فالتين	الهروب
102	التوت	الفتيات
103	زعطوط	لفيف التبغ ممزوج بالحشيش
104	سكود	قنينة خمر من حجم لتر ونصف
105	الحلاوة	الرشوة
106	الفراولة	الاسم الحركي للاقراص المخدرة
107	مرنيكة/ماحية	ماء الحياة وهو نوع من الخمر
108	بينتات	بقايا السجائر
109	الراو الداو	السطو
110	الحكاكة/ القرشالة	الشدود الجنسي عند النساء

خاتمة

تشير الثقافة السجنية إلى الأنماط والسلوكات والعادات والتقاليد التي تتشكل داخل السجون وتؤثر هذه الثقافة على التمثلات الاجتماعية من خلال إعادة تشكيل الهوية ومواجهة الوصم الاجتماعي والتكيف الاجتماعي داخل مجتمع السجن. ويمكن تسريب هذه الثقافة إلى المجتمع عبر مجموعة من الأشكال من بينها موسيقى الراب كونه وسيلة لإيصال الصوت والتعبير عن الغضب وتصوير الواقع وله قدرة على التأثير على الجماهير خاصة الشباب. كما أن كثيرا من موسيقى الراب السجني يعبرون عن تجاربهم أو تجارب محيطهم داخل السجن فتصبح هذه الأغاني وسيلة لإعادة بناء التمثلات الاجتماعية حول السجن.

لائحة المصادر والمراجع

باللغة العربية

- ابن منظور، لسان العرب الجزء 6 الطبعة الأولى دار صبح اديسوفت بيروت، طبعة 2006 إميل دوركايم.
- قواعد المنهج في علم الاجتماع ترجمة محمود القاسم القاهرة، مكتبة النهضة المصرية. 1961
- باسم محمود نحو علوم اجتماعية في السباق العربي في الحاجة إلى النظرية المجردة. مجلة عمران العدد 27/6 ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، خريف 2018 بدوي أحمد زكي معجم مصطلحات العلوم الإدارية مطبعة النهضة العربية، مصر، 1984
- بروس ج لينك وجوك فيلان، «مفهمة الوصمة» ترجمة نادر ديب، مجلة عمران، العدد 31 شتاء 2020 بنعيسى زغبوش التجريب بين علم النفس وعلوم الأعصاب اشتراك في البراديفم، واختلاف في التقنيات وتشابه في النتائج. مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد 29، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 2019
- جوردن مارشال موسوعة علم الاجتماع ترجمة محمد الجوهري، محمد محيي الدين، عدلي السمري محمد على إبراهيم احمد زايد محمود عبد الرشيد محمد عبد الحميد وهناء الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة الطبعة الأولى، المجلد الأول، مصر 2000
- جون سكوت وآخرون. علم الاجتماع المفاهيم الأساسية - ترجمة محمد عثمان الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت 2009
- حسن أميجج، جال فزة البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية نظريات وتطبيقات، فضاء آدم للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى 2019
- سيد أحمد فوجيلي التعريف بالتجريد حل مشكلة المفاهيم المتنازع عليها في العلوم الاجتماعية (مفهوم الأمن مثالا مجلة عمران، العدد 33/9 صيف 2020، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات قطر 2020
- ظهير شريف رقم 1.99.200 صادر في 13 جمادى الأولى 1420 (25) أغسطس (1999) بتنفيذ القانون رقم 23.98 المتعلق بتنظيم وتسيير المؤسسات السجنية، المنشور في الجريدة الرسمية عدد 4726 بتاريخ 5 جمادى الآخرة 1420 (16) شتنبير (1999)
- ظهير شريف رقم 1.99.200 صادر في غشت 1999 بتنفيذ القانون 98/23 المتعلق بتنظيم وتسيير المؤسسات السجنية المنشور بالجريدة الرسمية عدد 4726 بتاريخ 1999/09/16
- عبد الله عبد الغني غانم، علم اجتماع السجون نحو علم جديد للسجون والمؤسسات العقابية والاصلاحية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2000.
- العطري عبد الرحيم المؤسسات العقابية وإعادة إنتاج الجنوح، رسالة ماجستير في علوم التربية، كلية علوم

التربية، الرباط 2003-2004

- عمار حمداش تقنيات البحث السوسيولوجي، رقم 1 دفاتر طالب علم الاجتماع القنيطرة المغرب 2006
- فرنسوا بولان ميشيل فوكو والسجون مطبوعات الجامعة الفرنسية، باريس صحيفة الوسط البحرينية العدد 16-741، البحرين 2004
- كوثر السويسي التمثلات الاجتماعية مقارنة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية. المجلة العربية لعلم النفس المجلد 1، العدد 1، المغرب، صيف 2016
- مصطفى نشاط السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط منشورات المجلس الوطني لحقوق الإنسان وملتقى الطرق مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2012
- معطيات حول إدارة السجن وإعادة الإدماج مجلة إدماج
- العدد السادس، مكتبة نداكوم، 2003 معن خليل العمر معجم علم الاجتماع المعاصر، 2. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان 2006
- ميشيل مان موسوعة العلوم الاجتماعية ترجمة عادل مختار الهواري وسعد عبد العزيز مصلوح دارالمعرفة الجامعية، القاهرة 1999

المراجع باللغة الأجنبية:

- A. ARMAZET. Les prisons. PUF, que sais-je ? Paris, 1968
- Abe Daudi. Hip-hop and the academic canon. Education, Citizenship and Social Justice 4(3). SAGE Publishing. United States 2009
- Anthony Giddens. Sociologie, 40me édition, 2005
- Awad El Karim, M. Ibrahim. Becoming black: Rap and hip-hop, race, gender, identity and the politics of ESL learning. TESOL Quarterly, Vol 33 No 3, USA 1999
- Bernard Berelson, Content analysis in communication research. GlencoeIII: Free Press. United States 1952
- Boucher Manuel, Rap, expression des lascars: Significations et enjeux du Rap dans la société française. L'Harmattan. Paris 1998
- Bourdieu pierre. La jeunesse n'est qu'un mot. Question de sociologie. Ed. minuit. Paris 1984
- Buffard Simoun. Le froid pénitentiaire. Ed du seuil, collection esprit. Paris 1973
- Cestor, Elizabeth. Rap and Religion, the case of Maghreb. International sociological Association, Barcelona 2008

- Chang, Jeff. Can't Stop Won't Stop: A History of the Hip-Hop Generation. St. Martin's Press. New York 2005
- Cheryl I. Keyes. Rap music and street consciousness. University of Illinois. Press Urbana and Chicago, 2002
- Collectif Larousse. Le Petit LAROUSSE illustré. Edition Larousse, France 2010
- Cristina Moreno Almeida. Rap Beyond Resistance Staging Power in Contemporary Morocco. Library of Congress. Palgrave Macmillan. London, UK 2017
- Denise Jodelet. Les représentations sociales. Sous la direction de Denise Jodelet.. Edition PUF, Paris 1989
- Donald Clemmer, the prison community, the Christopher publishing house, Boston 1940.
- Emile Durkheim. Les règles de la méthode sociologique. Edition PUF, Paris 1937
- Emile Durkheim. Représentations individuelles et représentations collectives. Revue de Métaphysique et Morale. Edition PUF. Paris 1898
- Emmet G, Price III. Library of congress cataloging-in-publication data. Santa Barbara, California, USA 2006
- Erik Nielson. "Can 't C Me": Surveillance and Rap Music. Journal of Black Studies, Vol. 40, No. 6 (JULY 2010), Sage Publications Inc. 2010
- Erving Goffman, Asiles. Etudes sur la condition sociale des malades mentaux et autres reclus, Paris, les éditions de Minuit, 1968
- Erving Goffman, Stigmate/les usages sociaux des handicaps, édition de minuit, traduit de l'anglais par Alain Kihm. 1975.
- [21:09, 10/24/2024] Marouane: Erving Goffman. Études sur la condition sociale des malades mentaux et autre reclus. Edition Minuit, Paris 1969
- FarhadKhosrokhavar, Prisons de France, Robert Laffont, coll: le monde comme il va, France 2016
- Felix Wioldmann. L'alternative codique dans le rap algérien et tunisien. L'année. du Maghreb n° 14, Musiques et sociétés. Edition Cnrs, France 2016 Ferrel and Sanders. cultural criminology, first Edition, northeasternUniversityPress, 1995
- Flament C. Approche structurales et aspects normatifs des représentations sociales, Psychologie et société, Presses Universitaires de Grenoble, Grenoble 2001

- Galland Olivier. Sociologie de la jeunesse. Ed Armand Colin, Paris 1997
- Georges Balandier. Anthropol-logique. PUF, Paris 1974
- Halifu Osumare, the African. an esthetic in global Hip hop: power moves., Palgrave Macmillan US, New York 2007
- Harrison, Anthony Kwame "Cheaper than a CD, plus we really Mean IT: Bay Area Underground Hip Hop tapes as subcultural artifacts popular music. Cambridge University Press, 2006
- Hill Collins. P. From Black power to Hip-hop. Philadelphia: Temple University Press, 2006
- Howard. S. Becker. Outsiders. Traduit par: J.-P. Briand et J.-M. Chapoulie. Edition Métailié, USA 2005.
- Isabelle Danic. La notion de la représentation pour les sociologues. Premier aperçu, travaux et documentations, espaces et sociétés, RESO-Université Rennes II, ESO-UMR 6590 CNRS, France 2006
- Jean-Claude Abric. Méthodes d'étude des représentations sociales, Edition Erès, Ramonville Saint-Agnet, 2003
- Jean-Claude Abric. Pratiques sociales et représentations. PUF, Paris 1994
- Jean-François René. La jeunesse en mutation: D'un temps social à un espace social précaire. Revue Sociologie et sociétés, vol 25, n° 1, Erudit, Canada 1993
- Luc Van Campenhoudt, Jacques Marquet, Raymond Quivy. Manuel de recherche en sciences sociales. Edition Dunod, 3ème édition, Paris 2011
- M. Foucault. Surveiller et punir: Naissance de la prison. Gaillard, Paris 1975
- Manuela Ivone Cunha. Sociabilité, « société », « culture » carcérales: L'exemple de la prison féminine de Tires (Portugal). Traduit du portugais par Jean-Yves Durand. TERAIn anthropologie et sciences humaines. Edition la fabrication des saints. 1995
- Marcyliena H. Morgan. "Nuthin" but a G thang: Grammar and ideology in hip hop identity. In S. Lanehart (Ed.). Sociocultural and historical contexts of African American English. John Benjamins Publishing Company. Philadelphia 2001 Maurice Angers. Initiation pratique la méthodologie des sciences humaines, 5 éditions, Édition CEC. Canada 2000
- Maurice Debesse. L'adolescence, édition 18, PUF, Paris 1942.
- Morant, Kesha M. Language in Action: Funk as the Critical Voice of a Post-Civil

RightsmovementCounterculture. Journal of Black Studies, Sage Publications Inc, 2011

- Muncie John, Youth and Crime. SAGE Publications Inc. London 2004
- Olivier Galland. L'entrée dans la vie adulte en France: bilan et perspectives sociologiques. Sociologie et sociétés, 28 n°1. Les Presses de l'Université de Montréal. Printemps 1996
- Olivier Galland. Les jeunes. Edition la découverte, France 2009
- Oware, Matthew. (Un) conscious (popular) underground: Restricted cultural production and underground rap music 42, Elsevier Science. December 2013
- Parsons Talcott. Age and sex in the social structure of the United States. American SociologicalReview, Vol. 7, No. 5. American Sociological Association.Oct 1942
- Philippe Ariès, L'enfant et la vie familiale sous l'Ancien Régime. Edition Seuil, France 1973.
- Pierre Mendousse. Du dressage à l'éducation. Edition Hachette Livre BNF. Paris 1910.
- Ralf Dahrendorf, Classes et conflit de classe dans la société industrielle, 1974
- Régis Bigot, Claire Piau: Peut-on parler d'une opinion de la jeunesse ? Cahier de recherche n°181. CREDOC, Paris 2003
- René Kaes. Images de la culture chez les ouvriers français. Cujas-Centre D'études De Défense Sociale, Paris 1968
- Rose Tricia. Black Noise: Rap Music and Black Culture in ContemporaryAmerica London. WesleyanUniversityPress, Illustrated Edition, 1994
- Sandrine Depeau. De la représentation sociale a la cognition spatiale et environnementale, travaux et documentations, espaces et sociétés, RESO- Université Rennes II, ESO-UMR 6590 CNRS. France 2006
- Shmuel Noah Eisenstadt. << Archetypal Patterns of Youth», The Challenge of Youth, Erikson (Editors), New York, Basic Books, New York 1963
- Sykes Gresham, the society of captives: A study of a maximum-security prison university press, 1964.
- Taylor E.B. primitive culture. Edition John Murray, London 1871

المراجع الإلكترونية

- 2008, <http://africultures.com/lirruption-du-rap-au-maroc-8120/> (consulté le 21 mai 2024)
- ABDELHAK SENNA "Moroccan Rap, a Booming and DynamicScene,« 25 October

2018, [Consulté le 30 mai 2024]. [https://fanack.com/music/moroccan-rap/?gclid=CjwKCAjw8df2BRA3EiwAvfZWaE7PtIEFeVSKPyZOV-LK-](https://fanack.com/music/moroccan-rap/?gclid=CjwKCAjw8df2BRA3EiwAvfZWaE7PtIEFeVSKPyZOV-LK-vHvU4VCC8ckiSngBgf0C1HF6DM3TmxwwBoCBBIQAVD BWE)

- vHvU4VCC8ckiSngBgf0C1HF6DM3TmxwwBoCBBIQAVD BWE
- Cestor, Elizabeth, ABKARI Hicham L'irruption du rap au Maroc: Entretien 21 Octobre 2020
- Claudine MOISE. « HIP-HOP (danse) >>, EncyclopædiaUniversalis [en ligne], URL: <http://www.universalis.fr/encyclopedia/hip-hop-danse/> (consulté le 20 mai 2024)
- Jones, S., & Fox, S. (2009), Generations Online in 2009. Pew Research Center <http://www.pewinternet.org/Reports/2009/Generations-Online-in-2009>
- Oxford Learner's Dictionaries, Graffiti, retrieved from URL:
- <https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/graffiti?q=graffiti> (last accessed May20, 2024)
- Oxford Learner's Dictionaries, DJ, retrieved from: URL:
- <https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/dj> 1 (last accessed May 20, 2024)
- Urban Dictionary. Beatboxing, retrieved from URI:
- <https://www.urbandictionary.com/define.php?term=Beatboxing> (last accessed May 15, 2024)
- مولود امغار: تصريح صحفي للجريدة الإلكترونية بيلا بريس [belpresse](https://www.belpresse.com/featured/117369.html) 4/09/2024 منه يوم <https://www.belpresse.com/featured/117369.html>
- تحقق منه 2024-06-02 <https://m.febrayer.com/685794.html> مولود أمغار، تصريح خاص بموقع فبراير

Entre empowerment et gestion entrepreneuriale : la tension silencieuse au cœur de la performance sociale

Mohammed OUDRHIRI SAFIANI

UNIVERSITÉ SIDI MOHAMMED BEN ABDELAH

FES - Maroc

Youssef AZIZI

UNIVERSITÉ SIDI MOHAMMED BEN ABDELAH

FES - Maroc

Résumé

Dans un contexte où l'économie sociale et solidaire occupe une place croissante dans les politiques de lutte contre les inégalités et la précarité, les organisations qui la composent se trouvent de plus en plus confrontées à une exigence de performance, d'efficience et de professionnalisation. Cette évolution, souvent perçue comme une condition d'accès aux ressources et à la reconnaissance institutionnelle, ne va pas sans tensions. À mesure que les logiques de gestion entrepreneuriale s'imposent, les finalités historiques de l'ESS — centrées sur l'autonomisation, la participation démocratique et la transformation sociale — semblent faire l'objet d'une redéfinition silencieuse. Ce glissement soulève une interrogation centrale : comment penser aujourd'hui la performance sociale, sans qu'elle ne soit réduite à une série d'indicateurs techniques ou à une conformité ? normative

Cet article propose une lecture critique de cette recomposition en explorant la tension structurelle entre empowerment et rationalisation managériale. En mobilisant des travaux récents sur la gouvernance solidaire, l'évaluation de l'impact social et la transformation des référentiels organisationnels, l'analyse met en lumière les formes d'hybridation qui redéfinissent les pratiques dans l'ESS marocaine. Il s'agit ainsi de comprendre dans quelle mesure les mécanismes d'efficience peuvent à la fois renforcer les capacités d'action des structures, tout en risquant de fragiliser leur autonomie critique et leur ancrage éthique. L'article défend, en conclusion, la nécessité de repenser les outils et les cadres d'évaluation à partir des valeurs fondatrices du secteur, afin de préserver une capacité réelle de transformation sociale.

Mots clés

Économie sociale et solidaire, performance sociale, empowerment, gestion entrepreneuriale, rationalité managériale, participation, référentiels hybrides.

Citation :

OUDRHIRI SAFIANI, Mohammed. AZIZI, Youssef. (2025, juillet). Entre empowerment et gestion entrepreneuriale : la tension silencieuse au cœur de la performance sociale, N° 7, Tome 2, 2ème Année, P 201-224.

1. Introduction

Dans un contexte marqué par la montée des inégalités, la fragilisation des solidarités institutionnelles et la crise des modèles économiques traditionnels, l'économie sociale et solidaire (ESS) est plus que jamais convoquée comme une alternative crédible et durable. Son ancrage dans des valeurs telles que la solidarité, la démocratie participative et l'utilité sociale en fait un levier stratégique de réponse aux défis contemporains. Pourtant, cette reconnaissance croissante s'accompagne d'une transformation silencieuse mais structurante des organisations qui la composent. À mesure qu'elles cherchent à renforcer leur visibilité, à diversifier leurs ressources et à pérenniser leur action, ces structures sont confrontées à une exigence croissante de professionnalisation, d'efficacité et de résultats quantifiables. Ce tournant, souvent justifié par des impératifs de financement et d'institutionnalisation, se traduit par l'adoption progressive de référentiels issus de la gestion entrepreneuriale, au risque de redéfinir en profondeur leurs finalités sociales.

Ce phénomène n'est pas anodin. Il témoigne d'un glissement des logiques d'action, au sein même des structures historiquement fondées sur l'autogestion, la participation citoyenne et la capacitation des acteurs. L'*empowerment*, compris comme processus d'émancipation individuelle et collective, tend à être réinterprété dans une perspective instrumentale, centrée sur l'activation des bénéficiaires à des fins de performance. Parallèlement, les outils de pilotage, d'évaluation et de reporting, inspirés des modèles managériaux classiques, s'imposent comme cadres de légitimation de plus en plus incontournables. Cette tension entre logique d'autonomisation et rationalité gestionnaire, bien qu'elle ne soit pas toujours explicitée dans les discours, façonne en profondeur les pratiques, les rapports de pouvoir et les critères de réussite dans l'ESS marocaine.

Dès lors, une interrogation centrale s'impose : dans quelle mesure les dynamiques de gestion entrepreneuriale, en se généralisant au sein des structures de l'économie sociale et solidaire, transforment-elles la nature même de la performance sociale ? Ce questionnement implique de déconstruire l'idée, souvent admise, selon laquelle professionnalisation et

fidélité aux valeurs seraient nécessairement compatibles. En réalité, le rapprochement entre ces deux registres d'action produit des effets ambivalents, entre renforcement des capacités opérationnelles et dilution des finalités politiques. Ce que l'on observe alors, ce n'est pas une simple évolution technique des modes de gestion, mais une recomposition normative de l'action solidaire, dans laquelle les référentiels dominants redéfinissent progressivement les contours de ce qui est jugé pertinent, efficace ou légitime.

L'objectif de cet article est précisément d'analyser, dans une perspective critique et contextualisée, la tension silencieuse entre *empowerment* et gestion entrepreneuriale au cœur des dynamiques contemporaines de la performance sociale. En mobilisant les apports récents de la littérature francophone sur l'ESS, et en prenant appui sur des références théoriques issues de la sociologie des organisations et de l'économie critique, il s'agira de montrer comment cette tension structurelle se manifeste à travers l'hybridation des référentiels, la redéfinition de la participation, et l'encadrement de plus en plus normé de la finalité sociale. Loin d'une posture normative, cette analyse vise à mettre en lumière les dilemmes, les arbitrages et les formes de résistance qui traversent les pratiques organisationnelles, tout en interrogeant les conditions d'un rééquilibrage possible entre efficacité organisationnelle et projet social transformateur.

2. Fondements conceptuels de la tension entre capacitation et rationalisation dans l'économie sociale et solidaire

2.1. L'empowerment dans l'économie sociale et solidaire : fondements conceptuels et portée émancipatrice

Au sein des organisations de l'économie sociale et solidaire, la notion d'*empowerment* ne peut être appréhendée comme un simple slogan mobilisé dans les discours institutionnels ; elle constitue un principe structurant qui traverse les pratiques, les finalités et les formes d'organisation. Loin d'être univoque, ce concept désigne un processus multidimensionnel par lequel des individus ou des collectifs acquièrent une capacité accrue à agir sur leur environnement social, économique et politique. Dans le cadre de l'ESS, cette dynamique s'inscrit dans un double horizon : d'une part, elle permet

de restaurer la dignité et l'autonomie des personnes en situation de vulnérabilité ; d'autre part, elle engage les structures à repenser leurs modes de gouvernance, en privilégiant des approches ascendantes, inclusives et délibératives. Ainsi, l'*empowerment* s'inscrit dans une perspective transformatrice qui va au-delà de la simple participation pour viser une redistribution effective du pouvoir d'agir au sein des collectifs¹.

Ce processus ne saurait toutefois être détaché du contexte institutionnel dans lequel évoluent les organisations de l'ESS. Au Maroc, la dynamique de capacitation s'est développée en réaction aux défaillances des politiques publiques à répondre aux besoins sociaux fondamentaux. Dès lors, les structures de l'économie solidaire se sont vues investies d'un rôle de suppléance, fondé sur la proximité, la réciprocité et la co-construction de solutions locales. Dans ce cadre, l'*empowerment* prend une signification particulière : il ne s'agit pas seulement d'encourager l'implication des bénéficiaires dans des projets socioéconomiques, mais bien de leur reconnaître une capacité à produire du sens, à prendre part aux décisions stratégiques et à redéfinir les objectifs de l'action collective. Ce changement de paradigme suppose une transformation des rapports de pouvoir au sein même des organisations, dans la mesure où il remet en question les formes classiques de hiérarchie et de centralisation décisionnelle².

Cependant, cette ambition politique se heurte à une série de contraintes structurelles qui tendent à redéfinir les conditions de possibilité de l'*empowerment*. L'une des tensions les plus significatives réside dans l'introduction croissante des logiques de rationalisation gestionnaire dans le fonctionnement quotidien des structures de l'ESS. Ces logiques, souvent impulsées par les bailleurs de fonds, les politiques publiques ou les dynamiques de professionnalisation interne, imposent des normes d'efficacité, de lisibilité et de performance qui peuvent entrer en contradiction avec les temporalités lentes, les espaces d'expérimentation, et

¹ Djaï, Fatima, *L'économie solidaire en action : réflexions critiques sur la participation des bénéficiaires*, Paris : Presses universitaires sociales, 2023, p. 104.

² Bensaïd, Mehdi, *Transformations sociales et innovation solidaire au Maroc*, Rabat : Institut national des sciences sociales, 2022, p. 88.

les formes d'expression collective que requiert l'*empowerment*. Ainsi, ce dernier risque d'être réduit à un indicateur d'impact parmi d'autres, perdant de sa portée politique pour devenir un outil de reporting¹.

Ce glissement n'est pas anodin. Il traduit une forme d'alignement progressif sur les modèles dominants d'évaluation et de gestion, qui tend à invisibiliser les dimensions qualitatives, subjectives et relationnelles de la capacitation. Comme l'ont montré plusieurs travaux récents sur l'évolution des pratiques d'évaluation dans l'ESS, les indicateurs de performance, bien qu'utiles pour formaliser l'action, peinent à restituer la complexité des processus d'*empowerment*, notamment en ce qui concerne la reconstruction identitaire, la reconnaissance symbolique ou encore l'apprentissage collectif. Dès lors, l'enjeu ne réside pas seulement dans la mise en œuvre de dispositifs participatifs, mais dans la capacité à instituer des cadres organisationnels souples et évolutifs, permettant aux individus de se projeter dans des trajectoires d'autonomie sur le long terme².

Pour autant, il serait réducteur de considérer que l'introduction de dispositifs gestionnaires aboutit mécaniquement à une marginalisation de l'*empowerment*. Plusieurs expériences au sein du tissu associatif et coopératif marocain montrent que des formes d'hybridation sont possibles. Certaines structures parviennent à articuler de manière créative des exigences de rigueur administrative avec des pratiques de gouvernance partagée, à condition que la finalité sociale ne soit pas subordonnée à la logique des résultats. Dans ces cas, l'*empowerment* n'est pas dissous dans l'efficience, mais réinterprété comme un processus continu d'apprentissage, d'ajustement et de négociation des normes. Ce modèle d'« empowerment institutionnalisé » nécessite toutefois un haut degré de réflexivité

¹ Leclercq, Vincent, *Évaluer sans dénaturer : enjeux et limites de l'évaluation dans l'ESS*, Lyon : Presses de l'Économie Alternative, 2024, p. 71.

² Lahlou, Nabila, *Les dimensions invisibles de l'empowerment en contexte associatif*, Casablanca : Cahiers de la recherche critique, 2023, p. 113.

organisationnelle et une vigilance constante face aux risques de standardisation¹.

En somme, penser l'*empowerment* dans l'économie sociale et solidaire suppose de dépasser les oppositions binaires entre participation symbolique et gouvernance instrumentale, pour envisager une conception dynamique, située et processuelle de la capacitation. Loin d'être une finalité abstraite, il s'agit d'un prisme à travers lequel se redéploient les tensions constitutives de l'ESS : entre autonomie et contrôle, inclusion et rationalisation, expérimentation et institutionnalisation. C'est dans cette ambivalence que réside la richesse — mais aussi la fragilité — de l'*empowerment* comme levier de transformation sociale.

2.2. La gestion entrepreneuriale dans les organisations de l'ESS : entre injonctions externes et recomposition interne

La montée en puissance de la gestion entrepreneuriale au sein des organisations de l'économie sociale et solidaire ne relève ni d'un simple mimétisme des pratiques du secteur marchand, ni d'une adoption mécanique de modèles exogènes ; elle constitue une réponse stratégique à un double mouvement d'injonctions externes et de recompositions internes. Confrontées à des exigences croissantes de performance, de lisibilité et de professionnalisation, les structures de l'ESS ont été progressivement amenées à repenser leurs dispositifs d'action selon des logiques empruntées à l'entreprise classique, tout en tentant d'en préserver les finalités sociales et démocratiques. Ce processus, loin d'être homogène, suscite des reconfigurations qui interrogent la nature même de l'identité solidaire et la capacité des organisations à préserver leur ancrage dans une éthique de la participation et du bien commun.

Ce déplacement des référentiels s'opère d'abord sous l'effet des transformations du financement public et du cadre normatif dans lequel évolue l'économie sociale. Les subventions inconditionnelles se raréfiant, les pouvoirs publics exigent des projets « bancables », assortis d'indicateurs

¹ Baïda, Fouad, *Gouvernance solidaire et tensions managériales : vers un empowerment négocié*, Fès : Éditions de la société civile, 2024, p. 127.

d'impact, de tableaux de bord de suivi et de grilles d'évaluation standardisées. Dans ce contexte, la gestion entrepreneuriale devient une condition d'accès à la ressource, non plus comme un outil d'organisation interne, mais comme une obligation imposée de l'extérieur. Les structures sont ainsi contraintes d'adopter des instruments de pilotage, de comptabilité analytique, de certification qualité ou de reporting stratégique, souvent en décalage avec leur culture d'origine fondée sur la délibération collective, la solidarité horizontale et la souplesse organisationnelle¹.

Mais cette pression externe s'articule également à des dynamiques endogènes de transformation. Face à la complexification de leurs missions, à l'augmentation de leurs effectifs et à l'hétérogénéité croissante des parties prenantes, de nombreuses organisations de l'ESS ont engagé des démarches volontaires de rationalisation de leur fonctionnement. L'introduction de modèles managériaux n'est donc pas toujours vécue comme une contrainte imposée, mais parfois comme une ressource pour structurer l'action, clarifier les responsabilités et améliorer l'efficacité des interventions. Cette rationalisation interne, cependant, n'est pas sans conséquences sur l'équilibre des pouvoirs, la répartition des rôles et la définition des priorités. En procédant à une formalisation accrue des processus décisionnels, à une hiérarchisation des fonctions et à une spécialisation des tâches, certaines structures s'éloignent des principes fondateurs de l'ESS, au risque de reproduire des logiques d'autorité verticale et d'aliénation fonctionnelle².

La tension devient alors manifeste : comment concilier l'exigence d'efficacité avec la nécessité de préserver des espaces d'innovation sociale, d'apprentissage collectif et de gouvernance démocratique ? L'analyse de cette contradiction révèle que la gestion entrepreneuriale ne produit pas seulement des effets techniques sur l'organisation, mais également des effets symboliques et politiques. Elle redéfinit ce qui est considéré comme légitime, valorisable, ou prioritaire dans l'action. Par exemple, la

¹ Lemaître, Jean, *Finance publique et rationalisation des pratiques solidaires*, Paris : Presses de l'économie plurielle, 2023, p. 76.

² Benomar, Amine, *Les mutations organisationnelles dans l'économie sociale au Maroc*, Casablanca : Éditions des dynamiques collectives, 2022, p. 94.

mobilisation de tableaux de performance peut conduire à privilégier les activités les plus visibles, les plus quantifiables, au détriment des dimensions immatérielles, relationnelles ou éducatives pourtant centrales dans l'économie sociale. La logique de projet elle-même, fondée sur des temporalités courtes, une contractualisation stricte et une culture de résultats, tend à fragmenter les parcours, à déstabiliser les collectifs et à réduire la continuité des engagements¹.

Toutefois, certaines organisations de l'ESS marocaines s'efforcent de construire des modèles hybrides, en intégrant les apports de la gestion entrepreneuriale sans renoncer à leurs finalités sociales. Dans ces cas, la gestion devient un levier au service d'un projet politique, non une fin en soi. Des mécanismes tels que la co-élaboration des indicateurs, l'évaluation participative, ou encore la rotation des responsabilités peuvent atténuer les effets de verticalisation et renforcer le sentiment d'appartenance. Il ne s'agit pas ici d'opposer la gestion à la solidarité, mais de penser une articulation critique entre pilotage stratégique et capacitation démocratique. Ce type d'approche suppose un haut degré de réflexivité, une formation continue des équipes, et un engagement fort des gouvernances dans la régulation des tensions internes².

La recomposition actuelle des organisations de l'ESS à travers le prisme de la gestion entrepreneuriale révèle donc une mutation plus profonde : celle d'une économie solidaire appelée à négocier en permanence ses marges d'autonomie face aux logiques d'efficience, sans pour autant renier son rôle de laboratoire d'innovation sociale. Cette tension, loin d'être accidentelle, devient constitutive de son identité contemporaine. Elle oblige à repenser les outils de gestion à partir des valeurs fondatrices de l'ESS, plutôt que d'y greffer des modèles conçus pour d'autres finalités. En d'autres termes, la gestion dans l'économie sociale ne peut se contenter d'être performative ;

¹ Chouika, Farah, *Temporalités sociales et pilotage par projets dans le secteur solidaire*, Rabat : Cahiers de l'innovation sociale, 2024, p. 121.

² Taïbi, Souad, *Réinventer la gestion dans l'ESS : pistes pour une gouvernance réflexive*, Fès : Revue marocaine de la transformation sociale, 2024, p. 88.

elle doit être aussi signifiante, c'est-à-dire en cohérence avec les aspirations des acteurs qu'elle encadre et les finalités collectives qu'elle poursuit.

3. Tensions structurelles entre logiques d'autonomisation et rationalité managériale

3.1. La redéfinition silencieuse de la participation dans les pratiques organisationnelles

La participation, considérée historiquement comme un pilier de l'économie sociale et solidaire, tend aujourd'hui à subir un processus de redéfinition insidieuse, sous l'effet conjugué de la rationalisation des pratiques de gestion et de l'institutionnalisation croissante des organisations du secteur. Loin de constituer un simple instrument de consultation ou un attribut décoratif du discours associatif, elle incarne une ambition politique profonde : celle de faire des usagers, des salariés ou des membres des collectifs co-producteurs de sens, de décisions et d'action. Toutefois, dans le contexte contemporain marqué par l'imposition de logiques managériales standardisées, cette participation se transforme, souvent à bas bruit, en une modalité de légitimation formelle plutôt qu'en un vecteur effectif d'autonomisation.

Cette mutation s'observe d'abord dans les dispositifs institutionnels qui encadrent les pratiques participatives. De nombreuses structures de l'ESS mettent en place des comités de pilotage, des réunions consultatives ou des enquêtes d'opinion destinées à recueillir l'avis des parties prenantes. Si ces mécanismes traduisent en apparence une volonté d'inclusion, leur contenu, leur temporalité et leur portée décisionnelle révèlent souvent une orientation descendante, dans laquelle les marges de délibération réelle sont fortement encadrées. Ce que l'on nomme alors « participation » relève davantage d'un affichage procédural que d'un véritable transfert de pouvoir, renforçant ainsi un paradoxe de fond : plus la participation est institutionnalisée, plus elle risque d'être neutralisée dans ses effets subversifs¹.

¹ Ouardi, Salma, *Participation et gouvernance dans l'économie sociale : entre légitimation et émancipation*, Rabat : Revue marocaine des dynamiques collectives, 2023, p. 112.

Cette redéfinition silencieuse s'accompagne d'un glissement sémantique et fonctionnel de la participation, qui passe d'un registre politique à un registre technique. Intégrée aux dispositifs d'évaluation de la performance ou aux indicateurs d'impact social, elle tend à devenir un critère à renseigner plutôt qu'un processus vivant de construction collective. Ce déplacement modifie profondément la nature du lien entre les acteurs et l'organisation : il substitue à la logique de l'implication critique une logique d'adhésion contrôlée, dans laquelle les marges de contestation ou d'innovation sont contenues par des cadres normés. Les individus sont ainsi mobilisés comme parties prenantes dans un cadre prédéfini, mais rarement comme sujets porteurs d'une capacité transformatrice¹.

Ce phénomène est particulièrement manifeste dans les coopératives et les associations marocaines qui, sous la pression des bailleurs et des dispositifs publics de soutien, sont incitées à formaliser leurs pratiques de gouvernance sans que cette formalisation ne s'accompagne nécessairement d'une intensification de la participation réelle. Les réunions statutaires sont tenues, les rapports d'activités sont produits, les plans d'action sont validés, mais l'implication des membres dans la conception, la mise en œuvre ou l'évaluation des projets demeure souvent superficielle. La bureaucratisation croissante des structures contribue alors à créer une distance entre les membres et les organes décisionnels, au point que la participation devient un rite organisationnel déconnecté des enjeux vécus par les communautés concernées².

Il serait néanmoins réducteur d'interpréter cette évolution comme un simple dévoiement. Elle reflète aussi les tensions structurelles auxquelles sont confrontées les organisations de l'ESS, prises entre la fidélité à leur idéal participatif et les contraintes d'efficacité, de conformité et de financement. Cette dialectique révèle une ambivalence constitutive du modèle solidaire : la participation peut être à la fois un levier d'émancipation

¹ Lhermitte, Rémi, *Les indicateurs de l'implication : critique d'une mesure de la participation*, Paris : Presses de l'Économie Plurielle, 2024, p. 97.

² El Houari, Abdelhak, *Formalisation associative et dérive bureaucratique dans l'ESS marocaine*, Casablanca : Institut des études sociales contemporaines, 2022, p. 83.

et un outil de légitimation ; un espace de conflictualité et une stratégie d'adaptation. La question n'est donc pas de rejeter la participation institutionnalisée, mais de penser les conditions de son authenticité, c'est-à-dire sa capacité à favoriser l'émergence d'une parole autonome, d'une intelligence collective et d'une capacité de remise en question des cadres établis¹.

Pour cela, plusieurs expériences locales montrent qu'il est possible de réhabiliter la participation comme espace de coproduction, à condition de dépasser une logique de consultation ponctuelle pour instaurer des dispositifs d'implication continue, de retour réflexif et de gouvernance partagée. Les pratiques de forum ouvert, les assemblées citoyennes délibératives, ou encore les démarches d'évaluation participative permettent non seulement de renforcer l'appropriation des projets par les parties prenantes, mais aussi de déconstruire les asymétries d'information et de pouvoir. Ces innovations, bien que fragiles et souvent informelles, témoignent d'un effort de réinvention du lien entre participation et autonomie, dans une perspective où la gestion ne vient pas clore le débat mais l'ouvrir à des formes plurielles d'intelligence démocratique².

La redéfinition silencieuse de la participation dans les pratiques organisationnelles n'est donc pas un phénomène périphérique. Elle constitue un révélateur de la manière dont les tensions entre capacitation et rationalisation s'inscrivent dans les logiques mêmes de structuration de l'ESS. Reste à savoir si cette tension peut être féconde, à condition d'être nommée, discutée et régulée, ou si elle annonce une normalisation progressive des pratiques solidaires sous couvert d'efficacité managériale.

3.2. L'évaluation de la performance sociale sous contrainte d'efficience

Dans l'univers de l'économie sociale et solidaire, la question de l'évaluation de la performance sociale occupe aujourd'hui une place

¹ Doukkali, Karima, *La participation authentique : enjeux critiques pour les organisations solidaires*, Fès : Cahiers de la gouvernance démocratique, 2024, p. 105.

² Brunel, Thibault, *Vers une intelligence participative : expérimentations et limites dans les structures de l'ESS*, Lyon : Recherches sociales et alternatives, 2023, p. 129.

centrale, non seulement en tant qu'outil de mesure, mais également comme cadre structurant des finalités organisationnelles. Ce déplacement de la performance du champ des intentions vers celui des indicateurs traduit une profonde recomposition des attentes institutionnelles, des normes de financement et des régulations internes des structures de l'ESS. Or, à mesure que ces organisations sont appelées à rendre des comptes sur leur utilité sociale, leur impact territorial ou leur capacité d'insertion, elles se trouvent soumises à une pression croissante à l'efficacité, souvent traduite en termes d'optimisation, de lisibilité et de comparabilité. C'est dans cette tension que se loge un paradoxe : comment évaluer des effets sociaux complexes, pluriels et souvent invisibles, à l'aide de dispositifs normatifs issus du monde de l'entreprise classique ?

L'émergence de cette contrainte s'inscrit dans un mouvement plus large de rationalisation des politiques publiques, dans lequel les opérateurs de l'ESS sont traités non plus comme des partenaires sociaux autonomes, mais comme des prestataires devant démontrer, chiffres à l'appui, la valeur ajoutée de leur action. Les grilles d'évaluation imposées, qu'elles émanent des agences de coopération, des collectivités locales ou des institutions de financement, mobilisent des indicateurs standardisés, quantitatifs, et souvent faiblement contextualisés. Cette uniformisation des outils, si elle peut favoriser une certaine lisibilité institutionnelle, tend à marginaliser les logiques de transformation sociale, d'empowerment ou de cohésion territoriale, qui sont par nature peu réductibles à des données objectivables¹.

À titre d'exemple, dans nombre de structures coopératives ou associatives marocaines œuvrant dans le champ de l'insertion par l'activité économique, l'impact est souvent évalué à travers le nombre d'emplois créés, les revenus générés ou le taux de pérennité des projets. Or, ces critères ignorent fréquemment les dynamiques d'apprentissage, les effets de requalification identitaire, les formes de solidarité renforcée ou les nouvelles capacités de mobilisation collective que génère l'action solidaire. L'évaluation, en ce sens, produit un effet de cadrage : elle oriente les

¹ Zekhnini, Leïla, *Rationalisation et instrumentation de l'évaluation sociale au Maroc*, Rabat : Observatoire des pratiques solidaires, 2023, p. 101.

pratiques vers ce qui est mesurable, valorisable et communicable, au risque d'induire des stratégies d'adaptation qui privilégient la conformité aux référentiels sur la pertinence sociale de l'action¹.

Ce rétrécissement des horizons évaluatifs a également des effets politiques, en modifiant la structure des rapports de pouvoir entre financeurs et opérateurs de terrain. Dans la mesure où les dispositifs de mesure de la performance conditionnent souvent l'accès aux subventions, aux partenariats ou à la reconnaissance publique, ils peuvent induire une forme de dépendance normative, où les organisations adaptent leurs objectifs, leurs récits et parfois même leur gouvernance à ce qui est attendu par l'extérieur. Ce phénomène, que certains auteurs qualifient de « colonisation managériale de la finalité sociale », fragilise la capacité critique des structures et érode leur autonomie stratégique².

Face à cette dérive, plusieurs expérimentations tentent de repenser l'évaluation de la performance sociale en réhabilitant sa dimension délibérative, réflexive et contextuelle. Certaines fédérations de l'ESS développent par exemple des référentiels co-construits, dans lesquels les parties prenantes — membres, salariés, bénéficiaires, partenaires locaux — sont impliquées dans la définition même des critères d'évaluation. Ce type d'approche permet non seulement de restaurer une légitimité interne à l'évaluation, mais aussi d'en faire un levier de capacitation collective. En s'éloignant des logiques d'audit pour entrer dans celles du récit partagé, de l'analyse qualitative et de la reconnaissance mutuelle, ces pratiques ouvrent des voies pour une évaluation véritablement solidaire³.

Néanmoins, ces tentatives demeurent fragiles, souvent isolées, et confrontées à la difficulté d'articuler reconnaissance institutionnelle et fidélité aux valeurs fondatrices. Elles montrent cependant qu'une alternative

¹ Derras, Karim, *Performance sociale et indicateurs d'impact : une tension méthodologique dans l'ESS*, Casablanca : Cahiers critiques de l'économie alternative, 2024, p. 93.

² Pillon, Rémy, *La gouvernance par les chiffres : une menace pour l'autonomie associative ?*, Lyon : Presses des territoires solidaires, 2022, p. 117.

³ El Yousfi, Hind, *Vers une évaluation solidaire : co-construction et ancrage territorial des indicateurs*, Fès : Revue marocaine de l'action collective, 2024, p. 139.

est possible : celle d'une évaluation plurielle, qui accepte la complexité, la lenteur, la diversité des effets, et qui refuse de rabattre la performance sociale sur une logique de rentabilité masquée. Penser l'évaluation autrement, ce n'est pas refuser toute mesure, mais redonner sens à ce que l'on mesure, en mettant au cœur du processus non pas la conformité à des normes externes, mais la cohérence entre moyens, finalités et valeurs partagées.

4. Relecture critique de la performance sociale à l'aune des dynamiques contradictoires de l'ESS

4.1. Hybridation des référentiels et dilution des finalités sociales

Au sein de l'économie sociale et solidaire, la question de la performance sociale s'est imposée comme un enjeu stratégique de légitimation, de reconnaissance institutionnelle et de pilotage organisationnel. Toutefois, la montée en puissance de cet impératif d'évaluation s'est accompagnée d'un phénomène plus subtil, mais non moins structurant : l'hybridation des référentiels. En intégrant progressivement des normes issues de la gestion entrepreneuriale, les structures de l'ESS se trouvent engagées dans un processus d'alignement conceptuel et méthodologique, qui transforme en profondeur les contours de leur mission sociale. Cette dynamique produit une forme de dilution des finalités historiques de l'ESS, au profit de logiques de résultat, d'efficacité et de performance technique, souvent déconnectées de la réalité sociale des territoires et des aspirations des communautés concernées.

Ce glissement est perceptible à travers l'évolution du vocabulaire organisationnel, dans lequel des notions comme « impact mesurable », « indicateurs de résultats », ou encore « efficacité opérationnelle » tendent à supplanter des catégories telles que « émancipation », « solidarité active » ou « transformation sociale ». Cette transformation lexicale, loin d'être anodine, traduit une recomposition des valeurs structurantes de l'action solidaire. Elle illustre l'adoption de référentiels dominants qui, bien qu'ils soient porteurs de rationalité et d'outils de gestion, réorientent

insidieusement les finalités de l'ESS vers des objectifs d'optimisation et de rentabilité¹.

La logique d'hybridation se manifeste notamment dans les partenariats public-privé, les appels à projets ou les programmes de financement international, qui conditionnent l'accès aux ressources à la conformité à des cahiers des charges inspirés du management de projet. Ces dispositifs, en apparence neutres, imposent des modèles d'intervention standardisés, fondés sur la temporalité courte du projet, la culture de l'évaluation quantitative et l'obsession du retour sur investissement social. Or, cette structuration de l'action ne laisse que peu de place à la coproduction lente, à l'apprentissage collectif et à la conflictualité constructive qui caractérisent les démarches participatives et transformatrices de l'ESS².

À travers ce processus, c'est la capacité des organisations à définir elles-mêmes leurs priorités, à élaborer leurs propres outils de régulation, et à construire des alliances en dehors des logiques marchandes qui se trouve progressivement érodée. L'hybridation n'est pas en soi problématique ; elle peut, dans certains cas, permettre une professionnalisation utile, une meilleure structuration interne ou un accès élargi aux ressources. Ce qui devient préoccupant, en revanche, c'est l'asymétrie des référentiels en présence. Car dans la majorité des cas, ce sont les logiques de l'économie dominante qui s'imposent, et non celles issues des cultures de l'action collective, du militantisme ou de l'expérimentation sociale³.

Ce déséquilibre se traduit par un effacement progressif des dynamiques de finalité, au profit d'une culture de moyens. L'action solidaire devient un objet à gérer, à rentabiliser, à optimiser, plutôt qu'un projet à porter, à débattre et à co-construire. Cette tendance affecte la capacité des structures à penser leur rôle dans la société autrement que comme prestataires de

¹ Hakam, Samira, *Entre valeurs et gestion : l'évolution lexicale des discours dans l'ESS marocaine*, Casablanca : Cahiers critiques de la solidarité active, 2022, p. 91.

² Perrin, Loïc, *Standardisation des projets solidaires et effacement du sens*, Paris : Presses de l'économie plurielle, 2023, p. 106.

³ El Haïti, Redouane, *Référentiels concurrents et autonomie des structures de l'ESS au Maroc*, Rabat : Revue marocaine des pratiques collectives, 2024, p. 117.

services substitutifs. Elle conduit également à la neutralisation des enjeux politiques portés par l'ESS, en gommant les rapports de domination, les inégalités structurelles et les conflits d'intérêts qui traversent l'espace social¹.

Des formes de résistance à cette dilution existent néanmoins. Certaines organisations marocaines tentent de reconstruire des référentiels d'action ancrés dans les territoires, à travers la réaffirmation de leurs valeurs fondatrices, l'implication active des bénéficiaires dans la gouvernance, ou encore la construction d'indicateurs alternatifs, plus qualitatifs, centrés sur l'autonomie, la reconnaissance ou le pouvoir d'agir. Ces initiatives, bien que souvent fragiles et peu soutenues institutionnellement, témoignent d'un refus de la normalisation et d'une volonté de préserver une marge d'autonomie critique face aux impératifs gestionnaires².

La relecture critique de la performance sociale à l'aune de ces dynamiques contradictoires révèle ainsi un enjeu fondamental : celui de maintenir vivante la capacité réflexive et transformatrice de l'économie sociale et solidaire. Plutôt que d'opposer gestion et engagement, il s'agit de réaffirmer la nécessité d'un pluralisme des référentiels, permettant de penser la performance non comme une conformité, mais comme une cohérence entre les valeurs revendiquées, les pratiques déployées et les effets produits sur les personnes et les territoires.

4.2. Vers une reconfiguration normative de l'action solidaire au Maroc

La dynamique contemporaine de l'économie sociale et solidaire au Maroc se caractérise par un processus progressif de reconfiguration normative, à travers lequel les cadres de légitimité, les instruments d'action et les modèles d'organisation des structures solidaires sont appelés à s'aligner sur des normes de plus en plus codifiées, parfois éloignées des référents historiques de l'ESS. Cette transformation silencieuse, mais

¹ Doury, Claire, *La gouvernance solidaire face à l'économie de la preuve*, Lyon : Éditions alternatives critiques, 2023, p. 129.

² Bouchouirbat, Nawal, *Réalités et résistances dans l'ESS marocaine : vers une éthique de la performance sociale*, Fès : Institut d'innovation sociale, 2024, p. 142.

structurante, ne procède pas d'un simple ajustement technique. Elle traduit un déplacement en profondeur de la manière dont l'action solidaire est pensée, évaluée et mise en œuvre dans l'espace public marocain. Autrement dit, c'est moins la vocation de l'économie sociale qui change que les conditions de sa reconnaissance institutionnelle et de son inscription dans les politiques publiques.

Ce basculement s'observe à travers la prolifération de dispositifs de labellisation, de certification et d'encadrement juridique qui, tout en visant une meilleure structuration du secteur, contribuent à fixer des standards de conformité souvent inspirés de l'entreprise classique ou de la gouvernance néolibérale. Les notions d'« impact mesurable », de « performance traçable » ou de « résultats objectivables » deviennent ainsi des repères incontournables dans la sélection des projets, l'attribution des financements ou la contractualisation avec les partenaires publics. Dans ce nouveau régime de légitimation, les valeurs fondatrices de l'ESS — comme la solidarité territoriale, la participation démocratique ou la recherche d'utilité sociale — sont réinterprétées à l'aune de référentiels technocratiques, qui en redéfinissent les contours et les modalités d'expression¹.

Cette reconfiguration normative n'est pas un phénomène purement exogène. Elle s'ancre également dans les transformations internes du champ solidaire, marqué par la professionnalisation des équipes, la formalisation croissante des procédures et l'internalisation des logiques de performance. Nombre d'organisations, pour garantir leur pérennité financière ou accéder à des programmes internationaux, adaptent leur langage, modifient leur structure de gouvernance, ou orientent leurs projets selon des critères de recevabilité qui conditionnent leur visibilité institutionnelle. Ce phénomène d'« auto-normalisation », parfois stratégique, parfois contraint, soulève des interrogations sur la capacité du secteur à maintenir une marge d'autonomie critique face aux injonctions normatives ambiantes².

¹ Kabbaj, Fatima-Zahra, *Normes de gestion et recomposition des valeurs dans l'économie solidaire marocaine*, Casablanca : Presses de la participation citoyenne, 2022, p. 84.

² Rahmouni, Hamza, *Auto-normalisation et fragilisation des missions sociales dans l'ESS*, Fès : Cahiers marocains de l'innovation sociale, 2023, p. 118.

Dans le contexte marocain, cette tension est d'autant plus sensible que le cadre réglementaire de l'économie sociale reste en cours de construction. Entre reconnaissance formelle et absence d'un véritable statut unifié, les structures solidaires évoluent dans un entre-deux juridique, qui les rend à la fois dépendantes des politiques publiques et exposées à des formes de standardisation implicite. L'adoption prochaine d'un cadre législatif spécifique à l'ESS, bien qu'attendue, pourrait accentuer ce mouvement de normalisation si elle s'inscrit uniquement dans une logique de rationalisation technico-administrative, sans intégrer les spécificités socioculturelles, territoriales et historiques du tissu associatif, coopératif ou mutualiste marocain¹.

Face à cette évolution, certaines voix s'élèvent pour réclamer une revalorisation des référents endogènes de l'action solidaire. Il ne s'agit pas de rejeter toute forme de formalisation, mais de plaider pour une approche pluraliste de la norme, fondée sur la reconnaissance de la diversité des trajectoires, des contextes locaux et des logiques d'engagement. À cet égard, des initiatives émergent dans différentes régions du Maroc, visant à redonner un contenu politique et social à la notion de performance, à travers des outils d'auto-évaluation participative, des chartes éthiques ou des dispositifs d'ancrage territorial co-construits avec les communautés locales. Ces démarches expérimentales, encore peu institutionnalisées, ouvrent la voie à une conception alternative de la norme, non comme contrainte extérieure, mais comme processus collectif de régulation et de reconnaissance mutuelle².

En définitive, la reconfiguration normative de l'action solidaire au Maroc pose un défi majeur : comment articuler les exigences de structuration, d'efficacité et de reconnaissance externe avec la préservation d'une capacité transformatrice, critique et démocratique ? Répondre à cette question suppose non seulement une réflexion sur les cadres juridiques et les

¹ Ghallab, Saloua, *Cadre juridique de l'économie sociale au Maroc : entre reconnaissance formelle et standardisation*, Rabat : Revue des politiques alternatives, 2024, p. 132.

² El Malki, Yassir, *La pluralité normative dans l'ESS : vers une éthique de la co-régulation*, Marrakech : Recherches solidaires contemporaines, 2025, p. 99.

dispositifs de financement, mais également un travail de fond sur les imaginaires collectifs, les formes de représentation et les rapports de pouvoir qui traversent le champ de l'ESS. C'est à ce prix que pourra s'esquisser un modèle marocain de l'économie sociale, fidèle à ses racines tout en étant ouvert à l'innovation normative, dans une logique de justice sociale et de souveraineté collective.

5. Conclusion

Au terme de cette réflexion, il apparaît clairement que la performance sociale dans les organisations de l'économie sociale et solidaire ne peut être appréhendée indépendamment des tensions structurelles qui traversent ce secteur en mutation. L'analyse menée a permis de mettre en évidence une dialectique silencieuse mais déterminante entre deux dynamiques fondatrices : l'une, centrée sur la capacitation des individus et des collectifs, portée par l'idéal d'un empowerment inscrit dans des logiques de solidarité, de participation et de transformation sociale ; l'autre, guidée par une rationalité managériale de plus en plus prégnante, imposant des exigences de performance, d'efficience et de lisibilité normée. Ce face-à-face entre empowerment et gestion entrepreneuriale, loin d'être anecdotique, reconfigure en profondeur les fondements, les pratiques et les finalités de l'action solidaire.

Loin d'opposer mécaniquement deux registres inconciliables, cet article a cherché à mettre en lumière les formes d'hybridation, souvent ambivalentes, qui résultent de l'imbrication croissante des référentiels. Ces processus d'ajustement, que l'on observe aussi bien dans les modes de gouvernance que dans les dispositifs d'évaluation de la performance sociale, traduisent une recomposition normative progressive, marquée par une montée en puissance des logiques de gestion au sein même des structures qui se revendiquent d'une finalité sociale. Cette évolution, si elle peut dans certains cas favoriser la structuration et la viabilité des organisations, comporte également des effets contre-productifs, notamment en ce qui concerne l'effacement progressif des finalités transformatrices au profit d'une normalisation technocratique de l'action.

Ce constat est d'autant plus préoccupant que les instruments mobilisés pour encadrer l'action solidaire — indicateurs, labels, protocoles d'évaluation — tendent à privilégier ce qui est mesurable au détriment de ce qui est significatif. Autrement dit, la performance devient performative : elle façonne les pratiques selon des modèles prédéfinis, souvent calqués sur ceux de l'économie marchande, sans que les acteurs aient nécessairement les moyens de les critiquer, de les contextualiser ou de les réapproprier. Dans ce contexte, la participation elle-même risque de se transformer en dispositif formel, vidé de sa charge politique, lorsque son contenu n'est plus défini par les acteurs mais par les exigences de traçabilité externe.

Toutefois, des marges de manœuvre demeurent. Le terrain marocain, riche d'une diversité de formes organisationnelles, de trajectoires territoriales et d'ancrages communautaires, offre un espace fertile pour repenser les équilibres entre autonomie, ancrage social et exigences de gestion. Plusieurs initiatives innovantes, bien que minoritaires, montrent qu'il est possible de co-construire des référentiels d'évaluation adaptés, de réactiver des formes de gouvernance inclusive et de redonner sens à l'engagement solidaire dans une perspective de justice sociale et de développement local intégré.

À travers cette relecture critique, l'article plaide donc pour une réaffirmation du projet politique de l'économie sociale et solidaire face aux risques de dilution normative. Il ne s'agit pas de rejeter en bloc les apports de la gestion entrepreneuriale, mais de rappeler qu'elle ne peut devenir l'alpha et l'oméga de l'action solidaire sans trahir son essence. Penser la performance sociale autrement, c'est remettre en question les évidences gestionnaires, interroger les rapports de pouvoir qu'elles véhiculent, et construire collectivement des outils d'analyse et d'action qui rendent compte de la complexité, de la pluralité et de la profondeur des engagements au sein de l'ESS.

En définitive, ce travail invite à une vigilance épistémologique autant qu'à une mobilisation stratégique : vigilance face aux formes d'uniformisation qui menacent la spécificité du projet solidaire ; mobilisation pour inventer des formes d'organisation, de gouvernance et

d'évaluation réellement alignées sur les valeurs d'autonomie, de solidarité et de démocratie qui fondent l'économie sociale et solidaire dans sa version la plus exigeante.

Références

- Baïda, Fouad, Gouvernance solidaire et tensions managériales : vers un empowerment négocié, Fès : Éditions de la société civile, 2024.
- Benomar, Amine, Les mutations organisationnelles dans l'économie sociale au Maroc, Casablanca : Éditions des dynamiques collectives, 2022.
- Bensaïd, Mehdi, Transformations sociales et innovation solidaire au Maroc, Rabat : Institut national des sciences sociales, 2022.
- Bouchouirbat, Nawal, Réalités et résistances dans l'ESS marocaine : vers une éthique de la performance sociale, Fès : Institut d'innovation sociale, 2024.
- Brunel, Thibault, Vers une intelligence participative : expérimentations et limites dans les structures de l'ESS, Lyon : Recherches sociales et alternatives, 2023.
- Chouika, Farah, Temporalités sociales et pilotage par projets dans le secteur solidaire, Rabat : Cahiers de l'innovation sociale, 2024.
- Derras, Karim, Performance sociale et indicateurs d'impact : une tension méthodologique dans l'ESS, Casablanca : Cahiers critiques de l'économie alternative, 2024.
- Djaï, Fatima, L'économie solidaire en action : réflexions critiques sur la participation des bénéficiaires, Paris : Presses universitaires sociales, 2023.
- Doukkali, Karima, La participation authentique : enjeux critiques pour les organisations solidaires, Fès : Cahiers de la gouvernance démocratique, 2024.
- Doury, Claire, La gouvernance solidaire face à l'économie de la preuve, Lyon : Éditions alternatives critiques, 2023.
- El Haïti, Redouane, Référentiels concurrents et autonomie des structures de

l'ESS au Maroc, Rabat : Revue marocaine des pratiques collectives, 2024.

- El Houari, Abdelhak, Formalisation associative et dérive bureaucratique dans l'ESS marocaine, Casablanca : Institut des études sociales contemporaines, 2022.
- El Malki, Yassir, La pluralité normative dans l'ESS : vers une éthique de la co-régulation, Marrakech : Recherches solidaires contemporaines, 2025.
- El Yousfi, Hind, Vers une évaluation solidaire : co-construction et ancrage territorial des indicateurs, Fès : Revue marocaine de l'action collective, 2024.
- Ghallab, Saloua, Cadre juridique de l'économie sociale au Maroc : entre reconnaissance formelle et standardisation, Rabat : Revue des politiques alternatives, 2024.
- Hakam, Samira, Entre valeurs et gestion : l'évolution lexicale des discours dans l'ESS marocaine, Casablanca : Cahiers critiques de la solidarité active, 2022.
- Kabbaj, Fatima-Zahra, Normes de gestion et recomposition des valeurs dans l'économie solidaire marocaine, Casablanca : Presses de la participation citoyenne, 2022.
- Lahlou, Nabila, Les dimensions invisibles de l'empowerment en contexte associatif, Casablanca : Cahiers de la recherche critique, 2023.
- Leclercq, Vincent, Évaluer sans dénaturer : enjeux et limites de l'évaluation dans l'ESS, Lyon : Presses de l'Économie Alternative, 2024.
- Lemaître, Jean, Finance publique et rationalisation des pratiques solidaires, Paris : Presses de l'économie plurielle, 2023.
- Lhermitte, Rémi, Les indicateurs de l'implication : critique d'une mesure de la participation, Paris : Presses de l'Économie Plurielle, 2024.

- Ouardi, Salma, Participation et gouvernance dans l'économie sociale : entre légitimation et émancipation, Rabat : Revue marocaine des dynamiques collectives, 2023.
- Perrin, Loïc, Standardisation des projets solidaires et effacement du sens, Paris : Presses de l'économie plurielle, 2023.
- Pillon, Rémy, La gouvernance par les chiffres : une menace pour l'autonomie associative ?, Lyon : Presses des territoires solidaires, 2022.
- Rahmouni, Hamza, Auto-normalisation et fragilisation des missions sociales dans l'ESS, Fès : Cahiers marocains de l'innovation sociale, 2023.
- Taïbi, Souad, Réinventer la gestion dans l'ESS : pistes pour une gouvernance réflexive, Fès : Revue marocaine de la transformation sociale, 2024.
- Zekhnini, Leïla, Rationalisation et instrumentation de l'évaluation sociale au Maroc, Rabat : Observatoire des pratiques solidaires, 2023.

Leveraging social media for Inclusive Education: Theoretical Insights on Supporting ADHD Learners in English Language Learning

Oualae Hamzaoui

Mohammed I University, Faculty of Letters
and Human Sciences, Oujda, Morocco
Maroc

Dr. Isam Mrah

Mohammed I University, Faculty of Letters
and Human Sciences, Oujda, Morocco
Maroc

Abstract

This paper explores how short-form social media videos (e.g., TikTok, Instagram Reels) can support ADHD learners in English language learning. Rooted in the Universal Design for Learning (UDL) framework, it applies theoretical lenses such as Cognitive Load Theory, Multisensory Learning, and Social Constructivism. Using qualitative content analysis, the study examines 100 educational videos selected through stratified purposive sampling. The findings suggest that social media shorts that incorporate visual/audio aids, structured content, and interactive features align well with ADHD learners' needs by reducing cognitive load, enhancing retention, and promoting engagement. The study highlights the inclusive potential of digital media in language education and proposes practical recommendations for designing ADHD-friendly content.

Mots clés

ADHD, inclusive education, social media, language learning, Universal Design for Learning

Citation :

BOUHOUHOU. (2025, juillet). Leveraging social media for Inclusive Education: Theoretical Insights on Supporting ADHD Learners in English Language Learning, N° 7, 2ème Année, P 225-249.

1. Introduction

In the evolving landscape of digital education, social media platforms have emerged not only as entertainment tools but also as potential pedagogical resources. Their accessibility, multimodal design, and participatory structure have made them particularly popular among young learners. Short-form video platforms such as TikTok and Instagram short videos represent a transformative medium for information sharing and learning, especially in informal contexts. However, their integration into formal education remains underexplored— particularly regarding their potential to support neurodivergent learners such as those with Attention-Deficit/Hyperactivity Disorder (ADHD).

ADHD is a neurodevelopmental condition that affects executive functioning, including working memory, attention span, and impulse control. In the classroom, learners with ADHD often face significant barriers due to rigid instructional designs, lack of flexibility, and minimal accommodations for their learning profiles. This has sparked increasing interest in the potential of digital tools that offer customizable, interactive, and sensory-rich learning experiences. Notably, short-form video content presents a compelling solution for ADHD- responsive education, especially in the domain of English language learning.

This paper explores the affordances of these platforms in the context of inclusive pedagogy. Drawing on theoretical frameworks such as Universal Design for Learning (UDL), Cognitive Load Theory, Multisensory Learning, and Social Constructivism, it seeks to understand how social media videos can enhance engagement, comprehension, and retention among ADHD learners. By analyzing 100 educational videos through a qualitative lens, this study offers insights into how social media may be leveraged not merely as a motivational tool but as a strategic asset in inclusive educational design.

1.1. Background of the Study

The global proliferation of digital technology has radically transformed how knowledge is produced, consumed, and shared. Within educational contexts, social media has evolved from being a peripheral communication

tool to an increasingly central element in instructional design and learning engagement. Platforms like TikTok and Instagram short videos have popularized short-form videos that are engaging, multimodal, and user-generated. These tools, though not originally intended for pedagogical purposes, are being co-opted by educators and learners to facilitate dynamic, personalized learning experiences.

Simultaneously, the field of inclusive education has intensified its focus on neurodiverse learners, particularly those with Attention-Deficit/Hyperactivity Disorder (ADHD). ADHD is a common neurodevelopmental disorder characterized by persistent inattention, hyperactivity, and impulsivity (American Psychiatric Association, 2013). These symptoms can interfere.

significantly with students' ability to follow conventional classroom routines, sustain attention in lecture-based settings, and engage in long-term tasks. Traditional language education, especially in the area of grammar instruction and vocabulary memorization, often relies on sustained concentration and linear progression—two areas that are particularly difficult for learners with ADHD. Consequently, ADHD students frequently experience academic underperformance, social stigmatization, and reduced self-efficacy (DuPaul et al., 2011; Zentall, 2005).

However, digital tools, especially short-form social media content, may offer promising alternatives. The brevity, repetition, visual stimulation, and interactive potential of platforms like TikTok and Instagram are naturally compatible with the cognitive needs of ADHD learners. These platforms support microlearning through focused, visually enhanced segments, often lasting 15 to 60 seconds, which is ideal for students who struggle with maintaining long attention spans. Furthermore, social media platforms support learning autonomy, allowing users to pause, replay, and engage with content at their own pace. For students who face barriers in traditional instructional environments, these features may act as scaffolds for meaningful engagement and comprehension.

Importantly, short-form social media content also presents opportunities for teachers to bridge formal and informal learning spaces. By curating or creating accessible content aligned with curriculum goals, educators can increase relevance, cultural resonance, and emotional connection—critical factors in motivating students with ADHD to participate actively in their learning. Although such integration is not yet widespread, early research and anecdotal reports suggest a growing awareness of these possibilities (Boettcher & Conrad, 2021). Still, significant gaps remain in our understanding of how, when, and why such tools work for ADHD students, especially in the context of second language acquisition. This study is a response to that gap, seeking to examine the potential of short-form videos in creating ADHD-responsive, inclusive environments for English language learners.

1.2. Problem Statement

Despite increased interest in inclusive digital pedagogy, formal research investigating the affordances of short-form social media content for ADHD learners remains limited. Much of the existing literature addresses educational technology broadly, often treating all learners as a homogeneous group without consideration for neurodiversity. When ADHD is addressed, studies typically emphasize challenges—such as distraction and off-task behavior—rather than the ways in which digital tools might mitigate those difficulties. As a result, instructional designers and educators may underestimate the potential of carefully designed short-form media to support ADHD learners' strengths, such as creativity, pattern recognition, and rapid information synthesis.

Moreover, the dominant perception of platforms like TikTok and Instagram as entertainment hubs reinforces a false binary between play and learning. Educators may avoid these platforms due to concerns about content quality, student attention, or institutional legitimacy. While these concerns are valid, they often overshadow the emergent pedagogical potential within these media. For ADHD learners, the flexible structure, immediacy, and interactivity of short-form videos may offer precisely the kind of engagement and scaffolded pacing that traditional classroom

methods fail to provide. Without a detailed investigation into how such videos function in an educational context—particularly in language acquisition—important opportunities for inclusive teaching may be lost.

This study addresses this gap by focusing on how specific design features of short-form educational videos align with the learning needs of ADHD students. It examines not only content structure but also multisensory design and interactive elements, evaluating whether and how they reduce cognitive overload, enhance memory, and support learner motivation. The lack of targeted research in this area signals the urgency of this investigation, particularly as digital media becomes an ever more central feature of both formal and informal learning.

1.3. The Purpose, Significance, and Scope of the Study

The overarching purpose of this study is to explore how short-form social media videos can be designed, curated, or selected to better support ADHD learners in the acquisition of English as a foreign language (EFL). By analyzing a curated sample of 100 videos from TikTok and Instagram short videos, the study identifies pedagogical features that either enhance or hinder inclusive learning for this population.

The significance of the study lies in its intersectional approach, blending inclusive education theory, language pedagogy, and digital media analysis. It responds to urgent calls within both special education and educational technology to move beyond “add-on” models of inclusion, toward a truly embedded design that anticipates and accommodates learner variability from.

The outset (CAST, 2018). The study offers educators, policymakers, and content creators a research-based framework for leveraging tools that students are already using outside the classroom in ways that enrich formal instruction.

The scope of the study is intentionally focused on English language learning, as language instruction represents a domain in which both structure and flexibility are essential. English learning also relies heavily on attention to detail (e.g., grammar, pronunciation, syntax), making it an

ideal testing ground for ADHD-supportive instructional design. While the findings may have broader implications, the study limits its sample to short-form videos related to English learning to maintain methodological clarity and relevance.

1.4. Research Questions

1. How do short-form educational videos on social media reduce cognitive overload for ADHD learners in English language acquisition?
2. How do multisensory elements (visuals, subtitles, sound effects) in TikTok & Instagram Reels enhance retention and engagement for ADHD learners?
3. How does social interaction in short-form educational content (comments, challenges, collaborative learning) support ADHD learners' engagement and knowledge construction?

2. Literature Review and Theoretical Framework

This study draws on four theoretical pillars to interpret how social media content can support inclusive language learning: Universal Design for Learning (UDL), Cognitive Load Theory, Multisensory Learning, and Social Constructivism. Together, these frameworks provide a robust foundation for analyzing the pedagogical features of short-form videos.

2.1. Universal Design for Learning (UDL)

UDL offers a proactive framework for designing learning environments that accommodate the full range of learner variability. Developed by CAST (2018), UDL emphasizes multiple means of engagement, representation, and expression. These principles are particularly relevant in digital learning contexts, where learners can interact with content in different ways and at their own pace.

Social media naturally supports many of UDL's goals. A TikTok video, for example, can provide visual modeling (representation), allow learners to respond with their own videos (expression), and stimulate motivation through humor, music, or social relevance (engagement). For ADHD

learners, these features offer an alternative to traditional materials that often lack flexibility and responsiveness.

2.2. Cognitive Load Theory, Multisensory Learning, and Social Constructivism

Cognitive Load Theory (Sweller et al., 2019) posits that instruction should minimize extraneous mental effort to maximize learning efficiency. Short-form videos that focus on a single topic, use visual organization, and avoid overwhelming stimuli align well with this principle—particularly for ADHD learners with limited working memory capacity.

Multisensory Learning Theory (Shams & Seitz, 2008) reinforces this approach by emphasizing that content retention improves when information is received through multiple channels (e.g., visual, auditory, kinesthetic). TikTok videos that combine text overlays, narration, and motion graphics create multisensory environments that aid attention and memory consolidation.

Social Constructivism (Vygotsky, 1978) views learning as a fundamentally social process, mediated through tools, dialogue, and collaboration. Social media provides a space where learners can observe, imitate, remix, and respond to others, creating participatory learning communities. For ADHD learners, such environments can foster motivation, self-expression, and peer feedback—all of which support sustained engagement and deeper learning.

3. Method

This study used a qualitative content analysis approach to examine 100 short-form educational videos across TikTok, and Instagram Reels. The goal was to identify how these videos align with the cognitive and instructional needs of ADHD learners in the context of English language acquisition. The methodology includes purposive sampling, a detailed coding rubric informed by theoretical constructs, and thematic analysis.

3.1. Sample / Participants

This qualitative study is based on a purposive, stratified sample of 100

short-form educational videos sourced from three dominant social media platforms: TikTok, and Instagram Reels. The sample was carefully designed to include content explicitly geared toward English language learning (ELL) and structured in a manner potentially supportive of learners with ADHD. The decision to analyze videos from these platforms is informed by their popularity among younger demographics, their widespread use as informal learning tools, and their distinctive content design, which emphasizes brevity, visual storytelling, and engagement through comments or shares.

To ensure balanced representation, videos were selected from five thematic categories commonly found in digital EFL instruction:

1. Grammar tutorials
2. Vocabulary instruction
3. Pronunciation and phonetics
4. Conversation and speaking practice
5. Gamified learning (e.g., quizzes, challenges, or interactive tests)

Each of the five categories contributed 20 videos to the total sample. Videos were selected between January and April 2025 using platform-specific educational hashtags, such as #LearnEnglish, #EnglishTips, and #EnglishChallenge. Content had to meet the following inclusion criteria:

- A. Be publicly accessible and less than 90 seconds in length
- B. Include visual or auditory instructional components (e.g., narration, captions, gesture- based cues)
- C. Demonstrate relevance to English learning for beginners or intermediate learners
- D. Show at least one ADHD-relevant pedagogical affordance (e.g., chunking, repetition, multisensory design, low distraction layout)

To maintain diversity, videos were chosen from creators with varied audience sizes (ranging from micro-influencers to educational accounts with over 500k followers), across multiple English-speaking regions.

Content from both formal educators and non-traditional creators (e.g., ESL influencers, edutainers) was included. By diversifying across platform, topic, creator background, and engagement style, the sample reflects the heterogeneity of real- world content that ADHD learners are likely to encounter.

3.2. Instruments

To conduct a rigorous analysis of ADHD-relevant instructional features in short-form social media content, a customized coding rubric was developed based on the four theoretical frameworks anchoring this study: Universal Design for Learning (UDL), Cognitive Load Theory, Multisensory Learning, and Social Constructivism. This rubric served as the primary analytic instrument and was designed to assess both structural and pedagogical dimensions of the video content.

The coding rubric was organized into three main domains:

A. Cognitive Load & Structural Organization

- Video duration (<30s / 30–60s / 60–90s)
- Use of chunked segments or step-by-step explanations
- Visual structuring devices (e.g., bullets, transitions, text overlays)
- Speech pace and clarity

B. Multisensory Design

- Presence of on-screen captions/subtitles
- Integration of non-verbal cues (e.g., pointing, facial expressions)
- Use of color coding, emojis, or graphic icons
- Background audio/music for rhythm or reinforcement
- Synchronization between auditory and visual elements

C. Interactive and Social Elements

- Viewer prompts (e.g., “Comment your answer”)
 - Collaborative invitations (e.g., “Duet this video,” “Stitch your response”)
 - Inclusion of gamified tasks or Q&A
 - Accessibility features (e.g., repeated content, slow pacing)
- Each item was scored on a 0–2 scale:
- 0 = Not present
 - 1 = Present but minimal/underutilized
 - 2 = Present and pedagogically integrated

3.3. Data collection and analysis

A. Video Identification and Cataloguing

Using hashtags, search filters, and recommendations within TikTok and Instagram short videos, researchers identified 100 eligible videos based on the inclusion criteria. Metadata (e.g., title, creator, duration, post date, view count) was recorded in a spreadsheet. Each video was assigned a unique code (e.g., TKT-001, YTS-045) for traceability.

B. Transcription and Description

Each video was transcribed, capturing both verbal content (e.g., spoken explanations) and non-verbal features (e.g., gestures, visual cues). Screenshots of relevant frames were stored for visual reference. Descriptions included notes on pace, tone, visual flow, and layout.

C. Coding and Thematic Categorization

The coding rubric was applied manually to each video, producing both numerical scores and detailed qualitative notes. The coded data were then carefully reviewed and organized into categories using structured tables and spreadsheets, allowing for clear comparison across platforms and themes. Codes were systematically grouped into broader categories aligned with the study’s research questions: (a) cognitive load reduction, (b)

multisensory reinforcement, and (c) social learning facilitation. This manual approach ensured transparency in the coding process and allowed for rich thematic synthesis, even without the use of specialized analysis software.

D. Comparative and Pattern Analysis

Once coded, videos were analyzed for recurring patterns, outliers, and platform-specific tendencies. Descriptive statistics were generated to summarize key findings (e.g., % of videos using captions, average length, engagement features). A cross-platform matrix was created to map affordances against educational potential for ADHD learners.

The combination of deductive coding (based on theory) and inductive memoing (based on researcher observations) allowed for a rich, layered understanding of how different media features may align with or detract from inclusive learning practices

4. Results

The content analysis of the 100 selected short-form educational videos yielded a detailed profile of how each platform—TikTok and Instagram short videos—supports (or fails to support) ADHD learners in English language learning. The results are organized into three core dimensions: (1) cognitive load management, (2) multisensory learning features, and (3) social engagement potential. These correspond directly with the theoretical domains outlined in the methodology and are described below with illustrative patterns and cross-platform comparisons.

5. Analysis

The findings align closely with the expectations drawn from the theoretical framework. The brevity and chunking observed in 85% of videos affirm the relevance of Cognitive Load Theory for ADHD learners. Breaking down complex language rules into discrete steps reduces mental strain and enhances comprehension. Videos that used visual transitions (e.g., scene cuts, on-screen text) provided additional support by guiding attention and reinforcing sequence.

In addition, the multisensory nature of most content validated the value of Multisensory Learning Theory. Visual cues, audio prompts, and captioning worked synergistically to support encoding and recall. This is crucial for learners with ADHD, whose attentional shifts can interrupt comprehension in monomodal formats.

The relatively lower percentage of peer-learning features (20%) suggests that the Social Constructivist potential of these platforms remains underleveraged. While the platforms enable collaborative tools, such as duets and comment threads, few educational creators intentionally structure interaction as part of the learning design. Educators and content designers have an opportunity to shift from simply broadcasting information to facilitating shared knowledge construction.

6. Cognitive Load Management and Structural Design

A large majority of the analyzed videos demonstrated characteristics that align with ADHD-friendly cognitive load reduction strategies. Approximately 85% of the total sample used brief, focused content segments lasting 60 seconds or less. Videos that remained under the 60-second threshold generally addressed a single, narrowly defined learning objective, such as “how to use the present simple for habits” or “5 ways to say ‘thank you.’” Among these, nearly 60% employed explicit chunking techniques, often through numbered steps, side-by-side examples, or on-screen bullets. For instance, one grammar video presented three sentence structures (affirmative, negative, question) in three short scenes, each supported by audio narration and text.

Another critical design element observed was the pacing of speech and transitions. Over half of the videos adopted a moderate-to-slow verbal delivery, avoiding rapid speech that could overwhelm working memory. Transitions between ideas were often marked visually using screen wipes, icons, or brief pauses. These features are critical for ADHD learners, who often struggle with processing delays and need clearly delineated information boundaries.

In contrast, 15% of the videos were cognitively dense, attempting to cover too many points at once or combining unrelated grammar structures

without scaffolding. These videos tended to confuse or visually overwhelm the viewer due to poor sequencing, inconsistent formatting, or excessive background noise—factors that significantly increase cognitive load and decrease retention, especially for neurodivergent learners.

6.1. Multisensory Learning Features

The majority of videos incorporated multiple sensory modalities, making them more accessible to learners who benefit from visual, auditory, and spatial cues. A full 75% of the videos included subtitles or captions, with many offering real-time text overlays that synchronized with the spoken narration. Subtitles were either built-in or platform-generated, and their presence appeared particularly useful in videos that used quick verbal examples or less familiar vocabulary.

Further, 65% of videos used strong visual reinforcement, such as color-coded text, emoji indicators, on-screen arrows, and animated gestures (e.g., hand pointing or circling important words). For example, one vocabulary video used green for nouns, blue for verbs, and red for adjectives—providing color-association cues that aid retention. This strategy aligns well with ADHD learners' need for visual anchors and structure.

Auditory cues were present in about 40% of the content, including background music, rhythmic voice modulation, and feedback sounds like “ping” or “ding” to indicate correct answers.

Importantly, videos with at least two integrated modalities (e.g., audio + text or video + gestures) received significantly more interaction from viewers in terms of likes, shares, and comments. These findings support the assumption that multisensory design is not only pedagogically effective but also socially engaging—an important consideration when motivating ADHD learners to persist in self-guided language study.

6.2. Social Interaction and Peer Learning Features

While cognitive and sensory affordances were strongly present, the inclusion of interactive and social learning features was more varied and platform-dependent. Overall, 55% of the sample included some form of viewer interaction, such as asking learners to comment with a translation,

complete a sentence, or share their own example using the target structure. These prompts create the opportunity for learners to respond socially and reinforce their understanding through reflection or peer feedback.

However, only 20% of the videos provided structured peer learning mechanisms, such as inviting viewers to “duet,” “stitch,” or “remix” content. On TikTok, duet chains were occasionally used to encourage collaborative learning—for example, learners were invited to repeat and record pronunciation drills, or respond to grammar challenges like “Can you correct this sentence?”

In some of the most interactive examples, creators designed content specifically to elicit audience participation. One video prompted viewers to complete a sentence with one of three choices, then displayed a timer encouraging them to respond before the “answer” was revealed. These techniques serve both as retrieval practice and as a low-pressure way for ADHD learners to engage asynchronously, at their own pace, without the social anxiety often associated with classroom participation.

Despite these promising practices, the overall level of collaborative design remains low, with the majority of videos focused on unidirectional information delivery. This highlights an important limitation: while social media platforms provide technical affordances for

interaction, educational content creators may not be intentionally leveraging those features to maximize social constructivist learning for ADHD students.

6.3. Platform-Specific Observations

Platform-specific differences were evident in terms of pacing, pedagogical style, and feature integration:

- TikTok was the most dynamic and creative, favoring humor, animation, and quick transitions. Its duet/stitch features also made it the most interactive.
- Instagram Reels featured aesthetic polish and consistent color formatting, often with motivational or self-paced voiceovers. It was strong

in visual design but weaker in content density.

These differences suggest that platform choice matters when designing ADHD- inclusive content. Each offers unique strengths and limitations that educators must consider when selecting or recommending materials.

7. Analysis and Discussion

This section interprets the empirical findings presented above in light of the study's guiding theoretical frameworks: Cognitive Load Theory, Multisensory Learning, Universal Design for Learning (UDL), and Social Constructivism. By analyzing how short-form social media videos support or fall short of the pedagogical needs of ADHD learners in EFL contexts, this discussion seeks to explain not only what the data shows, but also why certain features function effectively in inclusive learning environments.

7.1. Reducing Cognitive Load through Temporal Structuring and Clarity

The most prominent finding across the sample was the use of brevity and structural focus—videos that covered one core idea in less than 60 seconds and employed chunked visual formatting. These features exemplify best practices from Cognitive Load Theory (Sweller et al., 2019), which emphasizes minimizing extraneous processing to allow limited working memory to focus on essential content.

For ADHD learners—whose executive function challenges can include impulsivity, poor attentional regulation, and difficulty retaining sequential information—this kind of

chunking is not just helpful; it is essential. Videos that used clear, sequenced steps (“Step 1: Subject + verb,” “Step 2: Add -ing”) allowed learners to see structure without cognitive overwhelm. This is particularly important in grammar instruction, where traditional delivery methods (such as extended lectures or textbook tables) often lead to disengagement due to abstraction and working memory fatigue (Klingberg, 2013).

Further, videos that slowed down speech and visually segmented content created a more manageable cognitive environment. By using transitions, pauses, and highlighted text, creators gave viewers time to process before moving forward. This not only benefits ADHD learners but aligns with the principle of universality—what supports learners with cognitive challenges often supports everyone.

7.2. Multisensory Learning and Anchored Attention

The results also support claims from Multisensory Learning Theory (Shams & Seitz, 2008), demonstrating that dual-channel input—particularly synchronized audio and text— improves engagement and retention. The use of captions, color-coded words, and visual symbols (e.g., pointing, emojis, images) helps learners form associations between concepts, sounds, and visual representations.

For ADHD learners, who may be visually or kinesthetically oriented, such features act as attentional anchors, guiding focus even when distractibility is high. The appearance of red- colored keywords, motion effects to emphasize rules, or emoji-based cues for parts of speech are examples of how visual salience can scaffold memory. These elements are rarely available in printed classroom materials or static PowerPoint slides, yet are ubiquitous in short-form video platforms.

Importantly, the integration of music and rhythm in 40% of the videos also suggests an underused but valuable ADHD strategy: entrainment. Studies have shown that rhythm helps regulate attention, reduce anxiety, and support working memory (Thaut et al., 2005). Background music with a consistent tempo, especially when used to pace examples or pronunciation, may create a more embodied and engaging experience—one that ADHD learners may respond to with increased motivation and recall.

7.3. Engagement and the Promise of Participatory Learning

While multisensory and cognitive load benefits were widely observed, the interactive potential of social media content remains underleveraged. The Social Constructivist framework (Vygotsky, 1978) emphasizes

learning as a dialogic, shared process. Yet, despite platforms offering tools for interaction—duets, stitches, collaborative challenges—only 20% of the videos encouraged explicit peer engagement.

This presents a missed opportunity, particularly for ADHD learners who often benefit from immediate feedback, social scaffolding, and gamified peer interaction (Zentall, 2005). Even low-barrier prompts, such as “Finish this sentence in the comments” or “Challenge a friend,” can enhance retention through reflection and community. In this sense, the content analyzed fell short of leveraging the full pedagogical affordances of these platforms.

Still, examples from TikTok creators who used interactive grammar games or pronunciation challenges demonstrate the untapped potential. When learners were encouraged to participate asynchronously and creatively—such as responding to a prompt with their own video—the line between content consumer and co-creator blurred. This aligns not only with social learning theory but with UDL’s call for multiple means of expression (CAST, 2018), offering students alternative pathways to demonstrate understanding.

7.4. Toward ADHD-Responsive Microlearning Design

Taken together, the results suggest a new model of ADHD-responsive microlearning. This model is characterized by five key instructional design features observed in the highest- performing videos:

1. Brevity with focus: Limit each video to one objective.
2. Chunked sequence: Present information in discrete, visually segmented steps.
3. Multimodal cues: Combine visuals, text, and sound for reinforcement.
4. User pacing: Allow for replay, pause, and self-directed interaction.
5. Social prompts: Invite learners to engage, respond, or co-create.

Such a model bridges informal digital practices with formal pedagogical aims, allowing educators to harness the environments students already engage in while meeting their neurological and emotional needs.

7.5. Risks and Limitations in Informal Digital Pedagogy

It is important to note that while many videos aligned with ADHD-friendly principles, others posed significant risks. Videos that moved too quickly, had inconsistent layouts, or layered too much sensory input created cognitive overload—especially for learners with ADHD. Additionally, the algorithmic nature of these platforms means that educational content may be sandwiched between distracting or unrelated videos, making focused learning difficult without clear curation.

Moreover, the absence of pedagogical training among content creators means that many videos, while entertaining, lacked instructional rigor. This calls for a closer partnership between educators and digital influencers, ensuring that popular platforms do not merely “motivate” learners but actually support meaningful, accessible instruction.

8. Implications, Recommendations and Conclusions

The findings of this study offer several important implications for educators, instructional designers, educational content creators, and policy-makers committed to inclusive education, particularly for learners with ADHD in English as a Foreign Language (EFL) contexts.

First, the data strongly suggest that microlearning formats—short videos focused on single objectives—align well with the attentional profiles and working memory limitations of ADHD learners. These findings reaffirm the central tenets of Cognitive Load Theory and UDL, which advocate for concise, structured, and cognitively efficient content delivery. As a result, language educators should seriously consider integrating short-form videos into daily instruction as either primary input, supplemental scaffolding, or independent practice resources.

Second, the consistent presence and value of multisensory reinforcement (subtitles, color coding, hand gestures, sound effects) across platforms suggest that ADHD learners benefit most from multimodal

design. Teachers using classroom technology should adopt these features in their own teaching materials, mirroring social media strategies like highlighting

keywords, repeating examples with auditory and visual overlap, and scaffolding difficult concepts through multimodal input.

Third, while interactivity is still underutilized, its potential remains vast. ADHD learners often thrive in environments that include peer interaction, feedback loops, and social accountability. Therefore, integrating interactive prompts—such as asking students to reply to a video, complete a challenge, or remix content—could dramatically enhance learner engagement, persistence, and self-expression.

Based on the analysis, the following are concrete, field-specific recommendations for multiple stakeholders:

8.1. Practical Recommendations

Based on the analysis, the following are concrete, field-specific recommendations for multiple stakeholders:

A. For Educators and Language Instructors

- Incorporate short-form video content as part of your instructional strategy, particularly when introducing or reinforcing new concepts.
- Use classroom-friendly apps (e.g., Edpuzzle, Flipgrid, Canva video) to create ADHD- accessible video lessons using techniques borrowed from TikTok and Instagram creators: subtitles, visual markers, interactive pacing.
- Invite students to create their own videos to demonstrate understanding. This supports UDL's principle of multiple means of expression and boosts retention through student ownership.

B. For Digital Content Creators

- Align video design with pedagogical principles: chunk content, reduce distractions, emphasize clarity, and use predictable templates.
- Include interactive elements that invite learner participation (e.g.,

“Try this and tag me,” “Pause and fill in the blank”).

- Use real examples, story-based structures, and humor judiciously to increase emotional connection without sacrificing clarity.

C. For Policymakers and Institutional Leaders

- Validate and incorporate informal learning platforms in digital inclusion strategies. Official frameworks should recognize social media as a viable learning space, especially for neurodiverse students.

- Provide training and professional development for teachers in digital content curation

and accessible video production, with a focus on ADHD-supportive strategies.

- Fund cross-sector collaborations between teachers and content creators to co-design ADHD-responsive microlearning libraries, possibly integrated into open educational resources (OERs).

8.2. Conclusion

This study explored how short-form social media platforms—TikTok and Instagram short videos—can contribute to inclusive English language learning for ADHD learners. Through a qualitative content analysis of 100 videos, the research identified structural, sensory, and interactive features that either supported or hindered ADHD-responsive pedagogy.

Findings confirmed that the most effective videos followed microlearning principles, minimized cognitive load, integrated multisensory cues, and—though less frequently—invited learner interaction. These results reaffirm that inclusive design does not require high-cost interventions, but instead demands thoughtful alignment of platform affordances with pedagogical intent.

Moreover, while this study focused on ADHD learners in language acquisition, the broader implications reach into the heart of inclusive education. Digital tools that work for ADHD students often benefit others—ELLs, students with executive functioning challenges, and even neurotypical learners in need of clearer, more engaging instruction.

In conclusion, short-form educational video content represents not only a convenient supplement, but a critical opportunity to reimagine how we support learners who are too often marginalized by conventional teaching. By embedding accessibility and neurodiversity into our design of educational media, we move one step closer to creating classrooms—digital or physical—that truly welcome all minds.

9. Limitations & Directions for Future Research

9.1. Study Limitations

While this study provides meaningful insights into the potential of short-form social media videos to support ADHD learners in English language learning, it is important to acknowledge its limitations, which constrain the generalizability and applicability of the findings.

A. Content-Based, Not Learner-Based

One of the most significant limitations is the study's focus on media content rather than learner experience. While the analysis of video structure, multisensory features, and interaction design yields strong theoretical insights, it does not capture how actual ADHD learners respond to or benefit from these videos in practice. No behavioral, cognitive, or emotional feedback from ADHD learners was collected. As such, findings rely on design inference rather than direct impact measurement. Without learner-reported data or learning outcomes, conclusions about effectiveness remain indicative rather than conclusive.

B. Platform and Language Scope

The scope of this study was deliberately focused on three dominant platforms (TikTok, Instagram Reels) and on English language learning content. While this focus allowed for depth and control, it necessarily excluded other important platforms—such as Snapchat Spotlight, Facebook Reels, or region-specific networks (e.g., Kwai, Moj)—as well as other subject domains (e.g., science, history, mathematics). The pedagogical and cognitive dynamics in these other contexts may differ significantly, and thus, findings should not be extrapolated to broader digital learning contexts without caution.

C. Sample Selection and Temporal Limits

Although the sample was diverse in format and theme, it was limited to 100 videos posted within a recent 4-month timeframe. Algorithmic visibility and engagement metrics may have skewed the sample toward more popular or aesthetically polished videos, leaving out lower-view but potentially more pedagogically rigorous content. Furthermore, because social

media platforms evolve rapidly, some affordances (such as video length limits or editing tools) may have changed since the videos were published, affecting their relevance for future viewers.

D. Creator Bias and Instructional Validity

The study assumes that creators intended to educate, yet it is clear that not all content is designed with pedagogical intent. Many creators prioritize engagement, aesthetics, or branding over learning outcomes. This inconsistency may limit the generalizability of the analysis to more traditional instructional contexts. The absence of formal pedagogical training among most video creators also means that even high-performing content might not align with established educational best practices.

9.2. Directions for Future Research

Despite these limitations, the study opens numerous avenues for further exploration in both research and practice.

A. Learner-Centered Research with ADHD Students

Future studies should incorporate empirical data from ADHD learners, including qualitative interviews, focus groups, or eye-tracking studies. Researchers might examine how learners navigate video content, which features they find most helpful or distracting, and what supports sustained attention, motivation, and confidence. Including ADHD learners as co-researchers—especially adolescents—could also improve participatory design processes and ensure that instructional media better reflect neurodivergent lived experiences.

B. Experimental Designs Measuring Learning Outcomes

To move beyond media analysis, future work could apply quasi-experimental or experimental designs comparing ADHD learner outcomes after exposure to different video formats. For instance, researchers might compare retention or grammar acquisition between groups using short-form videos versus textbook-based instruction, or test whether multisensory elements significantly improve vocabulary acquisition.

C. Platform and Regional Comparisons

Further research might expand the scope of platforms, exploring how regional or linguistically diverse learners interact with short-form content. What works for Moroccan EFL learners may not translate directly to learners in Japan, Brazil, or Finland. Similarly, comparing creator practices across educational systems or cultural expectations might reveal valuable contrasts in engagement strategies, pacing norms, or inclusivity practices.

D. Cross-Disciplinary Applications and Co-Design

Beyond EFL, other subject areas—especially those with high abstraction like math or science—could benefit from short-form ADHD-responsive content. Cross-disciplinary studies involving instructional technologists, psychologists, and special education teachers could co-design toolkits or pedagogical templates for creators. These collaborations may culminate in shared repositories of ADHD-optimized digital lessons, professional development modules for teachers, and partnerships with social media platforms themselves to support educational creators.

Références

- American Psychiatric Association. (2013). Diagnostic and statistical manual of mental disorders (5th ed.). <https://doi.org/10.1176/appi.books.9780890425596>
- Boettcher, J. V., & Conrad, R.-M. (2021). The online teaching survival guide: Simple and practical pedagogical tips (2nd ed.). Jossey-Bass.
- CAST. (2018). Universal Design for Learning guidelines version 2.2. <http://udlguidelines.cast.org>
- DuPaul, G. J., Weyandt, L. L., & Janusis, G. M. (2011). ADHD in the classroom: Effective intervention strategies. *Theory Into Practice*, 50(1), 35–42. <https://doi.org/10.1080/00405841.2011.534935>
- Elo, S., & Kyngäs, H. (2008). The qualitative content analysis process. *Journal of Advanced Nursing*, 62(1), 107–115. <https://doi.org/10.1111/j.1365-2648.2007.04569.x>
- Greenhow, C., & Lewin, C. (2016). Social media and education: Reconceptualizing the boundaries of formal and informal learning. *Learning, Media and Technology*, 41(1), 6–30. <https://doi.org/10.1080/17439884.2015.1064954>
- Kieran, L., & Anderson, C. (2019). Inclusive education and the UDL framework: Emphasizing inclusion through Universal Design. *International Journal of Inclusive Education*, 23(9), 1049–1063. <https://doi.org/10.1080/13603116.2019.1602361>
- Klingberg, T. (2013). *The learning brain: Memory and brain development in children*. Oxford University Press.
- Moreno, R., & Mayer, R. E. (2007). *Interactive multimodal learning*

environments.

- Educational Psychology Review, 19(3), 309–326.
<https://doi.org/10.1007/s10648-007-9047-2>
- Rehm, M., & Notten, A. (2016). Twitter as an informal learning space for teachers? The role of social capital in Twitter conversations among teachers. Teaching and Teacher Education, 60, 215–223.
<https://doi.org/10.1016/j.tate.2016.08.015>
- Shams, L., & Seitz, A. R. (2008). Benefits of multisensory learning. Trends in Cognitive Sciences, 12(11), 411–417.
<https://doi.org/10.1016/j.tics.2008.07.006>
- Sweller, J., Ayres, P., & Kalyuga, S. (2019). Cognitive load theory (2nd ed.). Springer. <https://doi.org/10.1007/978-1-4614-1748-3>
- Thaut, M. H., Trimarchi, P. D., & Davide, P. (2005). The connection between rhythmicity and brain function: Support for the rhythm-based learning approach. Annals of the New York Academy of Sciences, 1060(1), 211–224. <https://doi.org/10.1196/annals.1360.015>
- Vygotsky, L. S. (1978). Mind in society: The development of higher psychological processes. Harvard University Press.
- Zentall, S. S. (2005). Theory- and evidence-based strategies for children with attentional problems. Psychology in the Schools, 42(8), 821–836.
<https://doi.org/10.1002/pits.20116>

España y Marruecos: Un Pilar Fundamental en la Lucha Contra el Terrorismo Global

Souhail ANKRI

Maroc

Dr. Mourad ZARROUK

Maroc

Résumé

La cooperación hispano-marroquí en materia antiterrorista es una pieza clave en el fortalecimiento de la cooperación entre ambos países sobre todo en el tema de la seguridad, así como la estabilidad de la región del Mediterráneo y el norte de África. Esta colaboración ha resultado útil en la prevención de atentados, en la desarticulación de células extremistas y en la interceptación de redes especializadas en la financiación del terrorismo. De hecho, a lo largo de los años, ha existido una relación de confianza operativa en materia antiterrorista que sobrepasó los obstáculos iniciales y construyó una sólida cooperación entre los dos reinos, que comparten historia, intereses económicos y sociales.

Desde el comienzo siglo XXI, el terrorismo se ha convertido en un fenómeno que no solo crece, sino que también causa terror en todo el mundo, sobre todo, después de los atentados de 2001 en Estados Unidos. España y Marruecos, también han sido blanco de ataques terroristas como los perpetrados por Al Qaeda en Casablanca en 2003, el los de Madrid en 2004, además del ataque de Daesh en Barcelona en 2017. Estos hechos han tenido un impacto significativo, causando numerosas víctimas. El terrorismo en ambos países se basa en una ideología salafista extremista que manipula conceptos como la yihad, distorsionando su verdadero significado religioso (Novillo Daza, 2024).

En los últimos años, la expansión del terrorismo ha cobrado mayor relevancia, especialmente en la región del Sahel, que se ha convertido en un nuevo epicentro tras la derrota de Dáesh en Siria e Irak. Esta amenaza reviste una gravedad particular para España, dada su proximidad geográfica, incluyendo las Islas Canarias, así como la presencia de grupos terroristas en los campos de refugiados de Tinduf (Llorente, R. 2020) . La cooperación internacional ha sido fundamental en la lucha contra este fenómeno global, destacando la creciente importancia del trabajo conjunto entre países. En este contexto, Marruecos y España han demostrado que el diálogo y la confianza mutua son elementos clave para enfrentar la amenaza terrorista.

Mots clés

Terrorismo, cooperación internacional, España, Marruecos, Dirección General de Vigilancia del Territorio (DGST), lucha contra el terrorismo, Al-Qaeda, Estado Islámico (ISIS), Sahel, reformas religiosas, yihad, operaciones conjuntas, radicalización.

Citation :

ANKRI, Souhail. ZARROUK, Mourad. (2025, Juin). España y Marruecos: Un Pilar Fundamental en la Lucha Contra el Terrorismo Global, N° 7, 2ème Année, P 250-276.

Introducción

El terrorismo, en todas sus facetas, ya sea de carácter religioso o ideológico, es un tema de gran relevancia en la actualidad. Durante las dos primeras décadas del siglo XXI, ha sido una de las principales preocupaciones de la comunidad internacional, especialmente tras los atentados del 11 de septiembre de 2001 contra las Torres Gemelas de Nueva York, perpetrados por la organización terrorista Al-Qaeda. En la última década, el mundo ha sido testigo de una ola de ataques caracterizados por el auge del autoproclamado Estado Islámico.

La cooperación internacional es fundamental para combatir esta amenaza. En los últimos años, el terrorismo se ha convertido en una de las mayores inquietudes para casi todas las agencias de inteligencia a nivel mundial. En este contexto, la cooperación ha adquirido una importancia creciente en la lucha contra el terrorismo, ocupando un lugar destacado en la agenda internacional en materia de seguridad. Es imperativo reconocer que la colaboración entre países es más necesaria que nunca, especialmente ante un terrorismo de carácter religioso que persigue objetivos expansivos e internacionales, que no reconoce fronteras y que se aprovecha de las vulnerabilidades de los Estados fallidos para expandirse y alcanzar sus metas (Cadenas & García, 2019)¹.

Por otro lado, la expansión del terrorismo ha aumentado significativamente, especialmente en África subsahariana, concretamente en la región del Sahel, que se ha convertido en un nuevo epicentro del terrorismo mundial tras la derrota de Dáesh en Siria e Irak en 2019. Asimismo, la amenaza terrorista en el Sahel es incluso más grave y potente para la Unión Europea que la que existía en Oriente Medio, debido a la proximidad geográfica, la cual los grupos terroristas pueden utilizar para llevar a cabo ataques contra objetivos occidentales en el norte de África. La inestabilidad política y económica en la región ha facilitado la presencia de

1 Cadenas, C., & García, M. (2019). La cooperación antiterrorista en la cuenca del Mediterráneo: La colaboración entre Marruecos y España. Editorial Seguridad y Defensa.

terroristas, cuyas acciones, caracterizadas por su extrema brutalidad, han afectado especialmente a poblaciones vulnerables.

Tanto Marruecos como España han sido víctimas de atentados terroristas, lo que ha intensificado su colaboración en la lucha contra esta amenaza. España sufrió el atentado más letal en la historia de la Unión Europea en 2004, cuando miembros de Al-Qaeda perpetraron un ataque en Madrid que causó 192 fallecidos. En 2017, un nuevo atentado sacudió Barcelona, con un saldo de 16 muertos y cerca de 180 heridos, perpetrado por extremistas que juraron lealtad a Dáesh (Reinares & García-Calvo, 2018)¹. Marruecos también ha sido escenario de atentados, principalmente por parte de Al-Qaeda, en Casablanca y Marrakech, causando la muerte de 66 personas (Hespress, 2023)².

El terrorismo es una problemática global que requiere una respuesta internacional meticulosamente coordinada. Si bien la cooperación internacional es fundamental, la colaboración bilateral entre países, como la de Marruecos y España, ha demostrado ser especialmente eficaz. Ambos países, han desarrollado una sólida relación de cooperación, materializada en operaciones antiterroristas conjuntas y acciones judiciales. La confianza mutua, que se basa en dialogar y respetar la soberanía de los territorios nacionales, es clave para que esta colaboración funcione de manera adecuada. Esto incluye tanto temas políticos como económicos, y ayuda a reforzar la estrategia conjunta contra el terrorismo (Barrenechea & Rogelio, 2015)³.

La colaboración hispano-marroquí en cuestiones de seguridad es de suma importancia, no solo para proteger a los dos países, sino también para mantener la estabilidad en el Mediterráneo y el norte de África. Gracias a esta colaboración, se han evitado ataques, se han desmantelado grupos

1 Reinares, F., & García-Calvo, C. (2018). Un análisis de los atentados terroristas en Barcelona y Cambrils. Análisis del Real Instituto Elcano.

2 Hespress. (2023, 16 de mayo). الإرهاب مكاثفة يواصل المغرب: الأليمة ماي 16 أحداث ذكرى. Hespress. <https://www.hespress.com/يواصل-المغرب-الأليمة-ماي-16-أحداث-ذكرى/1362987.html>

3 Barrenechea, L., & Rogelio, A. (2015). La cooperación antiterrorista entre España y Marruecos: ¿Un modelo para la estrategia contra el yihadismo? Instituto Español de Estudios Estratégicos (Cuadernos de Estrategia 173

La Internacional Yihadista), Pag185-216.

extremistas y se han bloqueado redes de financiamiento terrorista, lo que fortalece la alianza en la lucha contra el terrorismo entre los dos reinos. Aunque el terrorismo que afecta a ambos países está vinculado a ideologías extremistas que intentan asociar este fenómeno con la religión musulmana, es importante destacar que la concepción de la yihad promovida por organizaciones como Al-Qaeda, Dáesh y los talibanes dista considerablemente de la interpretación del islam. La yihad en su verdadero sentido hace referencia al esfuerzo personal contra los pecados siguiendo el buen camino de Dios y no una guerra santa como pretenden los extremistas (Melo, D. 2005)¹.

Esta colaboración se ha consolidado como un modelo exitoso en la lucha contra el terrorismo transnacional. En un contexto geopolítico caracterizado por amenazas persistentes, ambos países han forjado una alianza estratégica que ha fortalecido la seguridad de sus territorios, así como la de la región mediterránea en su conjunto. Esta colaboración ha sido esencial para abordar esta amenaza común, integrando esfuerzos en áreas de inteligencia, seguridad y políticas internacionales.

La metodología de investigación utilizada en este artículo se basa en un enfoque mixto (cualitativo y cuantitativo) para obtener una visión completa de la cooperación antiterrorista entre Marruecos y España. El análisis cualitativo permitirá profundizar en los aspectos históricos, políticos y estratégicos de la cooperación, mientras que el enfoque cuantitativo servirá para evaluar la efectividad de las políticas y operaciones conjuntas a través de datos y estadísticas.

El objetivo general de esta investigación es llevar a cabo un análisis exhaustivo de la cooperación antiterrorista entre Marruecos y España, evaluando los mecanismos, estrategias y resultados de dicha colaboración en la lucha contra el terrorismo. Por otro lado, los objetivos específicos incluyen la identificación de las políticas y estrategias antiterroristas adoptadas por ambos países, la revisión de los acuerdos bilaterales en

1 Melo, D. (2005). El concepto Yihad en el Islam clásico y sus etapas de aplicación. *Temas Medievales*, 13(1).
https://www.scielo.org.ar/scielo.php?script=sci_arttext&pid=S0327-50942005000100008

materia de seguridad y cooperación antiterrorista, la evaluación de la eficacia de las operaciones conjuntas y su impacto en la prevención y desarticulación de células terroristas, así como el análisis de los desafíos y barreras en la cooperación, junto con las lecciones aprendidas.

Con miras a llegar a una conclusión sobre lo explicado en el presente artículo, formulamos algunas hipótesis sobre la lucha contra el terrorismo en Marruecos y España:

¿Es la cooperación antiterrorista entre Marruecos y España una herramienta eficaz y favorable para la seguridad y estabilidad de los dos países, así como de la región mediterránea?

¿Es un recurso muy importante y qué grado de influencia puede tener dicha cooperación para las relaciones bilaterales entre Marruecos y España?

¿Está la lucha basada en la confianza recíproca, en el respeto a la soberanía y en el marco de la legalidad internacional, así como en el interés común por la lucha contra el terrorismo religioso?

¿Se ha adaptado la cooperación antiterrorista entre Marruecos y España a la aparición de nuevos actores y nuevas maneras de actuar por parte del fenómeno del terrorismo, así como a los cambios y desafíos que ello supone?

Un Enfoque Conjunto para Combatir el Terrorismo

España y Marruecos, situados en puntos estratégicos del mapa, han enfrentado amenazas similares por parte de grupos extremistas como Al Qaeda, el Estado Islámico (ISIS) y otras organizaciones terroristas que operan en África y Europa. La naturaleza cambiante y cada vez más sofisticada del terrorismo moderno ha llevado a ambos países a colaborar a un nivel sin precedentes.

La cooperación transfronteriza entre los cuerpos policiales de ambos países, es el eje central de esta cooperación, cuyo objetivo primordial es fortalecer y ampliar la colaboración antiterrorista, el crimen organizado, el

tráfico de drogas, la inmigración irregular y la trata de personas (Red Acoge, 2023)¹.

De hecho, los convenios policiales entre ambos Estados son una de las herramientas más efectivas para luchar contra la delincuencia transnacional, el terrorismo y otros delitos graves. Estos acuerdos formales facilitan la colaboración en la prevención, detección e investigación de delitos, lo que fortalece las relaciones de seguridad entre los dos reinos. En este contexto, España y Marruecos han sido pioneros en la implementación de acuerdos bilaterales en materia de seguridad que abarcan desde el intercambio de información hasta la realización de operaciones conjuntas (Boletín Oficial del Estado, 2022)².

Desde la firma del Tratado de Amistad, Buena Vecindad y Cooperación en 1991, el primero de este tipo con un país africano y mediterráneo (Boletín Oficial del Estado, 1991)³. España ha mantenido un sólido vínculo con Marruecos en materia de seguridad. Este tratado consolidó de manera contundente las relaciones entre ambos países y marcó el inicio de un extenso proceso de cooperación. En 2010, se suscribió el primer acuerdo policial entre España y Marruecos, centrado en la cooperación transfronteriza para combatir el terrorismo, el crimen organizado, el tráfico de drogas y armas, la inmigración irregular y la trata de seres humanos.

A raíz de este acuerdo, España y Marruecos sellaron un acuerdo de cooperación en seguridad, dando lugar a la creación de los dos Centros de Cooperación Policial (CCP) entre ambos países. En 2012 estos dos centros fueron inaugurados, en las ciudades de Algeciras (España) y Tánger (Marruecos), estos centros buscan mejorar la seguridad fronteriza y

1 Red Acoge. (2023, febrero 14). España y Marruecos renuevan su cooperación en materia de seguridad, vinculando delincuencia organizada e inmigración irregular. Red Acoge. <https://redacoge.org/espana-y-marruecos-renuevan-su-cooperacion-en-materia-de-seguridad-vinculando-delincuencia-organizada-e-inmigracion-irregular/>

2 Boletín Oficial del Estado. (2022, octubre 28). Acuerdo entre el Reino de España y el Reino de Marruecos sobre cooperación en materia de seguridad, firmado en Rabat el 5 de abril de 2022. Boletín Oficial del Estado. https://www.boe.es/diario_boe/txt.php?id=BOE-A-2022-5595

3 Reino de España & Reino de Marruecos. (1991). Tratado de amistad, buena vecindad y cooperación entre el Reino de España y el Reino de Marruecos, hecho en Rabat el 4 de julio de 1991. Boletín Oficial del Estado. [https://www.boe.es/eli/es/ai/1991/07/04/\(1\)](https://www.boe.es/eli/es/ai/1991/07/04/(1))

promover el intercambio de información a tiempo real entre las fuerzas de seguridad (Boletín Oficial del Estado, 2012)¹. Los CCP están financiados por ambos gobiernos y, en ocasiones, cuentan con el apoyo de la Unión Europea. El personal asignado a estos centros recibe formación en cooperación internacional y seguridad fronteriza. Estos dos centros de cooperación policial permiten la colaboración entre el Cuerpo Nacional de Policía y la Guardia Civil de España, y la Dirección General de Seguridad Nacional y la Gendarmería Real de Marruecos (Ferrer Martorell, 2024)².

Asimismo, su misión principal, tal como se detalla en el artículo 3 de este acuerdo, abarca la lucha contra el terrorismo, el crimen organizado, el tráfico de drogas y armas, la inmigración irregular y la trata de seres humanos (BOE, 2012)³. En 2022, se destacó la exitosa intervención del CCP de Algeciras, que logró recuperar más de 87 motos robadas, además de una importante operación antidrogas realizada en colaboración con la Policía Nacional y el Servicio de Vigilancia Aduanera de España (Diario Área, 2023)⁴. Los CCP también han desempeñado un papel clave en la cooperación internacional, como lo demuestra la incorporación de Francia y Portugal en el CCP de Algeciras, desde en 2013, para reforzar la lucha contra los delitos transfronterizos (Ministerio del Interior, 2014)⁵.

También, los oficiales de enlace juegan un papel muy importante en la cooperación policial internacional. Se concedieran como los

1 Boletín Oficial del Estado (BOE). (2012, 15 de mayo). Real Decreto-ley 9/2012, de 15 de mayo, sobre Acuerdo entre el Gobierno del Reino de España y el Gobierno del Reino de Marruecos en Materia de Cooperación Policial Transfronteriza <https://www.boe.es/boe/dias/2012/05/15/pdfs/BOE-A-2012-6365.pdf>

2 Ferrer Martorell, G. (2024). Análisis de la estrategia de seguridad y control migratorio implementados por España y Marruecos. Trabajo Fin de Grado, Facultad de Ciencias Humanas y Sociales (Comillas CIHS). Universidad Pontificia Comillas. <https://repositorio.comillas.edu/xmlui/bitstream/handle/11531/79593/TFG%20Ferrer%20Martorell%2c%20Gabriel.pdf?sequence=1&isAllowed=y>

3 (BOE, 2012).

4 Diario Área. (2023, 8 de septiembre). Localizan 87 motos robadas por toda España con destino a Marruecos, donde iban a ser vendidas. Diario Área. <https://www.diarioarea.com/2023/09/08/localizan-87-motos-robadas-por-toda-espana-con-destino-a-marruecos-donde-iban-a-ser-vendidas/>

5 Ministerio del Interior. (2014). Los ministros del Interior del G4 impulsan medidas para luchar contra el terrorismo, el narcotráfico y la inmigración irregular. Gobierno de España. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/Los-ministros-del-Interior-del-G4-impulsan-medidas-para-luchar-contr-el-terrorismo-el-narcotrafico-y-la-inmigracion-irregular/>

representantes de sus fuerzas de seguridad de sus países y actúan como intermediarios entre diferentes instituciones. En caso de Marruecos y España, estos oficiales son agentes pertenecientes a la Dirección General de Seguridad Nacional (DGSN) o la Gendarmería Real, la Policía Nacional y la Guardia Civil. Su función principal es facilitar la comunicación, coordinar actividades y promover el intercambio de información, lo que ayuda a mejorar la respuesta al crimen transnacional (Revue de la Police, junio 2019)¹.

De igual modo, estos oficiales de enlace son designados entre los mejores agentes de cada cuerpo policial, con una buena preparación académica y profesional sobre todo en cuestiones de investigaciones y la colaboración policial internacional. También dominan varios idiomas para facilitar la comunicación con otros agentes de diferentes países. Igualmente, reciben formación en temas relacionadas con los leyes internacionales y los derechos humanos. Las principales funciones de estos agentes es facilitar la colaboración entre fuerzas policiales de distintos países y actuar como intermediarios en el intercambio de información sobre actividades delictivas, ayudar en investigaciones internacionales con conocimientos locales y acceso a recursos, contribuir a la coordinación de operaciones conjuntas entre cuerpos policiales y participar en programas para mejorar las habilidades en cooperación internacional y técnicas de investigación (AMERIPOL, s.f)².

La selección de estos oficiales es bastante estricta, se revisan tanto sus habilidades profesionales como personales para asegurarse de que los candidatos estén bien calificados. Los oficiales de enlace colaboran con otras agencias de seguridad compartiendo información a través de canales seguros, participando en operaciones conjuntas, y también a través de programas de capacitación y asistencia legal y diplomática gracias a tratados

1 Revue de la Police, (JUIN 2019), « Coopération sécuritaire internationale », Direction General de la Sûreté Nationale, n° 32

2 AMERIPOL. (s.f). Oficiales de enlace y su rol en la cooperación internacional. AMERIPOL. https://www.ameripol.org/portalAmeripol/appmanager/portal/desk?__nfpb=true&__pageLabel=portals_portal_page__m2p1p2&content_id=20113&folderNode=26028

internacionales. Además, están activos en redes y foros internacionales donde se discuten estrategias para combatir el crimen transnacional.

La Confianza Mutua como Pilar de la Colaboración

La colaboración entre Marruecos y España en materia de antiterrorista ha avanzado de manera positiva y ha conseguido varios logros. Pero lo que realmente resalta es la confianza que se ha generado entre las autoridades de los dos países. Gracias a esa confianza, han podido compartir información importante de manera constante, lo que les ha permitido reaccionar más rápido y de forma coordinada ante las amenazas. Este intercambio de información sobre el terrorismo ha sido clave para la seguridad de Marruecos y España, especialmente porque están tan cerca y enfrentan problemas similares. Ambos países han trabajado juntos en la lucha contra el terrorismo, sobre todo con grupos como Al Qaeda y el Estado Islámico (ISIS), que operan en el norte de África y Europa (La Moncloa, 2024)¹.

La confianza entre Marruecos y España en la lucha contra el terrorismo se funda en la importancia del intercambio de información para prevenir a tiempo y enfrentar amenazas que pueden afectar a los dos estados. Ambos países comparten información sobre células terroristas, incluidas aquellas vinculadas con las organizaciones terroristas como Al Qaeda o ISIS, donde la información puede abarcar desde la estructura, líderes, miembros, planes de ataque, logística o su financiamiento. También intercambian información sobre individuos sospechosos, como archivos de personas extremistas o que han viajado a zonas de conflicto, además de listas de terroristas conocidos y señales de extremismo en diversas comunidades. Además, comparten perspectivas sobre las tácticas utilizadas por los terroristas, como explosivos, vehículos y ataques suicidas, así como información sobre cómo

1 Moncloa, La. (2024, 19 de enero). Marlaska: Marruecos, socio estratégico para España en la lucha contra la inmigración irregular y el terrorismo. La Moncloa
<https://www.lamoncloa.gob.es/serviciosdeprensa/notasprensa/interior/Paginas/2024/190124-marlaska-marruecos-socio.aspx>

financian sus actividades, como el tráfico de drogas o el uso de criptomonedas (Hilali, K. s.f)¹.

Asimismo, cuando se trata de herramientas de investigación, se están usando tecnologías de última generación para monitorear y vigilar, además de inteligencia forense y acceso a bases de datos internacionales, como las de Interpol y el Sistema de Información Schengen en España. También, ambos países están trabajando juntos para combatir la radicalización, compartiendo estrategias y programas para desradicalizar a joven. También, se apoyan en investigaciones judiciales intercambiando pruebas, testigos y coordinando extradiciones y juicios. En el tema de seguridad, esta colaboración ha hecho grandes avances en áreas clave como la lucha contra la radicalización y la inmigración ilegal, que son desafíos importantes en la región. Este enfoque integral, junto con la confianza entre las agencias de seguridad de ambos países, fortalece la lucha contra el terrorismo y ayuda a prevenir y dismantelar redes terroristas que operan a nivel (Barrenechea & Rogelio, 2015)².

Operaciones Conjuntas : Un Éxito Operativo

En colaboración con el Centro Nacional de Inteligencia (CNI) y las autoridades marroquíes, la Policía Nacional y la Guardia Civil han llevado a cabo operaciones antiterroristas que han resultado en la detención de varios individuos vinculados a grupos terroristas como Daesh. Estas acciones tienen como objetivo desarticular células extremistas que operan tanto en España como en Marruecos. Según informó el Ministerio del Interior tras la reunión entre Fernando Grande-Marlaska y su homólogo marroquí, Abdelouafi Laftit, durante su visita al Reino de Marruecos, las fuerzas de seguridad de ambos países realizaron un total de 14 operaciones antiterroristas en 2023, lo que resultó en la detención de más de 80 personas

1 Hilali, K. (s.f). التعاون الأمني بين المغرب والاتحاد الأوروبي. Revue Almanara. <https://revuealmanara.com/> التعاون الأمني بين المغرب-والإتحاد

2 (Barrenechea & Rogelio, 2015).

(La Moncloa, 2024)¹. A continuación, se detallan algunas de las operaciones conjuntas llevadas a cabo por las autoridades hispano-marroquíes en 2023 y 2024:

En una operación El Ejido (Almería), se detuvo a dos ciudadanos marroquíes de unos 30 años que formaban parte de una célula que había jurado lealtad a Daesh y que tenía la intención de viajar a Mali para unirse a la franquicia regional de Daesh en el Sahel. Simultáneamente, las autoridades marroquíes arrestaron a un sospechoso en el sur de Marruecos, relacionado con los detenidos en España. Los arrestados mantenían vínculos con individuos responsables de facilitar el desplazamiento de combatientes hacia el Sahel y compartían contenido extremista en redes sociales (Pérez, R. 2023)².

En otra operación, agentes de la Policía Nacional, el CNI, con la Dirección General de Vigilancia Territorial (DGST) y Europol arrestaron a un joven marroquí en Pamplona, acusado de delitos relacionados con la colaboración con organizaciones terroristas, captación y difusión de propaganda extremista. Durante el registro de su domicilio, se encontraron manuales de autocapacitación terrorista, algunos sobre la fabricación de explosivos y el manejo de armas, lo que evidencia su implicación en actividades de adoctrinamiento a través de redes sociales (Ministerio del Interior, 2023)³.

En otra operación conjunta con las autoridades marroquíes resultó en la detención de nueve personas en Melilla y una en Nador. Los arrestados en Melilla fueron acusados de adoctrinamiento terrorista, y uno de ellos ya contaba con antecedentes penales por delitos relacionados con el terrorismo,

1 La Moncloa. (2024, 19 de enero). Grande-Marlaska destaca a Marruecos como "socio estratégico clave" de España en asuntos de Interior. <https://www.lamoncloa.gob.es/serviciosdeprensa/notasprensa/interior/Paginas/2024/190124-marlaska-marruecos-socio.aspx>

2 Pérez, R. (2023, 13 de enero). Así fue la detención de dos yihadistas en El Ejido. ABC. <https://www.abc.es/espana/andalucia/almeria/detencion-yihadistas-ejido-20230113204002-nts.html>

3 Ministerio del Interior. (2023, 8 de septiembre). Operación contra el terrorismo yihadista: La Policía Nacional detiene en Pamplona a una persona que poseía cientos de manuales idóneos para la autocapacitación terrorista. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/La-Policia-Nacional-detiene-en-Pamplona-a-una-persona-que-poseia-cientos-de-manuales-idoneos-para-la-autocapacitacion-terrorista/>

además de tener vínculos verificables con grupos extremistas en la región del Sahel (Europa Press,2023)¹.

La Guardia Civil, en colaboración con la DGST, llevó a cabo una macrooperación antiterrorista que resultó en la detención de ocho individuos en diversas localidades de España, entre ellas Melilla, Alcobendas (Madrid), San Sebastián de los Reyes (Madrid) y Málaga. De los detenidos, cinco se encuentran actualmente en prisión. Cinco de los arrestados en Melilla fueron identificados como responsables de difundir contenido propagandístico del grupo terrorista Daesh a través de diversas plataformas de mensajería, llevando a cabo actividades de adoctrinamiento y reclutamiento de nuevos miembros. A medida que el grupo incrementaba su actividad, se sumaron nuevos integrantes, entre ellos dos detenidos en Madrid y uno en Málaga. Todos ellos eran jóvenes fuertemente influenciados por ideologías extremistas y manifestaron interés en fabricar explosivos y realizar ataques violentos en territorio español (Igalada, C. 2023)².

Finalmente, el 22 de noviembre de 2024, se llevó a cabo una operación internacional de gran escala en colaboración con la DGST, que resultó en la detención de nueve personas (seis en España y tres en Marruecos). Los arrestos en España se produjeron en Ceuta, Ibiza y Madrid, y los detenidos están acusados de planificar atentados en ambos países. La célula terrorista, que operaba principalmente en Ceuta y Tetuán, había diseñado un plan para huir hacia zonas controladas por el Estado Islámico en el Sahel después de ejecutar los ataques (Bañuelos, J. 2024)³.

Estos ejemplos ilustran cómo la cooperación antiterrorista y las operaciones conjuntas entre España y Marruecos han sido fundamentales

1 Europa Press. (2023, 19 de diciembre). Una operación conjunta España-Marruecos contra el terrorismo yihadista se salda con diez detenidos. <https://www.europapress.es/ceuta-y-melilla/noticia-operacion-conjunta-espana-marruecos-contra-terrorismo-yihadista-salda-diez-detenidos-20231219120909.html>

2 Igalada, C. (2023). Operaciones contra el yihadismo en España en 2023. Observatorio de Terrorismo. <https://observatorioterrorismo.com/operaciones-policiales-antiyihadistas-en-espana-2023/operaciones-contra-el-yihadismo-en-espana-en-2023/>

3 Bañuelos, J. (2024, 22 de noviembre). La Policía ejecuta una macrooperación antiterrorista contra el yihadismo en varias provincias con epicentro en Ceuta. Cadena SER. <https://cadenaser.com/nacional/2024/11/22/la-policia-ejecuta-una-macrooperacion-antiterrorista-contra-el-yihadismo-en-varias-provincias-con-epicentro-en-ceuta-cadena-ser>

para frustrar ataques terroristas antes de que pudieran llevarse a cabo. El intercambio de información, las operaciones de vigilancia conjuntas y la coordinación en tiempo real han permitido a ambos países dismantlar redes terroristas y prevenir ataques, protegiendo no solo la seguridad interna de cada país, sino también la estabilidad de la región del Mediterráneo y del norte de África. La colaboración continua y el fortalecimiento de las capacidades de inteligencia serán fundamentales para anticiparse a las amenazas terroristas en el futuro.

Nuevas Amenazas : Terrorismo Cibernético y Radicalización en Línea

El terrorismo ha evolucionado, y con él, las tácticas utilizadas por los grupos extremistas. El auge de Internet y las nuevas tecnologías ha generado un desafío adicional para las autoridades, lo que ha impulsado a España y Marruecos a fortalecer su cooperación en el ámbito de la ciberseguridad. Ambos países están comprometidos en combatir la radicalización en línea y el terrorismo cibernético, con el objetivo de prevenir o mitigar el impacto de los ciberataques (Ministerio del Interior, 2024)¹. En este sentido, ambos países están comprometidos en combatir la radicalización en línea y el terrorismo cibernético, con el objetivo de prevenir o mitigar el impacto de los ciberataques. En este sentido, el desarrollo de estrategias conjuntas en ciberseguridad se ha convertido en una de las áreas fundamentales de esta colaboración. España y Marruecos se están preparando para hacer frente a la creciente amenaza de los ciberataques, a la par que implementan medidas para frenar el reclutamiento y la propaganda terrorista en redes sociales y la web oscura (**The Dark Web**).

Internet, en su faceta más positiva, ha facilitado el acceso a la información, pero también ha dado lugar a nuevas amenazas, como la proliferación de propaganda terrorista. Los grupos extremistas, en este sentido, han aprovechado las nuevas tecnologías para radicalizar mensajes, reclutar seguidores y difundir sus ideologías. La organización terrorista

1 Ministerio del Interior. (2024). La Guardia Civil y la DGST de Marruecos desarticulan una estructura terrorista en varias localidades en España. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/La-Guardia-Civil-y-la-DGST-de-Marruecos-desarticulan-una-estructura-terrorista-en-varias-localidades-en-Espana/>

Daesh, en particular, ha demostrado una notable capacidad para influir en las generaciones más jóvenes a través de las redes sociales¹.

Los reclutadores de diversas organizaciones extremistas utilizan plataformas digitales como sitios web populares, foros, salas virtuales, YouTube, Facebook, Instagram, WhatsApp, Telegram y la plataforma X para alcanzar a un público más amplio. A través de estas plataformas, difunden interpretaciones radicales y distorsionadas del islam, así como ideologías extremistas de carácter político o racial, que justifican el uso de la violencia con fines religiosos o políticos, con el objetivo de reclutar nuevos simpatizantes.

Además, Daesh ha creado lo que se conoce como el "cibercalifato", una red profesional encargada de producir contenido multilingüe y revistas digitales para ampliar su alcance. Este contenido es difundido principalmente a través de cuentas en plataformas como X y Telegram, donde se propagan estos mensajes radicales (Muñoz, 2020)².

En la plataforma de mensajería instantánea Telegram, se han identificado grupos especializados en promover la violencia, justificándola desde una perspectiva teológica. Estos grupos no solo glorifican injusticias cometidas contra la comunidad musulmana, sino que también se han involucrado en la provisión de formación militar para sus miembros. El acceso a estos grupos en aplicaciones como WhatsApp y Telegram es más complejo, ya que requieren contraseñas que solo son conocidas por los miembros de la organización terrorista, lo que dificulta la detección y el seguimiento por parte de las autoridades (Eichner, I. 2023)³.

1 Naciones Unidas. (2024, 24 de diciembre). Convención de las Naciones Unidas contra la Delincuencia Cibernética. Oficina de las Naciones Unidas contra la Droga y el Delito (UNODC). <https://www.unodc.org/unodc/es/cybercrime/convention/home.html>

2 Muñoz, M. (2020, 11 de diciembre). Contrainteligencia sobre la propaganda yihadista en Internet. Observatorio Internacional de Estudios sobre Terrorismo. <https://observatorioterrorismo.com/actividades/contrainteligencia-sobre-la-propaganda-yihadista-en-internet/>

3 Eichner, I. (2023, 11 de abril). Un grupo terrorista en Telegram enseña a "apuñalar a soldados de las FDI y fabricar explosivos". Ynet Español. <https://www.ynetspanol.com/global/israel/article/hkqjrrff2>

La propaganda terrorista generada por estos grupos está dirigida tanto a la población local en Oriente Medio como a audiencias internacionales, especialmente en países como Estados Unidos, España, Francia, el Reino Unido y Alemania. Una de las principales reivindicaciones de diversas organizaciones islamistas radicales es la recuperación de Al-Ándalus y la instauración de un nuevo califato en España (Torres, P. 2023)¹. Sin embargo, al abordar el fenómeno del radicalismo, es crucial no limitarse exclusivamente al extremismo religioso. Es necesario considerar también otros tipos de radicalismo que, aunque no estén vinculados al ámbito religioso, promueven ideologías violentas y excluyentes.

En este contexto, destaca la importancia de la operación conjunta realizada por la Guardia Civil y la DGST, según se anunció en un comunicado oficial emitido por el Ministerio del Interior español el 3 de febrero de 2025. Esta operación, que comenzó a finales de 2023 en Toledo, ha sido el resultado de una colaboración clave entre España y Marruecos. A través de dos operaciones adicionales en Madrid y Pontevedra, la Guardia Civil logró dismantlar la actividad de varios «influencers yihadistas», individuos involucrados en la estrategia de reclutamiento y en la difusión de la ideología de organizaciones terroristas yihadistas.

Bajo la dirección del Juzgado Central de Instrucción nº 2 y la Fiscalía de la Audiencia Nacional, la Guardia Civil detuvo a tres personas en Toledo por presuntos delitos relacionados con el terrorismo, en colaboración con la DGST. Estos individuos se encontraban en una fase avanzada de radicalización. Uno de los detenidos ejercía una influencia considerable sobre su entorno, propagando ideología yihadista, una práctica que también se replicaba en línea a través de sus seguidores, entre los que se encontraba un menor de edad. Además de administrar múltiples perfiles en diversas redes sociales, los detenidos poseían material relacionado con organizaciones terroristas, especialmente con el grupo autodenominado

1 Torres, P. (2023, 11 de abril). Al-Andalus e ISIS: así es la propaganda de la yihad contra España. Xataka. <https://www.xataka.com/magnet/en-el-punto-de-mira-de-la-yihad-asi-es-el-discurso-integrista-contra-espana>

DAESH, y mostraban un claro interés en ataques suicidas (Ministerio del Interior, 2025)¹.

De manera simultánea, la Guardia Civil llevó a cabo la detención de varios individuos en las provincias de Pontevedra y Madrid, quienes se dedicaban a la propagación de contenido terrorista a través de plataformas digitales. Se destaca que algunos de estos individuos poseían una amplia base de seguidores y que su propaganda terrorista era hábilmente camuflada en publicaciones relacionadas con el entrenamiento físico. Estas operaciones contaron con el respaldo de EUROPOL. En suma, siete individuos fueron detenidos con el objetivo de frenar la radicalización en línea y evitar potenciales víctimas. Dos de los arrestados fueron enviados a prisión provisional (ABC. 2025)².

Efecto de esta colaboración en las relaciones diplomáticas y económicas

La coalición que se ha formado ha ayudado a dismantelar redes terroristas y a fortalecer la relación entre España y Marruecos en varias áreas, como la diplomacia y el comercio. De hecho, ambos países han logrado entenderse y trabajar juntos, creando un ambiente de confianza.

La colaboración contra el terrorismo ha sido un buen impulso para el comercio entre los dos países. Con más seguridad y estabilidad, es más fácil hacer negocios e invertir. Marruecos se está convirtiendo en un socio comercial importante para España, y trabajar juntos en la lucha contra el terrorismo crea un ambiente mejor para las empresas. También hemos visto que están uniendo fuerzas en proyectos de infraestructura y en áreas como energía, agricultura y transporte. Todo esto ha beneficiado al turismo, ya que la cooperación en temas de seguridad hace que viajar sea más seguro y

1 Ministerio del Interior. (2025, 3 de febrero). La Guardia Civil y la DGST marroquí neutralizan una célula de adoctrinamiento yihadista en el marco de una operación conjunta. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/La-Guardia-Civil-y-la-DGST-marroqui-neutralizan-una-celula-de-adoctrinamiento-yihadista-en-el-marco-de-una-operacion-conjunta>

2 ABC. (2025, 3 de febrero). Detenidos siete influencers yihadistas que camuflaban propaganda de Daesh. ABC. <https://www.abc.es/espana/detenidos-siete-influencers-yihadistas-camuflaban-propaganda-daesh-20250203150542-nt.html>

anima a más turistas a moverse entre los dos países (Ministerio de Industria, Comercio y Turismo, 2025)¹.

Todo esto ha beneficiado al turismo, ya que la cooperación en temas de seguridad hace que viajar sea más seguro y anima a más turistas a moverse entre los dos países. La verdad es que esta colaboración ha hecho una gran diferencia en la seguridad de España y Marruecos, y también ha mejorado sus lazos diplomáticos y económicos. Con un ambiente más estable, ambos países han podido aumentar su comercio y las inversiones que se hacen entre ellos, sobre todo en áreas clave como infraestructura, energía renovable y tecnología. Gracias a este trabajo en conjunto, España y Marruecos han podido destacar en organizaciones internacionales como la ONU, Europol e Interpol.

En el mundo de las relaciones internacionales, se nota que hay un gran interés económico compartido entre los dos, especialmente desde la perspectiva española.

Esta situación explica la defensa de Madrid de los acuerdos comerciales entre Marruecos y la Unión Europea (Infobae, 2024)². Asimismo, se hace indispensable una cooperación bilateral constante en cuestiones de seguridad y gestión de fronteras, cooperación que se tornará aún más imperativa en el futuro, particularmente en lo que respecta a la seguridad energética y alimentaria.

Áreas de mejora y desafíos futuros

A pesar de la buena cooperación entre España y Marruecos, existen desafíos innegables que dificultan una colaboración más fluida. Las discrepancias en los marcos legales y judiciales de ambos países, así como las cuestiones de soberanía en áreas como la delimitación de la frontera

1 Ministerio de Industria, Comercio y Turismo. (2025). Cooperación entre España y Marruecos en comercio y seguridad. <https://comercio.gob.es/es-es/NotasPrensa/2025/Paginas/cooperacion-espana-marruecos.aspx>

2 Infobae. (2024, 3 de octubre). España defiende la relación estable con Marruecos, más allá de lo que dicte el TJUE. Infobae. <https://www.infobae.com/espana/agencias/2024/10/03/espana-defiende-la-relacion-estable-con-marruecos-mas-alla-de-lo-que-dicte-el-tjue/>

marítima, son problemas complejos que abarcan aspectos geopolíticos, históricos, económicos y ambientales (Del Amo, P,2021)¹.

Además, tratar de mantener la seguridad de las fronteras, sobre todo con la cuestión de la migración irregular, contrabando y el narcotráfico. Pero, por otro lado, se ha priorizado la lucha contra el terrorismo como un objetivo común, lo que ha ayudado a que los países colaboren más en este tema, a pesar de los desafíos persistentes en otros sectores.

Aunque la postura reciente del gobierno español en favor de la "marroquinidad" del Sáhara marroquí ha sido respaldada por el presidente español Pedro SANCHEZ, esta postura se ha adoptado como la posición oficial del Estado, parece poco probable que futuros gobiernos, incluso si tienen visiones distintas sobre el conflicto del Sáhara, decidan cambiarla (La Moncloa, 2022)².

Es de suma importancia que se intensifiquen los esfuerzos en la lucha contra el ciberterrorismo. Ambos países deberían colaborar en la formación de equipos especializados encargados de abordar los ciberataques, empleando tecnología avanzada para prevenir ataques a infraestructuras críticas y detectar actividades inusuales en el ciberespacio. La cooperación en este ámbito sería fundamental para fortalecer la seguridad en un entorno digital que es cada vez más utilizado por grupos extremistas (Boletín Oficial del Estado,2022)³.

Conclusión: Un modelo de cooperación exitoso

España y Marruecos han formado una coalición en la lucha contra el terrorismo, lo que ha culminado en un éxito significativo. Esta colaboración

1 Del Amo, P. (2021, 18 de junio). Las disputas que mantiene España con Marruecos en la costa norteafricana. Descifrando la Guerra. <https://www.descifrandolaguerra.es/las-disputas-que-mantiene-espana-con-marruecos-en-la-costa-norteafricana/>

2 La Moncloa (2022, April 7). Declaración conjunta España-Marruecos. <https://www.lamoncloa.gob.es/presidente/actividades/documents/2022/070422-declaracion-conjunta-espana-marruecos.pdf>

3 Boletín Oficial del Estado. (2022, April 7). Convenio entre el Reino de España y el Reino de Marruecos sobre cooperación en materia de seguridad y de lucha contra la delincuencia, hecho en Rabat el 13 de febrero de 2019. Boletín Oficial del Estado, 83, 46756-46760. https://www.boe.es/diario_boe/txt.php?id=BOE-A-2022-5595

ha facilitado el enfrentamiento de múltiples amenazas terroristas, aportando a la seguridad y estabilidad de la región. De hecho, España y Marruecos están liderando la batalla contra el terrorismo en la zona y están renovando y ajustando sus tácticas y reforzando su colaboración contra un terrorismo que cada vez si transforma y cambia sus estrategias y sus métodos. Esta alianza no solo beneficia a ambos países, sino que también ayuda a mejorar la seguridad mundial. Además, esta colaboración es una parte importante del fortalecimiento de su relación, demostrando que trabajar juntos en el ámbito de la seguridad puede beneficiar a ambas partes La cooperación estrecha entre ambos países ha resultado en una notable mejora de la seguridad interna, lo que ha permitido frustrar varios ataques terroristas y desmantelar redes extremistas antes de que pudieran causar daño (Rodríguez Ajenjo, D. J, 2021) ¹.

Este esfuerzo conjunto ha fomentado la confianza mutua, facilitando una mayor coordinación en áreas fundamentales como la prevención de la radicalización, el control de flujos migratorios y la lucha contra el crimen organizado. En este sentido, la cooperación en materia de seguridad, particularmente en la lucha contra el terrorismo, ha tenido un impacto directo y positivo en las relaciones bilaterales entre España y Marruecos. En este sentido, la colaboración en la lucha contra el terrorismo ha fomentado un entorno de confianza entre las dos naciones, cimentado en el intercambio de información y la realización de operaciones conjuntas.

El cambio de información de inteligencia y llevar a cabo operaciones conjuntas han sido uno de los factores primordiales en el desmantelamiento de redes terroristas a tiempo antes de que pudieran materializar sus ataques. La cooperación estrecha entre los servicios de inteligencia de los dos países ha permitido la identificación y neutralización de células terroristas que operaban en zonas estratégicas como Sebta y Melilia, que se consideran el foco de la radicalización y uno de los puntos vulnerables de la frontera hispano-marroquí. En realidad, la implementación de medidas de vigilancia

1 Rodríguez Ajenjo, D. J. (2021). Relaciones entre España y Marruecos en materia de seguridad. Análisis de la cooperación en la lucha antiterrorista, el control migratorio y el combate al narcotráfico.

en el Estrecho de Gibraltar ha hecho que los movimientos transfronterizos de los combatientes que han regresado de las zonas de conflicto. También, el negocio de venta de armas y explosivos de forma ilegal que son clave para llevar a cabo ataques terroristas, se ha visto reducido gracias a esta colaboración. En consecuencia, la cooperación entre ambos países se perfila como un componente indispensable para afrontar los desafíos futuros y garantizar un entorno más seguro para las generaciones venideras (Del Valle-Gálvez, A, 2019)¹.

En conclusión, este pacto entre las dos naciones no solo ha potenciado la seguridad, sino que también ha contribuido a la estabilidad de la región. Están colaborando para luchar contra el terrorismo tanto en el Mediterráneo como en África subsahariana. En el transcurso de esta cooperación, se han logrado un progreso significativo en varios aspectos como el intercambio de datos sobre todo de organizaciones terroristas, la lucha contra el ciberterrorismo, la mejora de la seguridad fronteriza y la implementación de programas para desradicalizar a las personas. Además, este vínculo ha robustecido los vínculos entre Marruecos y España, generando un clima de confianza que facilita el trabajo conjunto en cuestiones de seguridad y otros temas relevantes como la inmigración, el comercio y el crecimiento económico.

1 Del Valle-Gálvez, A. (2019). Política exterior española en el área del Estrecho: Gibraltar, Ceuta y Melilla, Marruecos. En *Cursos de Derecho Internacional y Relaciones Internacionales de Vitoria-Gasteiz 2018* (pp. 389-460). Thomson-Reuters-Aranzadi.

Références

- Novillo Daza, C. (2024). Daesh y su incidencia en el perfil del terrorista yihadista en España. GEOCONFLICTS & INTELLIGENCE: Revista sobre Seguridad Global y Terrorismo, 2(2), 70-97.
- Llorente, R. (2020). El terrorismo yihadista en el Sahel: Desafíos para la seguridad de España. Fundación Alternativas. Cadenas, C., & García, M. (2019). La cooperación antiterrorista en la cuenca del Mediterráneo: La colaboración entre Marruecos y España. Editorial Seguridad y Defensa.
- Cadenas, C., & García, M. (2019). La cooperación antiterrorista en la cuenca del Mediterráneo: La colaboración entre Marruecos y España. Editorial Seguridad y Defensa.
- Reinales, F., & García-Calvo, C. (2018). Un análisis de los atentados terroristas en Barcelona y Cambrils. Análisis del Real Instituto Elcano.
- Hespress. (2023, 16 de mayo). ذكرى أحداث 16 ماي الأليمة: المغرب يواصل مكافحة الإرهاب. Hespress. <https://www.hespress.com/-ذكرى-أحداث-16-ماي-الأليمة-المغرب-يواصل-1362987/.html>
- Barrenechea, L., & Pascual, R. A. (2015). La cooperación antiterrorista entre España y Marruecos: ¿un modelo para la estrategia contra el yihadismo? Cuadernos de estrategia, (173), 6.
- Boletín Oficial del Estado (BOE). (2012, 15 de mayo). Real Decreto-ley 9/2012, de 15 de mayo, sobre Acuerdo entre el Gobierno del Reino de España y el Gobierno del Reino de Marruecos en Materia de Cooperación Policial Transfronteriza <https://www.boe.es/boe/dias/2012/05/15/pdfs/BOE-A-2012-6365.pdf>

- Ferrer Martorell, G. (2024). Análisis de la estrategia de seguridad y control migratorio implementados por España y Marruecos
- Diario Área. (2023, 8 de septiembre). Localizan 87 motos robadas por toda España con destino a Marruecos, donde iban a ser vendidas. Diario Área. <https://www.diarioarea.com/2023/09/08/localizan-87-motos-robadas-por-toda-espana-con-destino-a-marruecos-donde-iban-a-ser-vendidas/>
- <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/Los-ministros-del-Interior-del-G4-impulsan-medidas-para-luchar-contr-el-terrorismo-el-narcotrafico-y-la-inmigracion-irregular/>
- Direction Générale de la Sûreté Nationale. (2019, Junio). Coopération sécuritaire internationale. Revue de la Police, 32, 1-16.
- Ministerio del Interior. (2022, 25 de noviembre). Los ministros del Interior del G4 impulsan medidas para luchar contra el terrorismo, el narcotráfico y la inmigración irregular. Ministerio del Interior. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/Los-ministros-del-Interior-del-G4-impulsan-medidas-para-luchar-contr-el-terrorismo-el-narcotrafico-y-la-inmigracion-irregular/>
- Hilali, K. (s.f). التعاون الأمني بين المغرب والاتحاد الأوروبي. Revue Almanara. <https://revuealmanara.com/التعاون-الأمني-بين-المغرب-والاتحاد-الأوروبي/>
- Igualada, C. (2023). Operaciones contra el yihadismo en España en 2023. Observatorio de Terrorismo. <https://observatorioterrorismo.com/operaciones-policiales-antiyihadistas-en-espana-2023/operaciones-contr-el-yihadismo-en-espana-en-2023/>
- Muñoz, M. (2020, 11 de diciembre). Contrainteligencia sobre la propaganda yihadista en Internet. Observatorio de Terrorismo.

<https://observatorioterrorismo.com/actividades/contrainteligencia-sobre-la-propaganda-yihadista-en-internet/>

- Ministerio del Interior. (2024, 27 de enero). La Guardia Civil y la DGST marroquí neutralizan una célula de adoctrinamiento yihadista en el marco de una operación conjunta. Ministerio del Interior. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/La-Guardia-Civil-y-la-DGST-marroqui-neutralizan-una-celula-de-adoctrinamiento-yihadista-en-el-marco-de-una-operacion-conjunta/>
- ABC. (2025, 3 de febrero). Detenidos siete influencers yihadistas que camuflaban propaganda de Daesh. ABC. <https://www.abc.es/espana/detenidos-siete-influencers-yihadistas-camuflaban-propaganda-daesh-20250203150542-nt.html>
- Infobae. (2024, 3 de octubre). España defiende la relación estable con Marruecos, más allá de lo que dicte el TJUE. Infobae. <https://www.infobae.com/espana/agencias/2024/10/03/espana-defiende-la-relacion-estable-con-marruecos-mas-alla-de-lo-que-dicte-el-tjue/>
- Boletín Oficial del Estado. (2022, April 7). Convenio entre el Reino de España y el Reino de Marruecos sobre cooperación en materia de seguridad y de lucha contra la delincuencia, hecho en Rabat el 13 de febrero de 2019. Boletín Oficial del Estado, 83, 46756-46760. https://www.boe.es/diario_boe/txt.php?id=BOE-A-2022-5595
- Alberola, L., Picallo, J., Cristiano, D., Peralvo, C., Gil, I., Gómez, E., de Blas, N., & Sempere, C. (2024, marzo). ELFOCO N°33 [PDF]. Fundación Española para la Innovación. https://www.fei.org.es/wp-content/uploads/2024/03/ELFOCO-N33-1_compressed.pdf

- La Moncloa (2022, April 7). Declaración conjunta España-Marruecos. <https://www.lamoncloa.gob.es/presidente/actividades/documents/2022/070422-declaracion-conjunta-espana-marruecos.pdf>
- La Moncloa. (2024, 19 de enero). Grande-Marlaska destaca a Marruecos como "socio estratégico clave" de España en asuntos de Interior. <https://www.lamoncloa.gob.es/serviciosdeprensa/notasprensa/interior/Paginas/2024/190124-marlaska-marruecos-socio.aspx>
- Europa Press. (2023, 19 de diciembre). Una operación conjunta España-Marruecos contra el terrorismo yihadista se salda con diez detenidos. <https://www.europapress.es/ceuta-y-melilla/noticia-operacion-conjunta-espana-marruecos-contra-terrorismo-yihadista-salda-diez-detenidos-20231219120909.html>
- Pérez, R. (2023, 13 de enero). Así fue la detención de dos yihadistas en El Ejido. ABC. <https://www.abc.es/espana/andalucia/almeria/detencion-yihadistas-ejido-20230113204002-nts.html>
- Ministerio del Interior. (2023, 8 de septiembre). Operación contra el terrorismo yihadista: La Policía Nacional detiene en Pamplona a una persona que poseía cientos de manuales idóneos para la autocapacitación terrorista. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/La-Policia-Nacional-detiene-en-Pamplona-a-una-persona-que-poseia-cientos-de-manuales-idoneos-para-la-autocapacitacion-terrorista/>
- Bañuelos, J. (2024, 22 de noviembre). La Policía ejecuta una macrooperación antiterrorista contra el yihadismo en varias provincias con epicentro en Ceuta. Cadena SER. <https://cadenaser.com/nacional/2024/11/22/la-policia-ejecuta-una-macrooperacion-antiterrorista-contra-el-yihadismo-en-varias-provincias->

con-epicentro-en-ceuta-cadena-ser

- Ministerio del Interior. (2024). La Guardia Civil y la DGST de Marruecos desarticulan una estructura terrorista en varias localidades en España. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/La-Guardia-Civil-y-la-DGST-de-Marruecos-desarticulan-una-estructura-terrorista-en-varias-localidades-en-Espana/>
- Eichner, I. (2023, 11 de abril). Un grupo terrorista en Telegram enseña a "apuñalar a soldados de las FDI y fabricar explosivos". Ynet Español. <https://www.ynetespanol.com/global/israel/article/hkqjrrff2>
- Torres, P. (2023, 11 de abril). Al-Andalus e ISIS: así es la propaganda de la yihad contra España. Xataka. <https://www.xataka.com/magnet/en-el-punto-de-mira-de-la-yihad-asi-es-el-discurso-integrista-contra-espana>
- Ministerio del Interior. (2025, 3 de febrero). La Guardia Civil y la DGST marroquí neutralizan una célula de adoctrinamiento yihadista en el marco de una operación conjunta. <https://www.interior.gob.es/opencms/es/detalle/articulo/La-Guardia-Civil-y-la-DGST-marroqui-neutralizan-una-celula-de-adoctrinamiento-yihadista-en-el-marco-de-una-operacion-conjunta>
- Ministerio de Industria, Comercio y Turismo. (2025). Cooperación entre España y Marruecos en comercio y seguridad. <https://comercio.gob.es/es-es/NotasPrensa/2025/Paginas/cooperacion-espana-marruecos.aspx>
- Del Amo, P. (2021, 18 de junio). Las disputas que mantiene España con Marruecos en la costa norteafricana. Descifrando la Guerra. <https://www.descifrandolaguerra.es/las-disputas-que-mantiene-espana-con-marruecos-en-la-costa-norteafricana/>

- Rodríguez Ajenjo, D. J. (2021). Relaciones entre España y Marruecos en materia de seguridad. Análisis de la cooperación en la lucha antiterrorista, el control migratorio y el combate al narcotráfico.
- Red Acoge. (2023, febrero 14). España y Marruecos renuevan su cooperación en materia de seguridad, vinculando delincuencia organizada e inmigración irregular. Red Acoge. <https://redacoge.org/espana-y-marruecos-renuevan-su-cooperacion-en-materia-de-seguridad-vinculando-delincuencia-organizada-e-inmigracion-irregular/>
- Boletín Oficial del Estado. (2022, octubre 28). Acuerdo entre el Reino de España y el Reino de Marruecos sobre cooperación en materia de seguridad, firmado en Rabat el 5 de abril de 2022. Boletín Oficial del Estado. https://www.boe.es/diario_boe/txt.php?id=BOE-A-2022-5595
- AMERIPOL. (s.f). Oficiales de enlace y su rol en la cooperación internacional. AMERIPOL. https://www.ameripol.org/portalAmeripol/appmanager/portal/desk?_nfpb=true&_pageLabel=portals_portal_page_m2p1p2&content_id=20113&folderNode=26028
- Del Valle-Gálvez, A. (2019). Política exterior española en el área del Estrecho: Gibraltar, Ceuta y Melilla, Marruecos. En Cursos de Derecho Internacional y Relaciones Internacionales de Vitoria-Gasteiz 2018 (pp. 389-460). Thomson-Reuters-Aranzadi
- Reino de España & Reino de Marruecos. (1991). Tratado de amistad, buena vecindad y cooperación entre el Reino de España y el Reino de Marruecos, hecho en Rabat el 4 de julio de 1991. Boletín Oficial del Estado. [https://www.boe.es/eli/es/ai/1991/07/04/\(1\)](https://www.boe.es/eli/es/ai/1991/07/04/(1))

- Naciones Unidas. (2024, 24 de diciembre). Convención de las Naciones Unidas contra la Delincuencia Cibernética. Oficina de las Naciones Unidas contra la Droga y el Delito (UNODC).
<https://www.unodc.org/unodc/es/cybercrime/convention/home.html>
- Muñoz, M. (2020, 11 de diciembre). Contrainteligencia sobre la propaganda yihadista en Internet. Observatorio Internacional de Estudios sobre Terrorismo.
<https://observatorioterrorismo.com/actividades/contrainteligencia-sobre-la-propaganda-yihadista-en-internet/>

المعتكف العلمي الأول في موضوع:

"الجماعة العلمية وتكامل المعارف"

تنظيم مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة

"منتدى الباحثين الشباب"

متابعة: هاجر بوحشيشة وكوثر الرحماني

مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة
Centre d'Etudes et de Recherche Humaines et Sociales

مركز الدراسات
والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة
CERHSO
مؤتمر الباحثين الشباب

ينظم مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة - منتدى الباحثين الشباب -

المعسكر العلمي الأول

خلال الفترة الممتدة من يوم الاثنين 14 إلى يوم الجمعة 18 يوليوز 2025
بمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

بمشاركة

الدكتورة سميرة بوجدة
استاذة التعليم العالي

الأستاذ ادريس بوكعاص
أستاذ التعليم العالي

الأستاذ عبد العزيز مزورقي
عضو اللجنة العلمية للمركز

الأستاذ الحسن بن هبابة
عضو اللجنة العلمية للمركز

الأستاذ عبد الحليم بوجدة
مدير المركز

الأستاذ سمير بوجدة
رئيس المركز

د. عمر عيسوي
عضو منتدى الباحثين الشباب

د. كريم البوحادي
عضو منتدى الباحثين الشباب

د. رافيق بوعشي
عضو منتدى الباحثين الشباب

د. حمزة الشريفي
عضو منتدى الباحثين الشباب

د. سميرة بوجدة
مديرة المركز

الأستاذ عبد الحليم بوجدة
مدير المركز

الأستاذ سمير بوجدة
رئيس المركز

الأستاذ محمد بوعمر
أستاذ التعليم العالي

د. محمد بوعمر
عضو منتدى الباحثين الشباب

د. شيماء براج
باحثة في الآداب الفرنسية

د. حمزة الشريفي
عضو منتدى الباحثين الشباب

د. حمزة الشريفي
عضو منتدى الباحثين الشباب

مدير المعسكر العلمي

د. يوسف بوجدة
مفتي منتدى الباحثين الشباب

د. سميرة بوجدة
عضو منتدى الباحثين الشباب

د. حمزة الشريفي
عضو منتدى الباحثين الشباب

د. حمزة الشريفي
عضو منتدى الباحثين الشباب

مفتي شارع يعقوب المنصور وشارع العراق وجدة 60000 المملكة المغربية

الهاتف 0021253668194 الفاكس 0021266125116 المحمول 00212536683392

البريد الإلكتروني cerhso@gmail.com/contact الموقع الإلكتروني www.cerhso.com

تتويجا لبرنامج علمي حافل بالأنشطة والتكوينات، نظم منتدى الباحثين الشباب بمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة، معتكفا علميا لفائدة الباحثين الشباب، بشعار: "الجماعة العلمية وتكامل المعارف"، خلال الفترة الممتدة من يوم الاثنين 14 يوليو إلى يوم الجمعة 18 يوليو 2025، بمقر المركز (منار المعرفة). وقد أطر هذا المعتكف ثلة من الأساتذة والباحثين، وتميزت أنشطته بالتنوع والغنى، قصد تحقيق أهداف متعددة، لعل أبرزها: تأكيد قواعد البحث في إطار مشروع بحثي محدد وضمن جاعة علمية مخصصة، وتنزيل مخرجات الدورات التكوينية الخاصة بتصنيف العلوم وتكامل المعارف، إضافة إلى سعيه الحثيث إلى تعزيز الروابط البحثية والعلمية بين الباحثين، ودفعهم إلى الإسهام في إعداد البرنامج السنوي المقبل لمنتدى الباحثين الشباب، إلى جانب المساهمة الجماعية في الاستكتاب الخاص بتصنيف العلوم وتكامل المعارف.

اليوم الأول: الإثنين 14 يوليو 2025

الجلسة العلمية الأولى

استهل الأستاذ يونس بلمحجوب (مدير المعتكف العلمي) الجلسة العلمية الأولى بشكر مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية عما بذله لإنجاح أشغال المعتكف العلمي الأول، ثم رحب بالأساتذة والباحثين الشباب، مبينا في خضم كلمته أهمية هذا المعتكف العلمي الذي يسعى إلى تأييد البحث وفق جاعة علمية. أخذ الكلمة من بعده الأستاذ عبد الرحيم بودلال (مدير مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية) الذي رحب بدوره بكل الحاضرين في المعتكف، شاكرًا الأستاذ سمير بودينار (رئيس مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية) الذي لم يتوان لحظة في تقديم الدعم للباحثين، كما شكر اللجنة المنظمة لهذا المعتكف، مؤكدا في ختام كلمته أن أبواب المركز مفتوحة أمام كل الباحثين، داعيا الباحثين إلى الانخراط العلمي والتغلب على الخجل في مثل هذه الأمور، لأن العلم يجب أن يؤخذ بالقوة.

تناول الكلمة الأستاذ سمير بودينار مستكملاً ما طرح في الدورات التكوينية السابقة حول تصنيف العلوم وتكامل المعارف. واستهل مداخلته بالتذكير بمكانة علم الفهرسة في الحضارة العربية الإسلامية، مبرزاً دوره في ضبط معايير تصنيف العلوم وفهم العلاقات بينها، مما ساعد على بناء نظرة شمولية للمعرفة. ثم انتقل إلى إبراز إسهام ابن خلدون في هذا المجال، مشيراً إلى تمييزه بين التوسع الكمي للعلوم والتأيز المعرفي بينها، وهو ما أسهم، حسب، في ازدهار الفكر العلمي والمعرفي في الحضارة الإسلامية.

وتوقف الأستاذ بودينار عند عدد من أعلام الفكر الإسلامي الذين أسهموا في مسألة تصنيف العلوم، من جابر بن حيان إلى طاش كبرى زاده، الذي قدّم في كتابه "مفتاح السعادة ومصباح السيادة" تصوراً فلسفياً متكاملًا لتصنيف المعارف. كما فصل في قضايا مصادر المعرفة وبيّن أهمية التكامل بين الأدوات والمنهج والوقائع، وكذا بين القيم الحاكمة والمبادئ المؤطرة لكل تخصص. وفي هذا السياق، استعرض نماذج من مشاريع

فكرية تجلّى فيها هذا التكامل المعرفي، مثل ما طرحه مالك بن نبي، وطه عبد الرحمن، وعبد الوهاب المسيري، متسائلاً عن الكيفية التي يمكن بها تسخير الأدوات المعرفية لاستكشاف تكامل العلوم في مختلف القضايا المعاصرة.

وفي ختام مداخلته، دعا الأستاذ سمير بودينار الباحثين إلى إعطاء الأولوية لعدة محاور بحثية من بينها:

- العلاقة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الشرعية،
- العلاقة بين العلوم الموروثة والعلوم الوافدة،
- ارتباط هذه العلاقات بمختلف التخصصات،
- وأثر الذكاء الاصطناعي على اللغة.

بعد ذلك، فتح رئيس الجلسة باب النقاش، مُفسحاً المجال للمشاركين لطرح مداخلاتهم واستفساراتهم، ليعود مجدداً بالكلمة إلى الأستاذ بودينار، الذي تفاعل بإجابات وافية مع معظم التعقيبات.

الجلسة العلمية الثانية من اليوم الأول

قُظمت مائدة مستديرة مساء يوم الإثنين 14 يوليو 2025، بقاعة الندوات التابعة لمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة، وذلك في إطار المعتكف العلمي نظمه منتدى الباحثين الشباب. وقد جمعت هذه الندوة نخبة من المتدخلين من تخصصات متنوعة، حول موضوع: "التكامل المعرفي والذكاء الاصطناعي: استراتيجيات التكيف والمواكبة في ظل التحولات المعاصرة". وقد أتاح اللقاء فرصة لحوار علمي متعدد التخصصات حول الإشكالات المتنامية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، وإمكانات البحث والتفكير النقدي في مواكبتها واستيعابها..

تولّى تسيير الجلسة الأستاذ بوعزة عبد القادر، أستاذ اللغة الفرنسية وطالب باحث في سلك الدكتوراه تخصص الأدب، حيث أدار النقاشات بحيوية وتفاعل ملحوظ. افتتحت المداخلات الأستاذة سعاد مصمودي، أستاذة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، من خلال عرض بعنوان: "الأدب: حوار دائم مع المجتمع"، سلطت فيه الضوء على العلاقة بين الأدب والذكاء الاصطناعي، مؤكدة أن الأدب يشكل مرآة نقدية للواقع الاجتماعي أثناء لحظة الكتابة، ويعكس التحولات والصراعات التي تعرفها المجتمعات. وأشارت المتدخلة إلى أن الذكاء الاصطناعي بات اليوم جزءاً من موضوعات الأدب وتساؤلاته، متوقفة عند مدى قدرته على محاكاة الإبداع البشري، وطرحت تساؤلات حول إمكانيات التعاون بين الإنسان والآلة. كما شددت على أن الرهافة العاطفية تظل بُعداً خاصاً بالإنسان، لا يمكن للآلة استيعابه أو محاكاته بدقة.

أما المداخلة الثانية، فقد قدّما الأستاذ محمد لطيف، الباحث في هندسة الذكاء الاصطناعي، بعنوان: "تكامل المعارف والذكاء الاصطناعي: نقاط الالتقاء والاختلاف". وقد ناقش من خلالها مفهوم العولمة والتحوّلات السريعة التي تعرفها المجتمعات، معتبراً أنه من الصعب اليوم تصوّر الحياة دون تدخل الآلة الذكية، كما تساءل عن الإطار القانوني والتنظيمي الذي يجب أن يضبط الذكاء الاصطناعي ويؤطر استخدامه.

بعد ذلك، قدمت الأستاذة سعدية اسلايلي الإدريسي، المتخصصة في العلاج النفسي، مداخلة بعنوان: "العلاج النفسي الحديث عند تقاطع التخصصات: ما الدور المنتظر للذكاء الاصطناعي؟" أبرزت فيها أهمية الحضور الإنساني في معالجة الاضطرابات النفسية، مؤكدة أن الذكاء الاصطناعي لا يمكنه بأي حال أن يُعوّض الطبيب، خاصة في مجالات دقيقة كالأمراض النفسية.

وقد عرضت بعض النماذج العلاجية المعتمدة، مبرزة أبعاداً متنوعة مثل الروحانية والأسطورة والتنجيم، إلى جانب الذكاء الاصطناعي، الذي اعتبرته أداة مفيدة في الوصول إلى المعطيات وتحليلها، لا أكثر.

بدورها، تناولت الطالبة الباحثة شياء بزاح، في مداخلتها المعنونة: "التداخل المعرفي والذكاء الاصطناعي: ما المسؤوليات التواصلية تجاه مخاطر توحيد المعرفة؟" مخاطر التوحيد المعرفي الناتجة عن النظم الآلية في إنتاج المحتوى.

واعتبرت أن هذه النظم، المبنية على خوارزميات موحدة، تؤدي إلى إنتاج مضامين نمطية ومتشابهة، مما يهدد تنوع الفكر وثراء الخطابات. وقد اختتمت مداخلتها بتقديم جملة من التوصيات العملية لتفادي هذا التماثل السلبي في إنتاج المعرفة.

أما المداخلة الأخيرة، فقد كانت من تقديم الأستاذ يوسف درفوف، أستاذ اللغة الفرنسية وطالب باحث في مجال التواصل، حيث اقترح مقارنة متعدّدة التخصصات لتحليل القيم الهويةية في زمن الرقمنة والذكاء الاصطناعي، متناولاً الموضوع من أربعة أبعاد: الثقافي، والسوسولوجي، والنفسي، والبيداغوجي. وقد ركّز على تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على السلوك اللغوي والثقافي والاجتماعي لدى الأجيال الصاعدة، مبرزاً منطق الخوارزميات الذي يحكم منصات التواصل الحديثة.

وفي ختام الجلسة، فُتح باب النقاش أمام الحاضرين، حيث طُرحت أسئلة وتعليقات تمحورت حول التحديات والحدود التي يفرضها الذكاء الاصطناعي، خاصة في مجالي الصحة والتعليم. وقد أبرزت هذه الندوة الحاجة الملحة إلى تبني مقاربات منفتحة من أجل فهم أعمق للتحوّلات المعاصرة والاستجابة الفعالة لها.

الجلسة العلمية الثالثة من اليوم الأول

استهل الأستاذ سمير بودينار كلمته بالتذكير بأهم ما ورد في محاضراته السابقة خلال الجلسة الصباحية، مؤكداً أهمية استحضار تكامل المعارف في المساهمات العلمية المزمع إعدادها ضمن مشروع الاستكتاب، مع التشديد على ضرورة تناول المواضيع في إطار ثنائية العلوم الاجتماعية والعلوم الشرعية، أو ما يُعرف بثنائية العلوم الأصيلة والعلوم الوافدة. كما أشار إلى أهمية استحضار ثلاثية: اللسان، والإنسان، والعُمران. وقد اقترح عدداً من المواضيع البحثية المتصلة بتصنيف العلوم وتكامل المعارف، ثم فسح المجال أمام الباحثين لاقترح مداخلاتهم، وموازية مع ذلك قَدَمَ ملاحظات وتوجيهات بخصوص المواضيع المقترحة، بهدف صياغتها بشكل أكثر دقة ووضوحاً.

اليوم الثاني: الثلاثاء 15 يوليو 2025

الجلسة العلمية الأولى

استهل الأستاذ سعيد الأشعري أشغال الجلسة العلمية الأولى من اليوم الثاني بكلمة ترحيبية بالمؤطرين والحضور، مذكراً بالسياق العام للمعتكف العلمي، ومبيناً موضوع الجلسة الراي إلى تعزيز قدرات الباحثين الشباب في المناهج، ومهارات كتابة المقالات العلمية، وضوابط النشر في المجالات العلمية، وقد أطر هذه الجلسة نخبة من الأساتذة.

المداخلة الأولى: مقدمات في فن القراءة والكتابة.

أشار الأستاذ الحسن مصباح في مداخلته إلى التحولات التي يشهدها النشر العلمي، من النشر الورقي إلى الإلكتروني، مؤكداً أهمية القراءة والإنصات بوصفها مدخلين أساسيين للكتابة الأكاديمية الرصينة. وقد تناول أبعاد القراءة من خلال أسئلة توجيهية من قبيل: لماذا نقرأ؟ ماذا نقرأ؟ كيف نقرأ؟ لمن نقرأ؟ ثم انتقل إلى استعراض مستويات القراءة وأنواعها، والتي لخصها كما يلي:

- **القراءة المرتبطة بالبحث:** تصفح المراجع وتصنيف المادة العلمية إلى رئيسة و ثانوية.
- **القراءة الصيد:** بكونها قراءة براغماتية تركز على استخراج المعطيات المطلوبة.
- **القراءة للتعليم:** اكتساب منهجيات التفكير والبناء الحجاجي من خلال متابعة أعمال الباحثين.
- **القراءة الثانية للتعليم:** العودة إلى النصوص وإعادة قراءتها بغرض تعميق الفهم وضبط المعارف.
- **القراءة الذوقية:** حاول تناول القراءة الذوقية من خلال التركيز على مراحل القراءة.

وقسم مراحل القراءة إلى ثلاثة مراحل رئيسة: قراءة سريعة، وقراءة متأنية ثم مرحلة التقييم.

ثم انتقل بعد ذلك إلى تناول الشق الثاني من المداخلة الذي يتجلى في الكتابة، مؤكداً أنه لا وجود لوصفة جاهزة لها، بل هي ممارسة فردية تصقل بالتجربة.

المداخلة الثانية: مركزية المناهج في البحث العلمي والكتابة الأكاديمية.

تطرق الأستاذ عبد الرحيم بودلال في مداخلته لمسألة المناهج باعتبارها العمود الفقري للكتابة العلمية. ثم تحدث عن صنفين في العلوم والمناهج في الحضارة العربية الإسلامية، وحاول في خضم مداخلته الإجابة عن سؤال مهم وهو "كيف نكتب؟" مع ضرورة الاعتماد على المناهج. وتوقف بعد ذلك عند تعريف مصطلح المنهج لغة واصطلاحاً، ثم إلى جذوره العريقة في الحضارة العربية الإسلامية. ثم استعرض تطور الفكر المنهجي عبر العصور عامة وفي الحضارة العربية الإسلامية خاصة، إذ أشار إلى تأثير الدرس النحوي العربي بالمنهج الأرسطي منذ القرن الرابع الهجري. ثم تحدث عن تداخل المناهج باعتبارها الخطوة الأولى التي تؤدي إلى تكامل المعارف مشيراً إلى كون المنهج تطور في القرنين السادس عشر والسابع عشر على يد فرانسيس بيكون وديكارث وأوجيست كونت. مما أدى إلى الإسهام بشكل كبير في ظهور المنهج الاستقرائي الاستنباطي والمنهج الاستردادي (المنهج التاريخي)، وهذا ما أرسى دعائم بروز المنهج الوصفي في القرن العشرين مع فيرديناند دي سوسير الذي عني بدراسة الظواهر بشكل وصفي أي دراسة الظواهر كما هي في الواقع. وفصل القول في تطور الدرس اللساني بدءاً من فيرديناند دي سوسير إلى نعوم تشومسكي، وسلط في خضم ذلك الضوء على انتقال الاهتمام بالظاهرة اللغوية في هذه الفترة من الوصف إلى التفسير. ثم أكد أن المناهج ليست أدوات جامدة بل أطراً لتوجيه التفكير النقدي لدى الباحثين، داعياً إلى إعادة النظر فيها بما يتلاءم مع مستجدات البحث العلمي.

المداخلة الثالثة: منهجية استثمار الذكاء الاصطناعي: نماذج الذكاء الاصطناعي اللغوي (LLMS).

خصص الأستاذ كريم الطيبي مداخلته لإمكانيات توظيف نماذج الذكاء الاصطناعي اللغوي (LLMS) في البحث الأكاديمي، مستعرضاً أبرز هذه النماذج مثل ChatGPT، Claude، Gemini، LLAMA، ومبيناً أدوارها في الترجمة والتحليل اللغوي، والتعليم والإبداع، ودعم عمليات البحث العلمي. ثم أرجع الأستاذ كريم الطيبي الإرهاسات الأولى لظهور الذكاء الاصطناعي إلى الفيلسوف ديكارث، ثم تطور بشكل تدريجي أثناء الحرب العالمية الثانية مع "آلان جريد"، لكنه بقي في شكله المحدود إلى حين ظهور التطور التقني والتكنولوجي الذي أتاح المعلومات على الشبكة العنكبوتية. وقد ركز الأستاذ كريم الطيبي في مداخلته على البعد الأخلاقي في استخدام الذكاء الاصطناعي، مشدداً على ضرورة تحلي الباحث بالوعي النقدي أثناء الاستعانة بهذه النماذج، وأن يكون المتحكم فيها لا العكس. كما دعا إلى تطوير نماذج محلية تراعي الخصوصيات الثقافية واللغوية، وإلى تعزيز التعاون بين الباحثين في علوم الحوسبة والعلوم الإنسانية، وإلى إدراج أخلاقيات

الذكاء الاصطناعي ضمن التكوين الأكاديمي. لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن هندسة التلقين (Prompt Engineering) بوصفه نموذجاً ChatGPT، موضحاً كيفية صياغة الأوامر لتحقيق أفضل النتائج من خلال أربعة عناصر: الدور، والسياق، والمهمة، والتنسيق / النتائج المتوقعة. وختم بتأكيد أن الاستخدام الأمثل للذكاء الاصطناعي لا يتحقق إلا بالممارسة المستمرة والوعي النقدي.

الجلسة العلمية الثانية من اليوم الثاني

كان للباحثين مساءً موعد مع محاضرة تفاعلية في موضوع: "استثمار التقنيات الحديثة في خدمة البحث العلمي: كنز المكتبات الرقمية" من تأطير الأستاذ محمد سموي، حيث شرح للباحثين مجموعة من التطبيقات التي تساعد في البحث العلمي وتيسره، خاصة فيما يرتبط بتوفير الكتب مثل: المكتبة الشاملة بمختلف إصداراتها، والبرامج الإحصائية لمن يشتغلون بإحصاء الألفاظ في متن معين، وبعض التطبيقات التي تساعد الباحث في العلوم الشرعية على شرح وتفسير القرآن الكريم مثل: الجامع التاريخي لبيان القرآن الكريم لمؤسسة مبدع. كما أتيح للباحثين الاشتغال على بعض هذه التطبيقات في حواسيبهم الخاصة، وكان الباب مفتوحاً للأسئلة والإضافات.

اليوم الثالث: الأربعاء 16 يوليو 2025

الجلسة العلمية الأولى

تقاسم الأستاذ إدريس بوكراع ضمن سلسلة "سيرة باحث" سيرته ومسيرته العلمية والبحثية الحافلة بمجموعة من الإنجازات، وبعد سرد الأستاذ لأهم المحطات البارزة في مسيرته التعليمية، بدءاً من طفولته التي كانت من حي عريق في مدينة وجدة يسمى حي "المسقف"، وتعلمه في الكتاب والمدرسة الابتدائية، ومروراً بتعلمه الإعدادي والثانوي، حيث درس الأستاذ بإعدادية باستور وثانوية عبد المومن، ووصولاً إلى الدراسة الجامعية بجامعة محمد الأول بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، إذا اختار شعبة اللغة العربية، وكان من زمرة الطلبة الذين تتلمذوا على يد المؤسسين لهذه الجامعة من أبرزهم الدكتور مصطفى بنحمزة، والدكتور حسن الأمrani والدكتور أحمد حدادي (رحمه الله). بعدها انتقل إلى القاهرة لاستكمال دراسته العليا رفقة ثلة من الأساتذة، هناك حيث أخذ العلم من شيوخ كبار من أمثال الدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور حسين نصار والدكتور محمود فهمي حجازي الذي أشرف على رسالته في الماجستير. ثم التحق بهيئة التدريس بجامعة محمد الأول في الموسم الجامعي 1988 – 1989. ناقش الأستاذ أطروحته الجامعية سنة 2004 في موضوع: "دلالة الألفاظ في التحرير والتنوير لابن عاشور: مسائل في المعجم والبلاغة"، وقد استفاد كثيراً من هذا البحث حيث تعرف على العالم الكبير ابن عاشور. بعد هذا عرج الأستاذ عن عمله خارج الوطن، حيث التحق بالإمارات العربية ابتداءً من موسم 2014/2015؛ فقدم دروساً في البلاغة والأدب لطلبة الدراسات الإسلامية.

وكانت للأستاذ إدريس بوكراع عضوية في عدة مؤسسات علمية وثقافية منها: جمعية النبراس الثقافية، ومركز الدراسات والبحوث الإنسانية، وجمعية حماية اللغة العربية وغيرها. وأشرف الأستاذ على العديد من بحوث الإجازة والماستر والدكتوراه سواء في المغرب أو خارج المغرب، وشارك في العديد من الملتقيات العلمية داخل الوطن وخارجه نذكر منها: "أثر القرآن الكريم في تعليم اللغة العربية" سنة 1991، و"المصطلحات في كليات الكفوي دراسة لغوية" سنة 1995. وغيرها من المشاركات والمداخلات المهمة في السيرة العلمية للأستاذ إدريس بوكراع. بعد هذه السيرة الغنية كان للطلبة لقاء مفتوح مع الأستاذ الذي أجاب عن معظم تساؤلاتهم واستفساراتهم سواء تتعلق الأمر بسيرته العلمية أو ببعض القضايا اللغوية الشائكة. لترفع الأستاذ هاجر زابر الجلسة، بعد أن التمسست من الباحثين التقاط صورة جماعية بهو المركز مع الأستاذ إدريس بوكراع.

الجلسة العلمية الثانية من اليوم الثالث



ابتداء من الساعة الخامسة والنصف، قسمت اللجنة المنظمة للمعتكف العلمي الباحثين إلى فرق بحثية منتجية لثلاث ورشات، حسب تخصصات الباحثين: الورشة الأولى خاصة بـ (اللغات والثقافة)، الورشة الثانية خاصة بـ (العلوم الشرعية)، الورشة الثالثة خاصة بـ (علم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا). ثم انتدب لكل ورشة مسير ومقرر، وبعدها انطلق الباحثون بمناقشة أرضية الاستكتاب "تصنيف العلوم وتكامل المعارف"، ليخلص الباحثون في كل ورشة إلى موضوع يشتغل عليه ضمن المحاور الكبرى للاستكتاب، وبعد انتهاء المدة المخصصة للنقاش، عرض كل مقرر المواضيع التي اختارها الباحثون، وتمت مناقشتها من قبل أعضاء الورشات الأخرى.

اليوم الرابع: الخميس 17 يوليو 2025

الجلسة العلمية الأولى

ناقشت الجلسة العلمية الأولى من اليوم الرابع "المشروع الفكري للفيلسوف طه عبد الرحمن"، وقد افتتح الأستاذ إبراهيم المراداني الجلسة بكلمة شكر وترحيب بالمتدخلين والحضور الكريم، بعدها قدّم الكلمة للأساتذة المتدخلين:



المداخلة الأولى: "خروج الأمة من صراعاتها الحالية في النظر الفلسفي عند طه عبد الرحمن".

عد الأستاذ عزيز المحساني أن الصراع السياسي المستمر في الأمة الإسلامية يمثل قضية مركزية أهتم الكثير من المفكرين، وفي مقدمتهم الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن الذي قدّم مقاربة فلسفية مغايرة في كتابه «ثغور المrapطة». ومن الأسئلة التي توقف عندها الأستاذ عزيز محساني في مداخلته الآتي: ما خصوصية هذه المقاربة الفلسفية؟ وهل تستطيع أن تقدّم للأمة سبيلاً مختلفاً للخروج من أزمتها السياسية الراهنة؟ وقد بين الأستاذ أن مداخلته تعتمد منهجاً نقدياً تحليلياً لعرض أفكار طه عبد الرحمن، مع تقييم مدى نجاعتها في قراءة الواقع وتجاوز الصراعات. وتهدف المداخلة أيضاً إلى إبراز تميّز نظر طه عبد الرحمن الفلسفي عن الطروحات الفكرية الشائعة، والكشف عن إمكانياته العملية في بناء وعي سياسي أخلاقي. وقد توزعت المداخلة على محاور تتناول الخلفية الفكرية للمؤلف، ثم تشخيصه للواقع السياسي، ثم اقتراحاته العملية للخروج من الأزمة.

المداخلة الثانية: "طه عبد الرحمن من خلال مؤلف تجديد المنهج في تقويم التراث"

تبسط مداخلة الأستاذ إبراهيم عيشي نظرة طه عبد الرحمن التكاملية للنظر في التراث العربي الإسلامي من أجل تحقيق أنموذج ذي خصوصية تداولية عربية إسلامية، حيث انطلقت من إبراز مفهوم النظرة التكاملية

عند طه عبد الرحمن بالجمع بين محتوى الفكر ومضمونه؛ بالإضافة إلى ذكر أهم الأسس التي بنى عليها نظرتة التكاملية؛ بدءاً بأصل التداخل، وأصل التداول، ثم أصل التقريب.

المداخلة الثالثة: "فلسفة التربية عند طه عبد الرحمن"

استهل الأستاذ حمزة شرعي مداخلته بالحديث عن التحديد الهوياتي لمشروع طه عبد الرحمن الفكري بشكل عام، ومن ثمة يخلص الأستاذ إلى أن المفكر المغربي طه عبد الرحمن يندرج ضمن إطار المفكرين الإصلاحيين، الذين حاولوا تجديد الخطاب الديني والتراث الإسلامي بوصفها مدخلا وشرطا ضروريا للنهضة. ثم انتقل الأستاذ حمزة شرعي للحديث عن فلسفة طه عبد الرحمن التربوية، والتي يمكن أن نستشفها من خلال كتابه الفريد: "من الإنسان الأبر إلى الإنسان الكوثر"، والذي حاول فيه المفكر طه عبد الرحمن التأسيس للنظرية التربوية الإسلامية من خلال إبداعه لشروط هذا التأسيس ومبادئه وضوابطه. ليختم بالقول إن فلسفة التربية عند طه عبد الرحمن تنطلق من الوحي مبدأ وغاية، وهذا هو الشرط الأول عند طه عبد الرحمن في التأسيس الفلسفي للنظرية التربوية الإسلامية؛ فهذه النظرية لا تنفك عن المحددات الفلسفية الإسلامية، والتي تعطي للتربية هوية مميزة على مستوى الرؤى والتصورات والمواقف.

المداخلة الرابعة: "فلسفة اللغة عند طه عبد الرحمن"

استهل الأستاذ عمر بالي مداخلته بالحديث عن "فلسفة اللغة عند طه عبد الرحمن بين التراث والحداثة"، وقد اقتصر في حديثه على علاقة اللغة بالفلسفة عند طه عبد الرحمن، وعن سبب تسمية "فقه الفلسفة"، معرجا عن بعض الأمور المرتبطة بالترجمة والنقل من لغة إلى أخرى. من خلال هذه العناصر وجه الأستاذ مجموعة من التساؤلات من قبيل: ما فلسفة اللغة عند طه عبد الرحمن؟ وكيف استمدت هذه الفلسفة من التراث؟ وما موقفه من ذلك؟ وفي تناوله علاقة اللغة بالفلسفة وصل الأستاذ إلى نتيجة مفادها أن كل لغة في أية أمة لها الحق في ممارسة الفعل الفلسفي والاختلاف الفكري، حيث كل لغة تستقل بخصائصها ومميزات تشكل قوام خصوصياتها. وفي الأخير ختم الأستاذ مداخلته بالحديث عن "فقه التأثيل عند طه عبد الرحمن بين التراث والحداثة"، وقد بين من خلاله سبب اختياره للفظ التأثيل دون التأصيل، ودعوته إلى ربط المصطلحات بأصولها اللغوية، وأساقها المفاهيمية، ومجالاتها التداولية.

المداخلة الخامسة: "الدين وفلسفة الأخلاق في فكر طه عبد الرحمن"

انطلق الأستاذ جمال جلولي من فكرة مفادها أن مادية الغرب انتصرت على شعاراته الأخلاقية التي طالما ظل يتغنى بها منذ عصر النهضة حتى اليوم، بيد أن المفكر المغربي طه عبد الرحمن تمكن من سبر أغوار هذا النفق المظلم الذي حضن أزمة الأخلاق في النسق الغربي المادية والأحادي الجانب، وفي الضفة المقابلة

يرى طه عبد الرحمن أن لا حادثة عند العرب والمسلمين إلا إذا استمدت أسسها من الهوية العربية والإسلامية المبنية على قيم وتعاليم الدين الإسلامي؛ لأن الأخلاق الإسلامية كونه إنسانية.

الجلسة العلمية الثانية من اليوم الرابع

في مساء يوم الخميس كان للباحثين موعد مع الأستاذين سمير بودينار وعبد الرحيم بودلال من أجل تتبع مقترحاتهم البحثية، وعرض ملخصات مقالاتهم وتصاميمها ومناقشتها، والحسم في الاستكتاب الجماعي الخاص بـ "تصنيف العلوم وتكامل المعارف".

اليوم الخامس: الجمعة 18 يوليو 2025

الجلسة العلمية الأولى

ناقشت الجلسة العلمية الأولى من اليوم الخامس موضوعاً علمياً بعنوان: "أهمية البحث في تاريخ العلوم ومسار تطوره"، وضمت ثلاث مداخلات غنية، وفق الترتيب الآتي:

المداخلة الأولى: "التكاملية في العلوم الإسلامية"

استعرض الأستاذ محمد بنعمر في بداية مداخلته التكامل المعرفي من خلال نظرات في كتاب تجديد التراث لطه عبد الرحمن، وأشار إلى قضية التكامل بين العلوم سواء عبر التداخل الداخلي أو الخارجي، وركز الأستاذ خصوصاً على التداخل الداخلي بين العلوم الذي وسّمها بالعلوم الموصولة من قبيل: التفسير وعلم الحديث، وأصول الفقه وعلوم اللغة. ويبيّن أن اللغة هي الأداة المفسرة للخطاب الأصولي، كما أشار إلى أن القرآن الكريم هو الأصل لكل العلوم الأخرى الخادمة له، وأنها إنما قامت على أساسه. ثم أشار إلى أن العرب كانوا من الأوائل الذين عنوا بالجانب الدلالي؛ بحثاً منهم عن المعنى، وتماشياً مع تفسير أي التنزيل الكريم، وأشار إلى المركزية النحوية في العملية التفسيرية للقرآن. وأبرز أن البلاغة كان لها حضور بارز في العملية التفسيرية للكتاب الكريم، مستحضراً مجموعة من الاستشهادات من كتاب ابن البناء المراكشي العددي "الروض المربع في صناعة البديع". وختم مداخلته بالحديث عن علم القراءات، مستحضراً كلاماً "للتهايمي الراعي" في إحدى مقالاته بمجلة "دعوة الحق"، التي دعا فيها إلى ضرورة اعتماد علم النحو في المدونة التفسيرية للقرآن الكريم، مستشهداً ببعض الآيات القرآنية التي تم قراءتها أكثر من قراءة، والتي أفرزت تخرجات تفسيرية متعددة من منطلق نحوي. ثم أشار إلى المعاجم التي درست الألفاظ القرآنية تحت عنوان "المعاجم القرآنية"، من قبيل: مفردات القرآن الكريم للطاهر بن عاشور.

المدخلة الثانية: "التداخل بين أصول الفقه والسياسة الشرعية"

بدأ الأستاذ عمار العمراني حديثه عن أهمية أصول الفقه في بناء الأحكام الشرعية واستنباطها، مبرزاً أن الأحكام الشرعية والسياسة الشرعية تتداخل في عدة عناصر منها:

- **الغائية:** إذ الغاية من الكليات الخمس هي الحفاظ على الإنسان بوصفها ذاتاً بشرية، وحفظ حقوقها، مبرزاً أن هناك تداخلاً وتكاملاً بين الشرع والسياسة في تشريعاتها في هذا الجانب.
- **الإمامة:** تُحفظ بالإنسان من منطلق الشرع والسياسة من خلال احترام أسس الدين.
- **توجيه التكليف أو التشريع السياسي من منطلق ديني:** عملية التوجيه قائمة على توجيه الأحكام السياسية من منطلق شرعي بالحفاظ على الوجه الديني والديني، دون إغفال أو تعارض.

وقد استحضر الأستاذ كلام الشاطبي في مقاصده مشدداً على أهمية التلاقي والترابط بين السياسة والأحكام الشرعية والامتداد السياسي في إطار التكليف الكفائي، مشيراً إلى أن الفروض الكفائية ليست أحكاماً شرعية بقدر ما هي تظهر حقوق من منظور سياسي، يهدف إلى المصلحة العامة وتنزيلها. وفي هذا السياق أبرز الباحث التقاطع الكبير في مقاصد هذه الفروض الكفائية من المنظورين الشرعي والسياسي، جلباً للمصلحة ودفعاً للمفسدة. وفي ختام مداخلته، وضح الأستاذ أن أصول الفقه والجانب السياسي يتجاوزان صفة التأثير إلى معنى التداخل والتقاطع الكبير الذي يخدم مصلحة الإنسان.

المدخلة الثالثة: "البحث النحوي حقلاً مستشرفاً"

استهل الأستاذ عمر العيساوي مداخلته ببيان أن دراسة التراث النحوي لا يمكن أن يُدرّس دون مفاهيم معرفية، مما يستوجب افتتاحه على الإيستيمولوجية الغربية بوصفها مدخلاً للقراءة، لافتاً انتباه الحاضرين إلى ما جاء به غاستون باشلار وجون بيكون، بحيث تعتمد لمقاربة تاريخ النحو العربي. وقدم الأستاذ مجموعة من الإشكالات منها: كيف يمكن دراسة النحو من سيبويه إلى ابن هشام؟ وكيف يمكن دراسة التبويب النحوي؟ هذه الإشكالات في نظر الأستاذ عمر العيساوي، لا يمكن أن تدرس من منطلق تراثي فقط، بل من منطلق "تاريخ العلوم"، وقد أشار إلى أن دراسة طبقات العلماء في النحو، هو جانب من التأريخ للنحو. كما تطرق الأستاذ كتاب "البحث اللغوي عند العرب" لأحمد مختار عمر، بوصفه من المحاولات الدقيقة في هذا السياق لدراسة التراث اللغوي. ثم عرج على ما كتبه شوقي ضيف في تأريخ النحو العربي، مشيراً في خضم ذلك إلى ما آثراه المجددون في النحو بدءاً بما جاء به ابن مضاء، واصفاً ذلك بأنه لم يكن من باب التجديد. وقد أشار الأستاذ عمر العيساوي إلى أن مجموعة من الباحثين الجدد حاولوا تتبع تاريخ العلوم من منطلقات إستيمولوجية. كما أن هذه الدراسات التاريخية للعلوم عامة، والنحو خصوصاً، ساهمت في تشقيق علم النحو إلى علوم أخرى

متفرعة منها علم جدل النحو؛ من خلال كتاب "الإغراب في جدل الإعراب" الذي أبرز تعالق علم الجدل وترابطه بعلم النحو، ما أفرز جدلا بين المدراس النحوية. ثم أبرز الأستاذ في الأخير أن قراءة الكتاب النحوي، وجب أن يستحضر فيه سياقه التاريخي لقراءته؛ ولعل هذا من جوهر تاريخ العلوم.

الجلسة العلمية الثانية من اليوم الخامس



استهل الأستاذ سمير بودينار الجلسة العلمية الثانية من اليوم الخامس، بالإشادة بفعاليات المعتكف العلمي وأنشطته، مرحبا في خضم ذلك بالعلامة مصطفى بنحمزة، الذي حرص أشد الحرص على اللقاء بالباحثين الشباب وإلقاء كلمة توجيحية بهذه المناسبة، أكد من خلالها أهمية العلم وقيمته، وشدد على أن العلم هو الذي يشرف الناس وهو قيمة في حد ذاته، كما أشار إلى أن من لم يشرفه العلم لا تشرفه الحروف والألقاب، معززا فكرة الجماعة العلمية، وحث على أن تُحمل هذه الأنشطة على محمل العبادة، ويتحرى فيها الصدق في القول والإخلاص في العمل، وشجع الباحثين على القيام بمثل هذه الأنشطة التي تؤيد فكرة الصحبة في العلم والتعلم.

الجلسة العلمية الثالثة من اليوم الخامس

في الجلسة ما قبل الأخيرة للمعتكف العلمي الأول تم عرض تقرير مفصل حول البرنامج السنوي للموسم العلمي لمنتدى الباحثين الشباب 2025/2024، ومما جاء في العرض الآتي:

- نظم المنتدى لقاء تواصليا مع الباحثين الشباب.

- أطر الأستاذ سمير بودينار دورة تكوينية في "الجماعة العلمية باعتبارها ضرورة علمية"، وذلك يوم الاثنين 09 دجنبر 2024.
- استضاف منتدى الباحثين الشباب في سلسلة "سيرة باحث" الأستاذ فواد بوعلي، رئيس الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية، وذلك يوم السبت 11 يناير 2025.
- أطلق المنتدى سلسلة معرفية جديدة بعنوان "بحث وباحث" حيث استضاف في حلقتها الأولى الأستاذ رشيد الأركو الذي تحدث عن "إشكال التحيز في خطاب محيي الدين بن العربي الصوفي". وفي حلقتها الثانية الأستاذ يونس بلحمجوب الذي تحدث عن "التبرع بالأعضاء بين الشريعة والقانون". وفي حلقتها الثالثة الأستاذة هاجر زاير التي تحدثت عن "مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفي حلقتها الرابعة الأستاذة ربيعة لمقدم التي تحدثت عن "نظرات في الوضع اللغوي في المغرب قبل الحماية".
- نظم المنتدى عددا من المحاضرات من أبرزها محاضرة "حول الذكاء الاصطناعي والبحث العلمي" أطرها الأستاذ عز الدين مزروعي، وذلك يوم الجمعة 30 مارس 2025.
- نظم ندوة علمية بشراكة مع مختبر مناهج العلوم في الحضارة الإسلامية وتجديد التراث، والمركز الجامعي للدراسات والبحوث الإفريقية في موضوع: "أساطين المعرفة بالمغرب الشرقي: مخاض الفريدة ومواطن الريادة"، وذلك يوم 28 يونيو 2025.
- إضافة إلى أنشطة وندوات وتكوينات أخرى، ليتوج منتدى الباحثين الشباب موسمه التكويني والعلمي بالمعتكف العلمي الأول الذي نحن بصدد متابعة أنشطته.

الجلسة الختامية

قدم الأستاذ عمر العيساوي في الجلسة الختامية كلمة شكر باسم المستفيدين من المعتكف العلمي الأول، لكل الساهرين والقائمين على إنجاح فعالياته، من أطر وأساتذة وباحثين وتقنيين وإداريين وحاضرين. كما ضمت هذه الجلسة فقرة تكريمية لكل من العلامة الشيخ مصطفى بنحمزة بعد تشريف المعتكف بزيارة مباركة بعدما وصلته الأصداء الطيبة عن أنشطته، وكذلك الأستاذ سمير بودينار (رئيس مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية)، والأستاذ عبد الرحيم بودلال (مدير مركز الدراسات والبحوث الإنسانية)، كما تم توزيع شواهد المشاركة للمستفيدين من المعتكف العلمي. وتخللت أنشطة هذه الجلسة الختامية تقديم ارتسامات حول المعتكف العلمي الأول والمنظمين له، وقبل عرض التوصيات كان لا بد من التذكير بالمقترح السنوي لمنتدى الباحثين الشباب للموسم المقبل، ليعرض على اللجنة العلمية بعد ذلك ويتم تدارسه من قبل المكتب المسير للمنتدى لتنزيله على أرض الواقع. ومن أهم التوصيات التي خرج بها المعتكف العلمي الأول نذكر الآتي:

- إعطاء فرصة للباحثين الشباب لتأطير ورشات المعتكف ونداوته ولقاءاته العلمي، إلى جانب تخصيص ورشات تطبيقية بإشراف خبراء ومتخصصين بما يخدم الباحثين والباحثات.
 - إدراج لقاء تواصل مع المشرفين على مكتبة المركز من أجل الإحاطة بهيكلتها ونفائس كتبها ومخطوطاتها، مع ضرورة تنظيم معرض مفتوح للكتاب على امتداد فترة المعتكف العلمي في نسخته الثانية.
 - استهداف عدد أكبر من المشاركين في المعتكف المقبل، مع الأخذ بعين الاعتبار تنوع تخصصاتهم، من أجل تجسيد مبدأ التكامل المعرفي، وكذا لإدراك أعمق للقضايا المعرفية المركبة.
 - نشر مداخلات المعتكف العلمي ضمن أعداد خاصة بمجلات المركز، بعد إخضاعها للتحكيم.
 - ضرورة نقل أشغال المعتكف وفعالياته عبر تقنية التناظر عن بعد.
- وبهذا أسدل الستار على فعاليات المعتكف العلمي الأول لمنتدى الباحثين الشباب بمركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بوجدة.





Dr. ESARRAJE jamal Dine

Éditeur

Professeur de communication

Faculté des Lettres et Sciences Humaines Oujda - MAROC

●● La revue de recherche en sciences humaines et cognitives est une plate-forme académique dédiée à la publication de recherches et d'études dans les domaines des sciences humaines et des sciences cognitives. Cette revue vise à renforcer notre compréhension de l'esprit humain, des différentes cultures, et de l'impact des facteurs sociaux et psychologiques sur le comportement et la pensée humains. Les domaines d'étude de cette revue couvrent un large éventail de spécialités telles que la psychologie, la sociologie, la linguistique, la philosophie, la littérature, les sciences de la communication, les sciences politiques, l'histoire, ainsi que d'autres domaines des sciences humaines, sociales et cognitives. Cette revue est une source importante pour les chercheurs et les universitaires afin de publier leurs recherches et de partager leurs idées avec la communauté académique mondiale. ●●

Conditions de publication

- La recherche ne doit pas avoir été publiée auparavant, être actualisée et exacte, et appuyée sur une bibliographie novatrice et à jour ;
- Les articles sont acceptés dans les langues suivantes : Arabe - Amazigh - Français - Anglais ;
- Il est requis que l'article compte entre 4000 et 6000 mots. Merci de joindre un résumé de l'article (250 mots maximum) dans la même langue que l'article, accompagné d'une brève notice biographique de l'auteur ;
- Les manuscrits doivent être soumis en arabe dans Word (Sakkal Majalla) en taille 16 dans le corps, 12 dans la marge et 1,5 dans l'interligne, et en français ou en anglais en police (Calibri Light) en taille 12 dans le texte et 10 dans la marge ;
- Respecter les critères scientifiques et éthiques dans toutes les questions liées à la documentation exacte des sources, des références et des notes de bas de page, qui doivent être fixées séquentiellement au bas de chaque page ;
- Les articles de recherche sont présentés à des répondants ayant des compétences et de l'expérience pour approbation ou non approbation de publication ;
- Les recherches individuelles et partagées sont acceptées.
- Conformément à nos procédures, le comité scientifique se charge d'informer l'auteur de la réception de son article et de lui communiquer, dans les meilleurs délais, la décision concernant sa publication.

Les auteurs sont seuls responsables des opinions exprimées dans cette revue et de toute infraction à la loi



Le directeur responsable :
BOURHAOUTA Mohamed

Rédacteur en chef :
ESSARRAJE Jamal Dine

**Rédacteur
en chef adjoint :**
AL ACHAARI Said

**Membres du comité
de rédaction :**
AMAADACHOU Farid
EL BOUZIKI Mohamed
BOURAOUTA Abdellah
CHAHIR Ouissam
KAZZOUT Hicham
ARDIF Said

مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية
+o0481+ | 80X88 8Σ +Co00o1ΣI +ΣIHXo1ΣI 8 +U00o1ΣI
Revue de Recherche en Sciences Humaines et Cognitives

Revue de Recherche

■ en Sciences Humaines et Cognitives ■

Dépôt légal : 2024PE0032

ISSN (Online) : 3085-4857

ISSN (Print) : 3009-5581

N° de presse : 07/2024

whatsapp : +212 6 14 02 45 44

E-mail : centre.rshc@gmail.com

Page Web : www.crshc.com

Tous droits réservés à l'éditeur et à la revue

MAROC © 2024

Les réseaux sociaux de la revue



Tiktok



Youtube

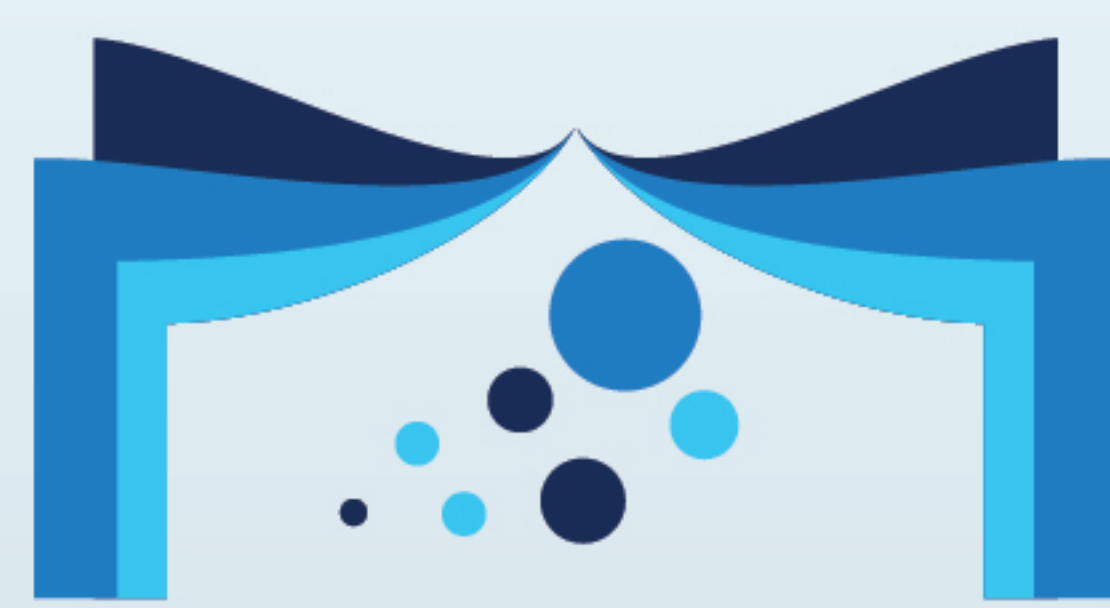


Facebook

Indexée dans des bases de données internationales



RRSHC



مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية

ⵜⵉⵎⴰⵙⵜ ⵏ ⵉⵔⵎⴰⵏ ⵏ ⵉⵔⵎⴰⵏ ⵏ ⵉⵔⵎⴰⵏ ⵏ ⵉⵔⵎⴰⵏ ⵏ ⵉⵔⵎⴰⵏ

Revue de Recherche en Sciences Humaines et Cognitives

Revue scientifique internationale à comité de lecture et à parution mensuelle



Numéro 7- Tome 2 - Année 2 - juillet 2025
Tous droits réservés à l'éditeur et à la revue

Dépôt Légal

2024PE0032

ISSN
(Online)

3085-4857

ISSN
(Print)

3009-5581

N° de presse

07/2024

E-mail

contact@crshc.com